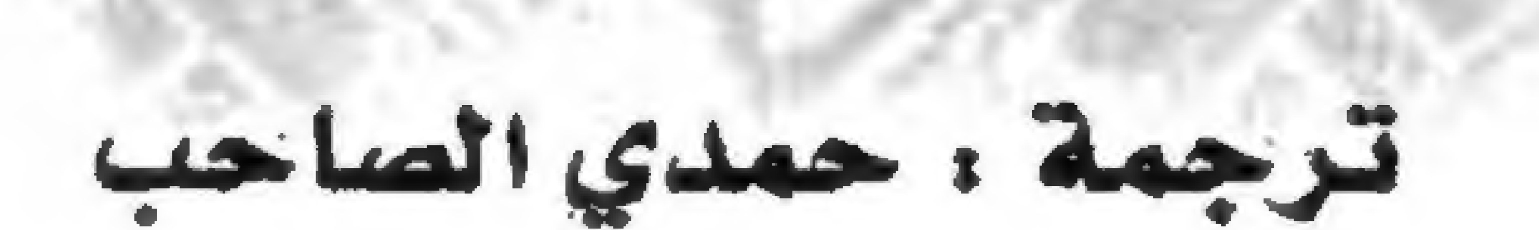


فضح اللعبة الماسونية

وولتون هنه



ترجمة : حمدي الصاحب



الطبعة الثانية

1425هـ - 2004م



للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - سوريا
ص.ب: 13414
هاتف: 30 24 224 11 963+
فاكس: 36 10 245 11 963+

بيروت - لبنان
ص.ب: 14/6364
خليوي: 833 814 3 961+
فاكس: 171 377 1 961+

www.kotaiba.com
E-mail : dar@kotaiba.com

الجزء الأول

عن الطقوس

مقدمة المؤلف للطبعة العاشرة

لقد مضى الآن عشر سنوات منذ أن أثارت أول طبعة لهذا الكتاب عاصفة هائجة من الجدال والنقاش العنيف في الصحافة الدينية والعلمانية على حد سواء. ولم يكن أحد أصابه الذهول والدهشة أكثر مني أنا نفسي، من حيث إن الطلب على الكتاب استمر بثبات إلى أن خبا لهيب النقاش والجدال، وقد أكد لي المسؤولون الأصدقاء في المحفل الأعظم في إنجلترا بأن جزءاً من هذا الطلب على الأقل، جاء من الماسونيين أنفسهم، وخاصة من أولئك الذين كانت أعينهم قد أتعبتها الطباعة البالغة الصغر للشعائر والطقوس الرمزية التي أصدرها ناشرون ماسونيون. وهذه شهادة على دقة نُسَخي الشعائرية التي أعددتها، والتي لم يضعها أحد إطلاقاً موضع الشك أو التساؤل.

ومع هذا، فإن الجدال استمر بصورة هادئة وما زال مستمراً، كما أنني على يقين من أن هناك بحثاً متواصلاً في صميم النفس بين المسيحيين الماسونيين حول صحة ازدواجية ولائهم القلبي. وأحياناً يتأجج الجدال بصورة علنية صارخة، ففي الأشهر الأخيرة، رأى أسقف ساوث وورك الإنجليكاني، الدكتور ميرفين ستوكوود، رأى أن من المناسب تحريم الصلوات الماسونية غير المسيحية في أبرشيته، وما دامت الماسونية، جمعية سرية بطقوس وشعائر دينية، فإنها ستثير الفضول والتساؤل، وما زال رأيي يدعو إلى أن طقوسها وشعائرها

يجب أن تكون متاحة وعلنية، بحيث يمكن لهؤلاء المهتمين أن يصدروا أحكامهم بحرية تامة.

إن ملاحظاتي وتعليقاتي التي تشكل الفصول العشرة الأولى هي من ناحية أو ناحيتين قد أصبحت قديمة قليلاً (فمثلاً، إن أي ذكر لأسقف كانتربري يشير إلى الدكتور جيوفري فيشر) ولكن لدى إعادة قراءة هذه الملاحظات والتعليقات بكل دقة وعناية، وجدت إنني ما زلت أعتبرها عموماً، وثيقة الصلة بالموضوع كما كانت عندما كتبت لأول مرة. زيادة على ذلك، فإن الحقيقة القائلة بأنه لم يكن هناك أي جواب ذكي معقول على ما أثرته في ملاحظاتي قد تمت محاولة الإتيان به منذ كتابة كتابي «هتك حجب الظلام» قبل عشر سنوات، هذه الحقيقة قوّت اقتناعي بأن الاعتراضات الكهنوتية الماسونية من وجهة نظر المسيحية ينبغي أن تظل متاحة وموجودة، وكان هذا الكتاب قد كتب أصلاً في سياق مناسبة إنجليكانية، كنتيجة لجدال لم يحسم جرى في اجتماع للكنيسة الإنجليكانية. ولم يكن الجدال حاسماً لأن كافة المتكلمين الماسونيين أكدوا على عبث وعقم مثل هذا الجدال وذلك لأنه «لا يمكن لأي شخص غير ماسوني أن يعرف الحقيقة» فإلى الحد الذي يصل إلى الطقوس والشعائر فإن الحقائق تستمر وتكون متاحة. إلا أن الكاثوليك الروم أيضاً، غالباً ما كانوا في منتهى التشويش والارتباك إزاء الشعب الذي دعا كنيستهم إلى إدانة المحفل الماسوني العظيم. كما أنهم غالباً ما يلتحقون بوظائف أو أعمال أخرى، بناءً على توصيات وتأمينات من أصدقائهم الماسونيين للكنيسة، بحيث إن إدانة الكتلة لهم كان تخبطاً وخطأً فاحشاً، مبنياً على إساءة الفهم أو على ضيق أفق التفكير المطبق. فمع وجود الحقائق أمامهم بأن كافة المسيحيين المقتنعين بإيمانهم بإمكانهم إصدار أحكامهم الخاصة بهم.

وإنني لمدين بالشكر والامتنان إلى الدكتور في. إيه ديمانت من كنيسة المسيح، في أكسفورد على تلطفه بالمساهمة برأيه فيما يتعلق بالقسم الماسوني وقراءته الفصل الخاص بذلك الموضوع، وإلى الدكتور بول. إم. بريتشير من

معهد كونروديا اللاهوتي، سينت لويس، في الولايات المتحدة الأمريكية، وإلى الكاهن إيه إبراهام بن لندن، أو نتريو، للمعلومات والنشرات من أمريكا وكذلك وبصورة خاصة إلى الدكتور إتش. إس. بوكس لمساعدته القيمة ونصيحته في كل منعطف، وإلى الزميل فريفوشين من أكسفورد للمعلومات عن موقف الأورثوذكس اليونان.

كما إنني ممتن جداً إلى الأسقف ورجل الدين العظيم الذي لن أزعجه بذكر اسمه، على فهمه وتعاطفه وتلطفه بمنحي جزءاً من وقته في الصباح المزدحم بالأعمال، ليحاول، بناء على طلب مني، إقناعي بضرورة اتخاذ رأي آخر مختلف عن الماسونية، وقد نجح بصورة كبيرة جداً في إقناعي بالإخلاص الشخصي لإنسان ماسوني مسيحي، لم أفند رأيه في أي من صفحات هذا الكتاب.

وولتون هنّه

تصدير للطبعة السادسة عشر، ١٩٨٨

إن الكشف عن الماسونية وفضح أسرارها ليس بالشيء الجديد. لم يكن هناك سر إطلاقاً، ولكن شخصاً ما أفلتت منه هذه الكلمة. هذا ما كتبه مراجع لهذا الكتاب في مجلة «تشارتسن تايمز» عندما نشر لأول مرة في عام ١٩٥٢. إن ما جعل الكتاب مختلفاً عن الكتب الأخرى التي نشرت قبله، هو السبب الذي دعا وولتون هنّه إلى كتابته.

فمنذ القلق الأول الذي اعتراه لدى دعوته للالتحاق بمنظمة بقيت سرية حتى بعد قبوله فيها، فإن تحريات هنّه الشاملة أوصلته إلى استنتاج كان مناقضاً تماماً لجو الرأي السائد بين إخوانه من رجال الدين. فإن استنتاجاته وأسبابه، قد وضعت بصورة واضحة جلية في الجزء الأول من هذا الكتاب.

ومع ذلك لم تكن نية هنّه دائماً أن ينشر كتاباً مثل الكتاب حيث إنه في يناير ١٩٥١، كان قد كتب مقالاً موجزاً، بعنوان: «هل ينبغي لمسيحي أن يكون ماسونياً» نشر آنذاك في مجلة «اللاهوت» وهي عبارة عن مجلة أكاديمية تصدر تحت رعاية جمعية تأسيس المملكة المسيحية، وكان قوله بأن الماسونية غنطوسية ـ مذهب مسيحي يقول بأن المادة شر وبأنّ الخلاص يتم عن طريق المعرفة الروحية ـ وبأن الكاثوليك الروم قد حرموها كما أن الميثوديين الإنجليز

شجبوها، قوبل باستجابة حماسية شديدة من قبل قراء تلك المجلة وتجاوب عميق معها.

وما كان لهذا الأمر أن يذهب إلى أبعد من ذلك لولا أن صحيفة ديلي إكسبريس عملت من هذه المسألة «فضيحة». حيث إنه لما كان الملك جورج السادس، ورئيس أساقفة كانتربري، جيوفري فيشر، كلاهما أعضاء في الأخوية الماسونية، فلم يكن من المدهش أو المفاجىء بأن أي إيحاء يشير إلى أن غير الماسونية منسجمة أو متلائمة مع المسيحية، يمكن أن يكون مادة مناسبة لأن تتم معالجتها بهذه الطريقة.

وقد تمت مناقشة الموضوع في الجمعية الإنجليزية للكنائس في شهر يونيو من نفس العام، إلا أن المسألة الرئيسية الخاصة بالانسجام (أي انسجام الماسونية مع المسيحية) تم تخطيها عن طريق التأكد المتكرر بأن غير الماسوني لا يمكن أن يتجرأ على التعليق على الأخوية الماسونية بأية صفة كانت أو أية صلاحية خولت له. وعلى هذا فإن نيافة ركريد ميريد ديث، وهو نفسه ماسوني، اقترح تشكيل هيئة لوضع تقرير عن مقال هنّه. كما أنه اعتبر المسألة على أن هناك هجوماً غير مجاز، ولا مبرر له على «أخوية من الأمراء والأساقفة والمطارنة والنبلاء والأشراف». أما نيافة س. إي. دوجلاس، فقد وصف الماسونية بأنها «أحد أعظم العوامل في بناء الحضارة الحديثة».

وبما أنَّ هنّه لم يكن إطلاقاً عضواً في هذه الكنيسة، فإنه لم يدع للدفاع عن مقالته بالرغم من أنه كان موجوداً في الشرفة العامة للجمهور طيلة فترة النقاش. وقد ألقى إحدى أكثر الخطب إقناعاً الدكتور سيريل جاربيت، أسقف يورك، ولم يكن هو نفسه ماسونياً. الذي قال ـ وقد التفت إلى رئيس الأساقفة فيشر ـ لقد سبق لنيافتكم أن أكدتم لي مراراً على كون نيافتكم عضواً في الأخوية الماسونية وأطلعتني على حقيقة أن ذلك الرجل البارز (من غير رجال الدين) هو اللورد سكاربورو هو «أستاذ عظيم» في المنظمة الماسونية.. «إلا أن الجمعية الكنسية رفضت بصورة ساحقه اقتراح ميريدث، وهي النتيجة التي قبل بها

أعادوا إحداث أجزاء منوعة من الطقوس والشعائر، بمساعدة من هنّه وكانت هذه هي أول مرة يكون فيها الجمهور قادراً على رؤية ما يجري وراء أبواب المحفل الماسوني.

وقد رفض الفيلم على أنه غير دقيق، حيث قيل بأن البرنامج فشل في الأخذ بعين الاعتبار التطورات التي حدثت في الأخوية الماسونية في السنة السابقة، لأنه في عام ١٩٦٤، كانت «الواجبات» أي، أنواع القسم التي يؤديها المرشح في كل مرحلة من مراحل عمله الماسوني، قد عدلت لتتلاءم مع الخطوط التي اقترحها بيرس هيربرت، أسقف نورويك والأستاذ الأعظم الإقليمي في رفولك، وعلى هذا الأساس فإن الصيغ المذكورة تم تغييرها من:

«تحت ما لا يقل عن أية عقوبة لانتهاك أي منها. .» (اتبعت بعقوبة) لتقرأ يمكن أن يخطر إطلاقاً في ذهني للعقوبة التقليدية لانتهاك أو إفشاء أي منها».

وقد تم اعتماد هذه الصيغة، ولكن كبديل فقط لتلك المحافل الماسونية التي رغب في ذلك، وقد أصبحت تعرف فيما بعد بـ«العقاب المباح» ومع هذا فقد كان ناجحاً في تجنب ومنع القلق الذي كان سينجم عن البرنامج، كما لم تقم الكنيسة بإجراء مناقشة رسمية فيه.

وكان هنّه قد فصل روابطه بكنيسته السابقة، حيث استقال من الهيئات الدينية الإنجليكانية وأصبح تابعاً لكنيسة الكاثوليك الروم، وتبعاً لذلك انتقل إلى مونتريال، وكندا، ليصبح قسيساً في كنيسة وفي بلاد تنظر إلى الماسونية بصورة أقل ترحيباً. وهناك في عام ١٩٦٦.

وفي عام ١٩٦٨ بدأ بعض رجال الدين الإنجليكان في بحث موضوع الماسونية، بين المجموعة الهائلة من المطبوعات الماسونية التي غالباً ما تكون خيالية والكراسات الانتقادية والمجادلات العنيفة في مختلف الأرجاء التي تطغى عليه المسيحية، فإن مؤلف هنّه وجد على أنه يشكل بديلاً منعشاً ومجدداً للقوى بالإضافة إلى أنه مساهمة موثوقة لدراستهم. وكان مجرد بقاء كتاب «فضح

ورحب بها والتي كان يأملها. وبهذه المناورة البارعة فإن أنصار الأخوية الماسونية قاموا بهجوم وقائي ضد مناقشة أية حجج أو مجادلات لاهوتية يثيرها هنّه، وبذلك تجنبوا أي فحص أو تدقيق عميق للعقائد الماسونية ممارساتها التي تقوم بها كنيسة إنجلترا.

وعلى هذا فقد شعر هنّه بأن من واجبه إصدار كتاب يثبت فيه، بصورة أساسية وجوهرية، أن سرية الماسونية ما هي إلا أسطورة، وأن الماسونية الإنجليزية المحترمة فيها الكثير من الأسباب التي تدعو إلى وجود القلق المشروع لدى المسيحيين، وكتاب «السر المكشوف» هو ذلك الكتاب.

وبعد فترة وجيزة من الاهتمام الكبير الذي تبع نشر هذا، فإن هذا الكتاب وما أثاره من مسائل اعتبرت من أنباء الأمس، كما أن قلة من أعضاء الكنيسة اعتقدوا أن المسألة تستحق المتابعة. كذلك فإن أي محاولة لفعل ذلك كان ينظر إليها بازدراء من قبل كبار رجال الكنيسة. ومع هذا فإن هنّه، في عام ١٩٥٤ كتب تتمة لمقالته بعنوان: «المسيحية بحسب المراتب» حاول فيها إظهار أن علية القوم، أو ما يطلق عليهم «المراتب المسيحية» وأصحاب المراكز العالية فيها، هم في الحقيقة، إذا كان هناك حقيقة، هم أكثر الناس موضعاً للشك والتساؤل.

وفي التصدير الذي وضعه الدكتور إيريك ماسكول، أحد كبار رجال الدين الجليكانيين وكبار الأكاديميين، طرح سؤالين بقيا حاسمين بالنسبة لأي قارىء لكتاب هنّه في يومنا هذا. السؤال الأول يقول: هل نقل هنّه الطقوس والشعائر الماسونية بصورة صحيحة ودقيقة؟ والسؤال الثاني، هل بإمكان أي مسيحي، سواء رجل دين أو عادي أن يشترك في مثل هذه الطقوس دون أن يكون قد ارتكب عملاً ينم عن عدم التوقير، أو أنه ارتكب إثماً عظيماً.

أما فيلم هيئة الإذاعة البريطانية الوثائقي «السر المكشوف» الذي أذيع لأول مرة في آذار ١٩٦٥، فقد أثار موجة عارمة من القلق والاهتمام إزاء المسألة برمتها، وكانت أعظم وطأة، وصدمة قوية كانت آتية من قبل الممثلين، الذين

اللعبة» مستمراً في الطباعة بعد ٢٦ عاماً من نشره هو عبارة عن توصية وثناء بحد ذاته، والشيء الذي علموه فيما بعد، بأن ذلك الإقبال على الكتاب كان بصورة رئيسية ناجماً عن شراء الماسونيين له، والذين وجدوا الطقوس التي يحويها طي صفحاته أسهل تناولاً من الكتب التمهيدية الأولية الماسونية الرسمية التي طبعت على شكل رموز موحدة مقتضبة.

وفي عام ١٩٧٩ عبر الأستاذ الأعظم إتش إراتش. دوق كنت، عن شكوكه الخاصة فيما يتعلق بالعقوبات البدنية التي ما زالت قائمة ضمن «الواجبات» أي صيغ القسم لدى معظم المحافل التقليدية، وكان ذلك عبارة عن إنذار مبكر بالشعور بالمقت المتجدد من قبل الكثيرين، سواء من الماسونيين أو غير الماسونيين.

كذلك قام برنامج تلفزيوني آخر هو إل. دبليو. تي. كريدو، بإصدار استفتاء كافة الأساقفة الإنجليكانيين في إنجلترا، يسألهم فيه إبداء وجهات نظرهم بشأن الماسونية. وقد أظهرت إجاباتهم تغييراً كبيراً في وجهات نظر الكنيسة الأسقفية البروتستانتية عما كانت عليه في أوائل خمسينات ١٩٥٠. فحوالي ٤٢ أظهر أن لديهم شكوك جدية إزاء الأخوية الماسونية.

ولقد كان هناك نداء قوياً من أحد المتكلمين في البرنامج يدعو إلى إجراء مناقشة مفتوحة بين كنيسة إنجلترا، والمحفل الأعظم، بموجب الخطوط العامة للتحقيق الذي قام به الأساقفة الروم الكاثوليك في ألمانيا في السنة السابعة، وكان أساقفة الروم الكاثوليك قد استنتجوا أن «عضوية الكنيسة الكاثوليكية لا يمكن أن تتفق مع العضوية الماسونية في وقت واحد» وربما بسبب الخوف من الوصول إلى نفس النتيجة، فإن المحفل الأعظم الإنجليزي لم يستجب لذلك النداء.

إلا أنه في عام ١٩٨٢، بدأ صحفي يدعى ستيفن في بحث الموضوع. وكان اهتمامه الأولي هو التأكد من الادعاءات القائلة بوجود فضائح فساد متعددة في داخل الحكومة المحلية، والشرطة والهيئة القضائية من بين أشياء أخرى كلها

كانت تعزى إلى العضوية المتزامنة مع العضوية الماسونية (الكنيسة والماسونية في آن واحد). وسرعان ما أصبحت مشكلته، ليست كيفية الحصول على المعلومات بل أي المعلومات ينبغي معالجتها على أنها هامة. ولقد وجد السر مكشوفاً والظلام واضحاً بيناً وهو عبارة عن مصدر لا يقدر بثمن لفهم الموضوع، كما أن قراءة هذه المصادر وسعت نطاق بحثه وتحرياته لتشمل الكنيسة بصورة عامة والكنيسة الإنجليزية بصورة خاصة. وعلى هذا فإنه لمساعدة باحثين إنجليكانيين أضاف فصلين إلى كتابه «الأخوية» الذي كان من أكثر الكتب التي لاقت رواجاً في عام ١٩٨٣.

وفي فبراير عام ١٩٨٥ طلب رودريك كلارك، الذي كان آنذاك، ممثلاً علمانياً (ليس من رجال الدين) في أسقفية في المجمع الكنسي العام، طلب وضع تقرير عن انسجام أو عدم انسجام الماسونية والمسيحية، وإلى إجراء مناقشة لذلك التقرير، وبعد تأخير أولي والذي نظر إليه على أنه مماطلة مقصودة من قبل البعض، تم تشكيل مجموعة عمل.

وكان الشيء الذي جعل هذه المجموعة مختلفة عن المجموعات التي شكلتها كنائس بريطانية أخرى، مثل الكنيسة الاسكتلندية عام ١٩٦٥ ومؤتمر المثيوديين عام ١٩٨٤، وهو وجود ماسونيين اثنين بصورة علنية بين أعضاء هذه المجموعة، ولقد كان مثل هذا التعاون من جانب المحفل الأعظم في صميم النقد المتزايد للممارساتهم، وخاصة فيما يتعلق بسريتهم. كذلك كانت هناك استجابة جديدة لإجراء بحث وتحقيق، والذي كان عبارة عن تغيير هام يختلف عن الرفض المتغطرس الذي كانت تتسم به المناقشات على مدى السنوات الثلاثين الماضية. فبدلاً من ذلك فقد قدمت الماسونية على أنها منظمة خاصة لا يوجد لديها أية أسرار تخفيها، ما عدا وسائل وسبل الاعتراف بعضوية.

وفي نفس العام، قام إتش. آر. إتس. دوق كنت بإثارة مسألة العقوبة البدنية مرة ثانية للمناقشة داخل الماسونية، واعياً كل الوعي بصورة لا شك فيها ولا لبس الحساسية والخطورة البالغة لاختراق أسرار الأخوية الماسونية إذا كانت

الكنيسة ستناقش هذه الأمور بصورة دقيقة. إلا أن المحفل الأعظم، قرر في يونيو ١٩٨٦ أن «كافة الصيغ التي تشير إلى العقوبات البدنية قد حذفت الواجبات (صيغ القسم) التي يؤديها المرشح في الدرجات الثلاث وكذلك القسم الذي يؤديه الأستاذ المنتخب لدى تنصيبه، (ولكن القرار استبقاها في مواضع أخرى من الطقوس والشعائر).

وعندما تم نشر التقرير في عام ١٩٨٧، كان من الواضح أن نقاشاً يعقب ذلك سوف لا يتخذ نفس الطريق التي كانت السبب في نشر هذا الكتاب. وعلى هذا فقد توصلت مجموعة العمل إلى الاستنتاج بأن الطقوس والشعائر «يمكن أن تكون فقط إرباكاً شديداً للماسونية وقاعدة قوية يرتكز عليها نقادها».

وكان النقاش والجدال الذي تبع ذلك، سواء في الوسائل الصحفية والإعلامية أو في داخل المجمع الكنسي العام في يوليو عام ١٩٨٧، قريباً جداً من الانحراف عن الخط الصحيح مرة ثانية، فالمسألة أو موضوع البحث غالباً ما كان «هل الماسونية خيرة وصالحة»؟ والذي كانت الإجابة عليه ذكر تفاصيل أعمال البر والإحسان الماسوني بدلاً من أن تكون المسألة المطروحة هي «هل الماسونية على حق»؟ وربما كان هذا بسبب المسألة الثانية التي تتطلب من السائل أن تكون لديه فكرة واضحة عن النواحي الأخلاقية التي يؤكدونها لأنفسهم ـ وهو الأمر الذي ليس من السهل البت فيه، حتى من قبل الكنيسة.

وكانت الاقتراحات التي قدمها رئيس أساقفة يورك، الدكتور جون هايجود، والتي اعتبر فيها الماسونية «لا ضرر فيها على الإطلاق» وأن النقاش كان يعالج المسألة بمنتهى الجدية، هذه الاقتراحات لم تسيطر على مزاج الوفود الموجودة في المجمع الكنسي، أما الدكتورة كريستيان باكستر فقد طالبت بأن يتم تناول التقرير بصورة لا مواربة فيها وبصورة مباشرة. وتساءلت قائلة: «لماذا استغرقنا وقتاً طويلاً في تحذير الناس من أشياء قد تفسد علاقتهم بالله»؟

وقد تلقى التقرير ٣٩٤ صوتاً في صالحه و٥٤ ضده وامتنع ٥ عن التصويت، وتظهر هذه النتيجة بكل جلاء ووضوح أن أعضاء المجمع الكنسي

كانوا يريدون من مناقشة الموضوع في كافة الكنائس، وذلك لأن المجمع يشارك القلق الذي عبرت عنه مجموعة العمل بأن هناك أسباباً جدية وخطيرة فيما يتعلق بالاعتقاد بأن المسيحية والأخوية الماسونية لا تنسجمان معاً ولا يمكن التوفيق بينهما. ومرة ثانية فإن كتاب «السر المكشوف» قدم في هذه الناحية جهوداً مضنية لرجل مخلص للمساعدة في حل موضوع في منتهى الصعوبة والعاطفية.

ويمكن الآن إضافة ملحق ممتع وهام «للسر المكشوف» وهو السؤال الذي كان قد طرحه الدكتور ماسكول منذ زمن طويل، والمتعلق بمدى دقة كتاب هنّه، فقد تمت الإجابة عليه أثناء النقاش من قبل نيافة جون برودهارست، أحد أعضاء مجموعة العمل، في الكلمات التالية حيث قال:

«إن أحد الأسئلة التي كنت مهتماً بها وقلقاً بشأنها هو فيما إذا كنا نعالج طقوساً وشعائر ماسونية دقيقة، وفيما إذا كنا فعلاً ندل المسيحيين على المناطق التي ينبغي عليهم أن ينظروا إليها بكل أصالة وإخلاص، إن القائد أجون هيجام، السكرتير الأعظم للمحفل الأعظم، في ورقته الصغيرة التي (تحتوي على الخضوع والإذعان لما يصدر عن المجمع الكنسي العام) يقول إنها «غير صحيحة تماماً» ولكنه عندما جاء، وسألناه فيما إذا كانت الروايات التي ذكرها هنّه عن الطقوس والشعائر كانت صحيحة فعلاً، قال ـ وكنت سألت بعض أعضاء مجموعة العمل فيما إذا كانت الروايات التي ذكرتها صحيحة ـ قال «مما يؤسف له أنها صحيحة».

إن هذا الكتاب وملحقه، يوصى به لكل من يسعى للحصول على معلومات دقيقة حول الطقوس والشعائر الماسونية، والتعليقات المسؤولة عن أهميتها من وجهة النظر المسيحية.

هامبستبل ـ ١٩٨٨

(١) إن هذا الكتاب يأتي لكشف العلاقة الكامنة بين الماسونية والصهيونية والتي تبدو في الإهتمامات بالهيكل والمصطلحات التوراتية. (الناشر)

(١)

كيف عرف

صرخ هامبتي داميتي، منفجراً في صراخ عاطفي: «إنني الآن أعلن أن ذلك في منتهى السوء، لقد كنت تتنصت على الأبواب ـ ومن وراء الأشجار ـ ومن خلال المداخن ـ ولم يكن باستطاعتك أن تعرفها!».

فقال أليس بكل لطف «في الحقيقة إنني لم أفعل ذلك، إنها في كتاب» فقال هامبتي دابتي بلهجة أكثر هدوءاً «آه لا بأس لعلهم كتبوا مثل هذه الأشياء في كتاب»

لويس كارول ـ عبر المنظار.

إن هناك ما يزيد على ستة آلاف محفل ماسوني تحت السلطة القضائية للمحفل الإنجليزي الأعظم، كما يتم تكريس ما معدله حوالي مائة محفل جديد كل عام. ولما كان الماسونيون في معظمهم ينتمون إلى الطبقات الاقتصادية الوسطى والعليا (فيما إذا كانت هذه التعابير لا يزال لها معنى) فإن من الأمور التي ينبغي إدراك قيمتها وأهميتها فوراً ألا وهو أنهم يمثلون تأثيراً ونفوذاً في غاية القوة والتنظيم.

إن مجال هذه الفصول ليس تحليل ذلك التأثير على الحياة السياسية والاجتماعية للشعب، كما أن مجال هذه الفصول ونطاقها لا يتسع لمناقشة التأثير على أخوية فرسان الهيكل والروزيكروشيين أما محاولة التأريخ للماسونية في

تطورها من الجمعيات المهنية الكاثوليكية، أو محافل بنائي الحجارة العاملين في العصور الوسطى عبر القرنين السابع عشر والثامن عشر للتأمليين ذوي النزعة الدينية الطبيعية، إلى الديانة الكونية غير المسيحية التي تشمل كافة الديانات والتي تدين بها الأخوية الماسونية في يومنا هذا، ولما كانت الماسونية تتداخل مع الكنائس غير الكاثوليكية، وخاصة مع كنيسة إنجلترا، فإن اهتمامي أقرب إلى فحص المدى الذي يمكن فيه تبرير هذا التداخل والتشابك أخلاقياً ولاهوتياً. وبعبارة أخرى، هو تقصي فيما إذا كانت الماسونية منسجمة مع العقيدة المسيحية.

إن أي شخص يقوم بمثل هذه التحريات والتقصيات يواجه منذ البداية بمعضلة ظاهرة ألا وهي أن المعلومات الموثوقة لا يمكن الحصول عليها بسبب رفض أولئك الذين هم في داخل الأخوية الماسونية إفشاء الأسرار كما أن أولئك الذين هم في الخارج لا يمكنه معرفة أي شيء عن هذه الأخوية الماسونية، وهذه هي القصة التي نشرتها الماسونية بصورة ناجحة بحيث إنها ليست مقبولة بصورة عامة من قبل أولئك الذين هم في الخارج، بل وبكل إخلاص من قبل معظم الماسونيين كذلك.

إذن، يوجد هناك سر فقط تم الاحتفاظ به بصورة مقبولة، وخاصة عند الماسونيين، وهذا السر هو الحقيقة القائلة بأنه لا يوجد هناك مثل ذلك الشيء كسر ماسوني محدد.

وعلى هذا فإن ما تم إمراره على أنه سر ليس في الحقيقة سوى خداع وافتراض بأن غير الماسوني ليس مهتماً بصورة كافية للقيام بالتحقيقات والتحريات. ولذلك فإنهم راضون كل الرضى عن هذه النقطة الأخيرة بحيث إنهم لم يقوموا بفرض أي فحص أو تدقيق فعال على المبيعات العامة للطقوس والشعائر المطبوعة (كما أن الناشرين الماسونيين مثل غيرهم من الناشرين، يقومون بعملهم على أساس جني الربح) ولكن إذا أردت أن أصبح سكرتيراً أعظم فإنني سأكون مدفوعاً للقيام بتحريك السماوات والأرضين من أجل إدخال

تشريع يؤكد أن باستطاعة الماسونيين الحصول على الشعائر والطقوس المطبوعة فقط بواسطة سكرتيري محافلهم أو من الرئيس الأعلى.

وبعد ذلك أشجب تلك المنتجات التي يواصل الخارجيون إنتاجها على أنها أعمال قرصنة وأنها غير رسمية إطلاقاً وغير معترف بها. من المحتمل الآن أن يكون قد فات الأوان، بل وحتى حيث يمكن لمثل هذه الخطوة أن تكون فعالة، فإنها سوف لا تعالج مشكلة التأثيرات الماسونية لأخ متوف اتخذت مخلفاته من الكتب والمستندات طريقها إلى سوق الأشياء القديمة والمستعملة عن طريق أرملته التي لا تتعاطف معه.

وقد أوصلني ذلك إلى المصدر الثاني للمعلومات وهو ذلك الفيض من التعليقات والشروحات الماسونية، والمنشورات الدورية، والكتيبات الدليلية، بل وحتى التواريخ التي تتخللها بعض الدلائل بصورة غير مقصودة مثل ذلك الكتاب الممتاز، الموثوق والمتميز بحسن إدراكه واستيعابه مثل كتاب بيرنارد أي. جونز «دليل الماسونية وخلاصتها الوافية» الذي يذكر بأن تيوبال كين (المطبوعة بكاملها) قد ظهرت في بعض الدرجات. وهكذا فإنه فعل ذلك بالرموز. ففي كثير من الطقوس ظهرت كلمة السر للدرجة الثالثة قد أعطيت فعلاً على أنها تي. سي. وكذلك حرف إيه وإم كرمزين لكلمتي صانع الحديد، كما ورد ذلك في سفر التكوين.

لقد تركت كمصدر ثالث وأخير أوضح المصادر الخاصة بالمعلومات، وهي الإفشاءات التي تم نشرها والتي كشفت عن كثير من الأسرار. وهي في غاية الأهمية في دقتها والوثوق بها والاعتماد عليها، كما أنه في الحقيقة والواقع فإن عدم وجود مصدر حديث أو موثوق، هو السبب الذي دعاني إلى نشر هذا الكتاب، وستكون مهمة طويلة ومعظمها لا علاقة لها بالموضوع القيام بمناقشة وتقييم هذه الإفشاءات بصورة تفصيلية وتلك النشرات التي كشفت عن تلك الأسرار، والتي تمتد من بريتشارد ومورغان إلى النشرة الصغيرة السيئة والطباعة البذيئة اللهجة. ويحتاج المرء إلى أن يعرف شيئاً ما عن خلفيتهم التاريخية،

ووضع المؤلفين، وإذا كانوا ماسونيين، دوافعهم إلى إصدار تلك الإفشاءات بصورة منظمة وصحيحة لتقدير قيمتها ومعرفة دقتها. كما ينبغي على المرء أن يقارنها مع بعضها لأن بعضها قد تم تأليفه وجمعه فقط من الإفشاءات السابقة بدون الإشارة إلى المؤلفات الحديثة كما أنه لم يضف إليها أية معلومات جديدة.

وكان الإفشاء والفضح الذي ظهر في الولايات المتحدة هو ذلك الإفشاء الذي أصدره ويليام مورجان السيء الحظ، الذي قاد اختفاؤه في عام ١٩٢٦ إلى تلك الصرخة المدوية العامة بأن الماسونية تعاني هزائم ونكسات حادة في أمريكا والتي امتدت على مدى سنوات عديدة. وكان من بين مطبوعات ونشرات تلك الحقبة كتيب نشره ذلك المبشر الشهير ورجل التربية والتعليم والماسوني السابق تشارلز. جي فيني، الذي يحمل عنوان «خصائص ومطالب الماسونية» وقد أوضح في هذا الكتاب ما جاء في كتاب مورجان قائلاً «إلى الحد الذي يمكن أن أتذكره فقد كان كشفاً حرفياً عن الدرجات الثلاث الأولى كما سبق لي وأخذتها أنا نفسي».

وقد ذكرت فيني بصورة خاصة لأنه بالرغم من أنه ينتمي إلى جيل أسبق فقد كان صديقاً عظيماً وأخاً في طائفة جدي من جهة أمي في أبردين، أو هايو، كما أن استقامته التامة وورعه وأمانة خلقه وصدقه جعلت منه حكيم عائلتنا ومستشارها. وكان هذا هو العامل الذي لا يقدر بثمن الذي كان له وزنه الطبيعي في تقديري وتقييمي للتأكيدات التي جاء بها.

بصراحة وبمنتهى الدقة فإنه في الوقت الحاضر لا يوجد مثل هذا الشيء. فحتى الآونة الأخيرة لم يكن هناك أية طقوس أو شعائر مطبوعة على الإطلاق، وكانت النصوص تحفظ عن ظهر قلب وتنقل مشافهة إلا أنه وكما كان متوقعاً فإن تشكيلات منها بدأت تدخل، وعندما بدأ التسامح بشأن الكتيبات من أجل تثبيت الطقوس وتخفيف عبئها من الذاكرة، ظهرت عدة مؤلفات ممتازة ـ مثل كتاب المحاكاة والاستقرار (يعتبر عموماً نموذجاً) طبعة أكسفورد، بريستل، ومؤلفات كبيرة محلية كثيرة أخرى. وطالما أن المعالم الرئيسية القديمة، والإشارات،

وأشكال المصافحة، والكلمات والبنية العامة للطقوس قد تمت المحافظة عليها وبقيت ثابتة، فإن التشكيلات والأنواع الأخرى الشفهية الاحتفالية التافهة يسمح بها. ومع هذا فإن المحفل الأعظم بقي مصراً على رفض النطق بأي كلمة تقر بها على أنها «رسمية». ولما كانت الطقوس والشعائر المطبوعة غير مسموح بها ولا مباحة داخل المحفل على الإطلاق، فإنه قد تم التسامح بشأنها فقط كدلائل تشير إلى مختلف الاستعمالات في مختلف المحافل، وكوسائل تساعد على الحفظ والاختزان في الذاكرة، ذلك هو وضعها الفعلي فقط.

ومع هذا، فيمكن الافتراض بصورة سليمة أن الناشرين الماسونيين الموثوقين لا ينفقون أموالاً على طباعة طقوس مزيفة بصورة مقصودة بقصد إبقاء الجماهير بعيدة عن شم الرائحة وأن أولئك السادة المحترمين الذين يخزنون تلك القطوس في ذاكرتهم وهم في القطارات والمطاعم إنما يضيعون أوقاتهم بصورة متعمدة، ولذلك فإن هذه الكتيبات، تم عملها وتفسيرها بصورة صحيحة كما أنها أعطت دليلاً معتمداً لمؤلفات المحفل.

إذن يوجد هنا مصدر آخر للمعلومات.

ولكنها بالطبع ليست بتلك الصورة من السهولة، حيث إن هذه الكتيبات كانت قد كتبت بصورة من المفروض أن تكون «واضحة جلية فقط للأخوية الماسونية» كما تحتوي على الفجوات (وهي الإشارات المعطاة الخ). كذلك فإن كثيراً من الكلمات السارية المفعول (وبعض الكلمات التي بطل أثرها) التي تم الإبقاء عليها لتشديد الغموض والخفاء قد أشير إليها إما بالأحرف الأولى، أو الفراغات التامة. ولكن هذه العملية كان عملها في منتهى الخرق وعدم البراعة. مرة ثانية على افتراض أنه لا يوجد هناك أي خارجي سيزعج نفسه ويكلفها عناء دراسة هذه الطقوس بنفس المثابرة والذكاء والاجتهاد الذي قد يخصصه في حل الكلمات المتقاطعة التي تنشر في الصحف أحياناً. وقد تختلف طبعات مختلفة من كتب، ولنقل على سبيل المثال «كتاب المحاكاة، والاستقراء» قد تختلف هذه الطبعات في الكلمات التي رمز إليها بأحرفها الأولى وتلك الكلمات التي

طبعت بصورة كاملة، بحيث إنه بمقارنة عدة كتب فإن كثيراً من الفجوات يمكن ملؤها بمجرد النظر. بل وحتى حيث لا يمكن تطبيق ذلك، فإنني أعترف ـ حيث لدي فكرة عامة عن أن القصص الماسونية، هي من بعض النواحي مرتبطة بهيكل الملك سليمان ـ بأن مثل هذه القطع المقتبسة مثل القطعة التالية «التي تصف (كلمة) الدرجة الأولى، يمكن فوراً فك رمزها مع شيء من الاحتمالية بدون الرجوع إلى سفر الملوك والأجزاء الأخرى ذات العلاقة في التوارة ـ فهذه الكلمة مشتقة من الهيكل وممراته ودرجاته كما سيتم شرح ذلك فيما بعد. كذلك فإن كتيبات التعاليم الماسونية فيما يتعلق بمعاني الطقوس فإنها مرتبطة بصورة واضحة جلية بالهيكل بل وحتى بالكلمات التي تتحدث عن عمود الهيكل، من الواضح إذاً أنه لا يوجد هناك سر كبير.

إن أكثر الإفشاءات والكشوف الموثوقة والتي يعول عليها فيما يتعلق بدرجات الأخوية الماسونية التي جاءت في مؤلف ريتشارد كارلايل «كتيب عن الماسونية» الذي صدرت منه خلال القرن الماضي عدة طبعات ولا يزال مطلوباً ويمكن الحصول عليه، مع ذلك لم تتم مراجعته أو تنقيحه إطلاقاً، كما أن هناك العديد من الاختلافات الطفيفة بين كتيب كارلايل وكتاب «المحاكاة الصارمة» بما في ذلك واحد من هذه الاختلافات الواردة في «الأسئلة الاختبارية» والتي اعتقد أنه تم استخدامها كشرك عمد لاصطياد الكذاب، ففي ما يدعى الدرجات العليا فقد ضل سواء السبيل بصورة أكثر جدية ـ «فالغايات المقدسة» على سبيل المثال، ظهرت على شكل ترجمات صوتية سخيفة لا معنى لها بكلمة «التوجيهات». كذلك فإن ترجمته للإشارات الواردة «القنطرة» القنطرة الملكية، مختلفة تماماً عن الطريقة التي أعطيت بها في هذه الأيام. مع هذا فإنه، في درجات الأخوية الماسونية الثلاث، بالرغم من وجود ميل خفيف نحو الإسهاب اللفظي بصورة أكثر مما وجد في المؤلفات الحديثة، فإن كارلايل بلا شك بالغ الدقة إلى حد بعيد، ومرة ثانية يوجد لدي تأكيدان شخصيان يؤكدان ذلك وهما مختلفان تماماً عن مسألة الاتفاق العام بين هذا الكتاب والطقوس والشعائر

الحديثة الموثوقة. فقد ولي أحد أصدقائي من رجال الدين الذي كان يستمتع بماسونيته نوعاً ما، ولكنه كان يرفض أن يحملها محمل الجد، أقر لي بصورة صريحة في عنفوان مجادلة جرت معه بأن المسألة السرية ما هي إلا خدعة كبرى وذكر كارلايل على سبيل المثال، قائلاً بأنه إلى سوى ما وصل إليه علمه فقد كان كارلايل دقيقاً بصورة منطقية ومعقولة، كما أن الإشارات، وأشكال المصافحة والكلمات كانت بكل تأكيد في منتهى الصحة والدقة يوجد لدي نسخ تضم في ثناياها عدة أوراق من الأوراق الماسونية الحقيقية الأصلية التي لا شك فيها ولا ريب ـ ويبدو أحد هذه البطاقات الصغيرة التي تبدو هرباً قائمة لتواريخ لعبة الكريكيت، وقد طبعت في داخلها الأسئلة الاختبارية بصورة خفية وغامضة لا يفهمها إلا القلة، بالإضافة إلى الاستدعاءات للمثول أمام المحفل، وإيصال بالرسوم المدفوعة. كما يوجد فيها أيضاً ملاحظات معينة بالقلم الرصاص وبعض التصحيحات التي يبدو أنها كانت تشير إلى أنها كانت قد استخدمت قبلاً من قبل أحد مسؤولي المحفل لتعلم طقوسه وشعائره.

وبمقارنة هذه الإفشاءات والانكشافات مع الطقوس والشعائر الحديثة للناشرين الماسونيين، وبمقابلة الواحدة منها بالأخرى، يمكن للمرء أن يجد الأجوبة لكافة الأماكن الواردة والحروف الاستهلالية بدرجة عالية من الدقة واليقين. حيث يوجد هناك قاسم مشترك بين المعقولية والتسلسل المنطقي، فعندما يغطي كل إفشاء أو كشف على سبيل المثال رواية متطابقة لشكل من أشكال مصافحة درجة من درجات الماسونية، وعندما ذكر مؤلف حديث طقساً يقول بأن الـ «أي» (الحرف الأول من المصافحة باللغة الإنجليزية) أو الـ تي أو إن الخ قد قام بإعطائها «إيه. دي. بي. أو. تي. تي. أو. تي. تي. جي. أو. تي. إتش، وعندما تكون قد أعطيت هذه المصافحات بصورة منتظمة ثم تسلمها من الطرف الآخر، فإنها تصلح لتميز (الرفيق) «إيه» من قبل الأخ وكذلك من قبل الأخ «دي»، ولا يمكن للمرء إلا أن يفترض بأن هذه المصافحة أو الإشارة قد تم إعطاؤها بواسطة ضغطة مميزة بالإبهام على المفصل الأول لليد، والبديل

الوحيد لافتراض هذه الحقيقة الواضحة الجلية لهذه الاكتشافات هو افتراض وجود خدعة هائلة على نطاق عالمي يشترك فيها كافة الماسونيين، الذي يتفوقون في الذكاء والبراعة والثبات والدهاء وحوك المؤامرات التي عرفها الجنس البشري حتى الآن. ولكن مما لا شك فيه أن معظم الماسونيين أبسط بكثير من أن يصلوا إلى هذا المستوى، وإنها محض مصادفة وتزامن بأن ما «يعتقد» أو يفترض أنها وسائل تعارف في الغالب.

وقد تناولت هذه المسألة الخاصة بالسرية الخيالية التصورية للأعمال الماسونية بصورة مطولة ربما تصل إلى درجة الإملال، من أجل تمكين القارىء من التقدير الصحيح والتقييم الدقيق لرد الفعل الماسوني العادي والغريزي لهذه الإفشاءات والكشف عن هذه الأسرار، إن «الكتب التي تزعم بأنها تعطي أسرار الماسونية» «ماذا اعتقد فلان وفلان في نفسه إنه قد اكتشف» كل ذلك يكادأن يكون عبارات عادية مبتذلة وعبارات لا تشفي غليلاً، حيث إن إدخال الشك أو عدم الدقة الفجة الواضحة بصورة صارخة موجودة هناك دائماً. ولكن دعنا أن لا نصدر أحكاماً قاسية على تلك الوسائل التي تبدو قريبة من عدم الأمانة والصدق المتعلقة بعدم تصديق هذه الخدعة، لأن الماسونيين كانوا قد أقسموا جهد يمينهم على الإنجيل أن لا يفشوا تلك الأسرار إطلاقاً.

فإذا ما قام ماسوني من أصدقائك بإعطاء رأيه في هذا الكتاب، فإنك إما أن تتلقى منه جواباً بعبارات غير مؤدبة، أو يخرج بالصمت عن لا ونعم، ولكن ما يتحدث به الماسونيين عن هذا الكتاب بين بعضهم، فهو مسألة مختلفة تماماً، وفي الحقيقة إنه التهامس بإشاعتين في دوائر ماسونية معينة، الإشاعة الأولى تقول بإنني أنا نفسي كنت ماسونياً وتم طردي بسبب سوء سلوكي وانحطاط أخلاقي، والثانية تقول إنني قدمت طلباً للعضوية، ولكن رفض الطلب بعد التصويت عليه، إلا أنه لا يوجد هناك ذرة من الحقيقة في كلا الإشاعتين، حيث إنني لم أفكر يوماً في أن أصبح ماسونياً.

ولكن في النهاية، إن باستطاعتي الكشف عن إنه قد تم القيام بفحص

وتدقيق ومقابلة لكشفي عن الشعائر والطقوس وفضح أسرارها. إذًا إنه يوجد لدي صديقان يعيشان في جزأين بعيدين مختلفين من البلاد، وقد أبقيت كلًّا منهما بصورة متعمدة في جهل عن وجود الآخر، وكلاهما، بصورة لا شك فيها ولا ريب، ماسونيين، كما أن كلًّا منهما قد أقنعني بصحة وأصالة شهاداته. وهذان الصديقان كانا من رجال الدين الذين توصلوا إلى النتيجة القائلة بأن «القسم المبني على ادعاءات زائفة باطل ولاغ»، وقد تطوع كل منهما بدافع الضمير ودون توقع للحصول على كسب مادي بأن يقوم بمراجعة وتصحيح مخطوط الكتاب بالإضافة إلى التضحيات مع فسح المجال أمام الاختلافات في الأشياء غير الجوهرية بين محفل وآخر، في كل حالة متفق عليها[1].

والآن بقيت مسألة واحدة. وهي الحجة البالية ذات النزعة الماسونية التي تقول بأن الشخص الذي يكون قادراً على الحنث بالقسم الماسوني يكون قادراً على أن يقول غير الحقيقة التي قد يكون لها وزنها عند الأقلية، ولكنني أترك الرد على هذه الحجة للقارىء ليحكم فيما إذا كان باستطاعة شخصين مجهولين وغير معروفين لدى بعضهما البعض، أن يجعلا مني ضحية خداع وغش متعمد، وذلك عن طريق تلفيق أكاذيب متطابقة على أشياء تافهة متطابقة، عندما يكونان كلاهما متحمسين لإظهار الحقيقة.

---

(١) إن الحركة الماسونية ذات علاقة سرية بالصهيونية وتحاول التعمية الكاملة عن حقائقها، وتعتبر بطقوسها وصلواتها ومصطلحاتها ذات أصول توراتية لإعادة الهيكل الذي يمثل كل محفل رمزاً لهذا الهيكل الذي بناه النبي سليمان عليه السلام، وهي أسلوب سري لخدمة اليهود وتصطدم مع كل الديانات السماوية وخاصة (المسيحية والإسلام) (الناشر).

(٢)

لمـاذا كُتب

لقد قلت:

يا كريستوفر روبين، يجب أن تسقط المنطاد ببندقيتك، فهل أتيت ببندقيتك؟»

«بالطبع لقد أحضرتها، فقلت: «إذا فعلت ذلك فإنك ستتلف المنطاد».

فقال بوه «ولكنك إذا لم تفعل، فإنني سأتركه يذهب حيث شاء، وذلك سيتلفني أنا».

عندما وضع القضية بهذه الصورة، فقد رأيت كيف كان الوضع، ولذلك فقد صوبت بكل دقة على المنطاد، وأطلقت النار.

فقال بوه «أوه».

عندها سألت: «هل أخطأت»؟

فقال بوه: «إنك لم تخطىء بالضبط، ولكنك أخطأت المنطاد. فقلت «إنني آسف» وأطلقت النار ثانية، وفي هذه المرة أصبت المنطاد، وخرج منه الهواء ببطء وعندما هبط ويني ذي بوه عائماً إلى الأرض.

إيه. إيه. ويني. ذي. بوه.

لم يكن الدافع الذي حفزني إلى إنتاج هذا الكتاب إثارة أو إسخاط أصدقائي الماسونيين العديدين، ولا هو مجرد استسلام للإغراء الذي يدعو إلى كشف خدعة كبيرة هائلة وهتك أسرارها. بل إنه كان هناك أعداد متزايدة من رجال الدين وعامة الناس الورعين الأتقياء في كنيسة إنجلترا لديهم شكوكهم

الخاصة بالماسونية التي لم يكن للأجوبة المراوغة الغامضة بالضرورة التي يصدرها الماسونيون أن تزيل هذه الشكوك وتبعد هذه الأوهام. إنهم على تمام المعرفة بأن كثيراً من ذوي المراكز العالية والشهرة سواء في داخل الكنيسة أو في الدولة هم أعضاء في الماسونية لذلك فإن أية حجة ضدهم سوف لا تكون من الناحية المنطقية أقوى من الحجة المقابلة التي سيردون بها، وخاصة عندما نتذكر بأن هذه الشخصيات المتميزة لا توجد لديها معرفة سابقة عن التعاليم التي أقسموا على التمسك بها والولاء لها وعدم إفشاء أسرارها.

إن هناك رجال دين تابعين أيضاً للأبرشية، ممن هم على يقين من أنه بالرغم من أن معظم التابعين لأبرشيتهم من الناس العاديين بل ومن المحتمل أيضاً من وكلاء الكنيسة وقيميها وأعضاء كنيسة الأبرشية نفسها، هم أيضاً أعضاء في المحافل الماسونية فإن هناك أعداداً كبيرة أخرى من الذين يبدو أنهم وجدوا في الماسونية بديلاً تماماً وكافياً عن الدين. وعلى هذا فإن أولئك الذين يعتقدون بالكنيسة والكنيسة وحدها لها سلطة يسوغ على الأرض لتعليم الحقيقة الدينية.

وتجديد القوانين والتعاليم الأخلاقية بصورة علنية دون خشية أو خوف، ربما يشعرون بصورة مشروعة بشيء من القلق والانزعاج إزاء فكرة وجود هيئة أخرى بشرية صرفة تقوم بذلك العمل تحت قبة مبنى ضخم هو المحفل الماسوني. ومرة ثانية فإن التأكيدات المتكررة بأن الماسونية لا يمكن أن تتناقض مع الاعتقادات الدينية لأي شخص ليست دائماً كافية لتخفيف تلك الشكوك وإزالة تلك الالتباسات فلو أن رجال الكنيسة يتلقون التعاليم الأخلاقية ومبادىء وقواعد السلوك (مهما كانت ضارة أو مفيدة) من مصدر خارجي، فإن الكنيسة بلا ريب، لها الحق، إذا لم يكن من واجبها، أن تحقق في الأمر وتتقصى أبعاده.

الرغم من أن قليلاً جداً من المعلومات متوفر وجاهز، إلا أن عرضاً مباشراً وصريحاً للطقوس نفسها التي تجري في الدرجات الماسونية الثلاث بالإضافة إلى القنطرة الملكية (النظام الماسوني برمته كما هومعترف به رسمياً من قبل

المحفل الأعظم) سيمكن الناس ممن لديهم تلك الشكوك، وأيضاً لا يوجد لديهم متسع من الوقت للبحث والتقصي المطول. أن يصدروا حكماً بأنفسهم ولأنفسهم.

ويعتقد أحياناً أن هناك سراً ما داخلياً يتم نقله شفهياً إلى المرشح للدخول في العضوية، ولكنه من الغموض والسرية بحيث لا يمكن التنويه عنه في الشعائر والطقوس المطبوعة. ومع ذلك فإن بإمكاني طمأنة القارىء، من المعلومات الماسونية الشخصية الوفيرة وكذلك من الأبحاث والتمحيصات في الإفشاءات والكشوف السابقة بأن الأمر ليس كذلك إطلاقاً. ففي شرب نخب العضو الجديد في المجلس الاحتفالي في وقت لاحق من الضروري أن يلقى الأستاذ المبجل كلمات قليلة حول معنى وامتيازات الماسونية، ولكن هذا الأمر لا يسير بموجب طريقة أو شكل رسمي. كما أن طبيعة مثل هذه التعاليم من النادر أن ترتفع فوق التفاهة والابتذال، وتعتمد كلية على وجهة نظر الأستاذ. ففي محفل من طراز المدرسة القديمة المكسو بالقماش المبرقش قليلاً قد يبلغ العضو المنتسب حديثاً بأن الماسونية هي وصيفة الكنيسة وخادمتها، بينما في محفل رجال الأعمال فإن الأستاذ قد يعلن بأنه بالرغم من عدم استطاعته الإجابة على كل سؤال، إلا أنه يعتقد بأن الماسونية هي أنقى وأطهر ديانة في العالم.

وفقط شرب النخب المخلص الصادق للملكة والأخوية وشرب نخب الرئيس الأعلى (إلى كافة الماسونيين البؤساء والمحرومين) هذه الأنواع من الأنخاب فقط التي تتبع شكلاً وأسلوباً معيناً ومقرراً أن التعاليم الماسونية موجودة بصورة تامة وشاملة في الأعمال والمؤلفات الموجودة في المحفل والمحاضرات والرموز والشعارات وعلى هذا فقد يكون بالإمكان أن تدرس بكليتها وبشمولها في هذه الصفحات. حيث لم يحذف أي شيء ذي قيمة، و«السر الداخلي» الوحيد هو الأسلوب الماسوني في الحياة المبني على الأخلاقية الرمزية، كما أن هذا التعبير للتطبيق على الحياة المقدسة للكنيسة.

إذن سيرى أنه لا أساس له من الصحة إطلاقاً ذلك القول الماسوني

الببغائي الذي يقول بأنه ليس باستطاعة من هو غير ماسوني أن يكوّن رأياً عن التعاليم الماسونية والوصول إلى أي فهم لما تعنيه كافة تلك التعاليم، وبعد كل شيء، فإنه ليس من الضروري إطلاقاً أن تصبح عضواً في كنيسة الروم الكاثوليك من أجل أن تفهم كافة تعاليمها. وذلك مرة ثانية جزء من الخدعة الكبرى التي على أساسها يرفض الماسونيون نفسهم أن يخدعوا. لأنه، بعد كل شيء، لا يحب أي إنسان أن يقر بأن قسماً على السرية يقسم به على الإنجيل ما هو إلا محاولة لوقاية وحفظ أشياء ليست سرية إطلاقاً، إن القسم تبعاً لذلك مهزلة لا معنى لها.

وإذا ما اعترض بأنه بإعطائي الإشارات والمصافحات والكلمات بصورة تامة وكاملة فإنني بذلك أقوم بمخالفة لا حاجة لها بنشري مسائل لا تمت بصلة إطلاقاً للمعنى الحقيقي الذي تقصده الماسونية، فإن باستطاعتي أن أجيب بأنني أفعل ذلك لسببين، ولا لأثبت رأيي بأنه لا يوجد هناك أية أسرار في الماسونية ولذلك فإن الواجبات المهيبة أي أشكال القسم الوقورة ما هي إلا مهزلة بل إنها باطلة ولا أساس لها من الصحة. وثانياً لو قمت بنسخ الطقوس وأعدت إنتاجها غير كاملة في هذه المفردات فقد يُدس ويوحى بأنها غير كاملة في مفردات هامة أخرى أيضاً، وإن المعرفة الخارجية لها لا يمكن إلا أن تكون جزئية جداً. إنني على تمام المعرفة بأن كل محاولة ممكنة ستبذل من أجل تكذيب وتشويه سمعة وحظر هذا الكتاب وربما يتم الصفح عنه وتغتفر زلته للرغبة في إحباط مثل هذا العمل سلفاً.

إنني أعتقد بأن سراً يشترك فيه نصف مليون شخص في بريطانيا وحدها والذي يمكن اكتشافه فوراً على أرفف أية مكتبة جيدة لا يكمن أن ينظر إليه في نفس الضوء الذي ينظر فيه إلى سر شخصي أو عائلي والذي إذا تم اكتشافه عن طريق التحديق والتطفل أو بالصدفة سيكون من العار إفشاؤه وهتك أستاره. فإذا كانت إعادة نسخ ومعالجة الأسرار والخفايا الماسونية التي هي حكر على خاصة الخاصة تعتبر حنثاً بالقسم وحلفاً بالكذب بصورة غير مباشرة، عندئذ سيكون

قيام العديدين من العلماء والكلاسيكيين بأبحاثهم في أنواع الديانات والعبادات الخفية السرية الغامضة التي ترجع إلى الماضي ينبغي أن يدرج تحت نفس الإدانة والمنع والحظر. فالخفايا والطقوس التي كان يمارسها الإيليسين من عبدة الظواهر الطبيعية في اليونان القديمة، على سبيل المثال، كانت سراً، فهل سمح بهذا على أساس أنهم ماتوا وأن الماسونية لم تمت، ولكن لنفرض فقط من أجل النقاش والمجادلة، أنه اكتشف في بعض القلاع الإيجية القديمة المنعزلة أن هذه الطقوس والشعائر لا تزال محفوظة حية إلى الآن. فهل يجعل هذا الأبحاث التي يقوم بها العلماء شيئاً مخزياً وفاضحاً؟

كذلك إنني على تمام الاقتناع بأنه بالنسبة لأي مسيحي يقوم بإلزام نفسه بمنظمة دينية (أو حتى يتجنب السؤال، بالانتساب إلى منظمة شبه دينية) تؤدي الصلوات والأدعية والعبادة لله والتي تستبعد عن عمد اسم سيدنا ومنقذنا يسوع المسيح، والذي باسمه فقط يتم الخلاص، ما هو إلا مرتد، كما أنني على تمام المعرفة بأن هناك العديد من المسيحين، بل وحتى رؤساء الأساقفة، هم أيضاً ماسونيون لا ينظرون إلى هذا الأمر بهذه الطريقة إما لأنهم لا يأخذوا طقوسهم على محمل الجد، أو لأنهم يفسحون المجال لاعتبارات أخرى مثل أعمال الخير والبر والإحسان والاستقامة الخلقية للأخوية الماسونية، بأن ترجح على المضامين الوثنية الواضحة في صيغها. إن الإنجليزي بيلاجوس (أي منكر للخطيئة الأولى) في صميم قلبه، لذلك فإن أملي المخلص هو أن يكون هذا الكتاب ليس صالحاً فقط لإعطاء المعلومات لغير الماسوني بل لعله أيضاً يهدي الماسوني المسيحي سواء السبيل ويجعله يعيد النظر في موقفه. لعله يسأل نفسه منذ البداية هل مباح ومشروع أخلاقياً أن يلزم نفسه سلفاً، عن طريق أداء قسم على الإنجيل، بالمحافظة على السرية والإخلاص والأمانة لمنظمة معينة وتدعو إلى عقيدة وأخلاق لم يكشف له أي شيء منها سابقاً ولم تشرح له أهدافها مسبقاً؟ هذا هو حجر العثرة الأولى التي يواجهها الماسوني المسيحي الذي هو على تمام الاطلاع والمعرفة باللاهوت الأخلاقي والقيم الدينية.

(٣)

الواجبات الماسونية

أي أشكال القسم المقررة

قالت الملكة «أرى أن تقطع رؤوسهم. وعلى هذا فقد تقدم الجلاد، وبقي ثلاثة من الجنود وراءه من أجل إعدام البستانيين الثلاثة الذين فروا ملتجئين إلى أليس لحمايتهم.

فقالت أليس «سوف لا تقطع رؤوسكم» ثم وضعتهم في حوض أزهار كبير في مكان قريب. عندها قام الجنود الثلاثة بالتجول لدقيقة أو دقيقتين بحثاً عنهم، وبعدها ساروا بعيداً بحثاً عن آخرين.

صاحت الملكة «هل قطعت رؤوسكم»؟

فصاح الجنود رداً على الملكة «لقد ذهبت رؤوسهم إذا كان ذلك يسر جلالتك!.

فصاحت الملكة «هذا شيء حسن. هل باستطاعتكم لعب الكروكي (الكرة الخشبية)؟».

فقالت أليس: «ما هو هذا الهزل والمزاح»؟

فقال جريفون: «الماذا، إنها ــ أنه من صنع خيالها، لأنه إنهم لم يعدموا أي شخص إطلاقاً كما تعلمين».

لويس كارول ــ أليس أند وندر لاند

إن صيغ القسم، أو الواجبات المقدسة كما يعبر عنها في الطقوس والشعائر، قد تثير شكوكاً بين الماسونيين المفكرين أنفسهم أكثر مما تثيره أية

نواح أخرى من الممارسات الماسونية، والنص الكامل لهذه الواجبات المقدسة، والمناسبات التي تؤدى فيها ستكون موجودة في الدرجات الماسونية كل فيما يخصه، ولا حاجة لإعادتها مرة ثانية بصورة مطولة.

ويؤدي المرشح هذه الأشكال من الإيمان وهو راكع وإحدى يديه على إنجيل مفتوح. ويقوم الشمامسة بجعل صولجاناتهم تتقاطع فوق رأسه، وبالرغم من أن الأستاذ الموقر كان قد أعلن بأن القسم لا يحتوي على أي شيء يمكن أن يتناقض مع واجباته الاجتماعية والأخلاقية والدينية، إلا أن المرشح يجد نفسه يعيد وراء الأستاذ عبارة إثر عبارة، تعابير من تلك التي لم يسبق له إطلاقاً أن استعملها إلا في المزاح أو التجديد. ويعتبر نفسه عرضة ومستحقاً لأن يسام سوء العذاب وأنواع التشويه والتمثيل إذا ثبت أنه غير مؤمن. وأن حنجرته ستقطع، ولسانه يقتلع، ويشق الجانب الأيسر من صدره، وتشطر جثته شطرين، وتتحول أمعاؤه إلى رماد، ويفصل رأسه عن جسده، وتقطع يده اليمنى، ويلقى به على كتفه الأيسر ليذوي ويهلك.

وربما يكون في أيام الدراسة في المدرسة قد استخدم مثل هذه التعابير مثل «قطع حنجرتي وأتمنى الموت» مصحوبة بإيماءة مناسبة، وبذلك يكون قد أعطى إشارة العقوبة بصورة غير مقصودة والخاصة بالدرجة الأولى، ولكنه إذا كان قد نشأ وتربى في أسرة مسيحية فإنه بكل تأكيد سيكون لديه شكوك حول حلفه بهذه الكلمات وهو راكع على ركبتيه وإحدى يديه على الأنجيل.

كذلك يجب ملاحظة أنه بالرغم من أن قسم الدرجة الأولى يتعلق فقط بالسرية، فإن أشكال القسم الذي يؤدي في الدرجة الثانية والثالثة وفي القنطرة الملكية تحتوي أيضاً على مبادىء أخلاقية وولاءات معينة، والتي يحمل انتهاكها في طياته عقوبة الموت كذلك، حيث إن المرشح يقسم أنه سيقبل عقوبة أن يشطر إلى نصفين، مثلاً، إذا فشل في أن يطرد ويبعد بشجاعة ذلك المفتري الذي يحاول تشويه سمعة أخيه الماسوني، أو إذا كانت تضرعاته وتوسلاته اليومية لم تذكره بحاجة أخيه. كما أنه يعلن قائلاً: «إنني أقسم قسماً لا إثم فيه،

إنني سأراعي تطبيق كافة هذه النقاط دون مراوغة أو مواربة أو التباس أو تحفظات عقلية من أي نوع كانت، تحت وطأة أية عقوبة».

كما ينبغي التسليم بأن معاملته لدى دخوله في العضوية تكون أكثر منطقية، فقد أدخلت عقوبة بديلة (ربما في تحريف أو تعديل متأخر) تسمه على أنه «خال من كل قيمة أخلاقية» الخ، ولكن في إنجلترا واسكوتلندا، على الأقل، فإن هذا يظهر فقط في نوع القسم الذي يؤديه المبتدىء الداخل حديثاً؛ مع الافتراض بأنها تطبق بصورة متساوية على العقوبات المنصوص عليها في الدرجات الأخرى عندما لا يوحي وجودها بأنها تعني «المراوغة والمواربة».

كذلك فإن الواجبات المقدسة وأنواع الممارسات الإيرلندية أكثر منطقية، حيث يتم أداؤها في كل درجة حيث يقال: «واضعاً في ذهني العقوبة القديمة. . وملزماً نفسي بأن تحل بي العقوبة الحقيقية بأن أوسم بأني بائس جدير بالاحتقار والازدراء». الخ. قد ساعد ذلك على تخطي بعض الصعاب. ولكن كيف يتأتى للأسكتلنديين أو الإنجليز أن يتخطوا صعابهم؟.

إن المسألة محفوفة بالصعوبات والمعضلات.

فإما أن تعني الأيمان التي تؤدي ما تنص عليه، أو لا تعني ذلك، فإذا كانت تعني ما تقول، فإن المرشح عندئذ يكون قد دخل في اتفاقية تقضي بأن يتم قتله هو نفسه بواسطة أنواع من العذاب البربري الهمجي والتشويه وتقطيع الأوصال إذا أفشي ذلك السر أو نكث بذلك العهد والقسم المقدس. وإذا لم تكن تعني ما يقول فإنه يكون عندئذ قد أقسم بسخف طالب مدرسة بصورة رنانة طنانة على الأنجيل، الأمر الذي تضعه على حافة التجديد وتدنيس المقدسات.

ومرة ثانية، في قسم الدرجة الثالثة الماسونية، نجد أن المرشح يقسم بأنه سوف يحترم ويحافظ على أسرار أخ ماسوني، «من قتل وخيانة، وجنحة وكافة أنواع المخالفات الأخرى التي تتعارض مع قوانين الله وشرائعه والأوامر التي تعتبر شاذة وغير مقبولة في كافة الأوقات في أي مجال من المجالات أو مكان من الأمكنة».

ومما لا شك فيه أن هذه الفقرة تحافظ على صيغ القسم من أن تصبح في تناقص مع قوانين البلاد. حيث إنها تزيل أي اشتباه في أن باستطاعة ماسوني إنجليزي محترم أن يكون منشقاً سياساً، أو محرضاً على الفتنة والعصيان، مع ذلك فإن هذه الفقرة ذاتها التي تضمن المحترمية الماسونية، تجعل، في نفس الوقت، العقوبة التي تتبعها، سخفاً وهراءً. لأنه بالرغم من أنه لم ينص في أي مكان أو حتى يلمح تلميحاً إلى من سيعهد إليه بمهمة تنفيذ العقاب، فإن الواضح الجلي أنها معارضة لقوانين الله وللأوامر التي يقضي بأنها يشطر المرء إلى نصفين وتتحول أمعاؤه إلى رماد لأية مخالفة مهما كان نوعها. حيث إنه إذا رئي أستاذ قديم يجول في الشوارع وقد انتهى رسغ يده اليمنى في جَدَعة، وقل ألقيت يده الذابلة والتالفة على كتفه الأيسر، فإن له كل الحق في استدعاء الشرطة للقيام بحماية من المزيد من الأعمال البالغة الغرابة في بشاعتها.

إن الجواب البسيط الذي تمليه الفطرة السليمة على هذه الصعوبات والفظائع هو أنه لا يوجد هناك أي ماسوني يأخذ المعنى الحرفي لهذه الصيغ من الأيمان المقدسة وأنواع الحلف. حيث إنه سيقول بأن التعهد بالتزام السرية، قد اتخذ في الحقيقة بصورة جدية، إلا أن العقوبات من الناحية الأخرى رمزية محضة، وينبغي فهمها بالمعنى الإيرلندي.

ولكن بينما هذا الأمر صحيح بكل تأكيد، إلا أنه لا يزيل الاعتراضات، فالتفسير الرمزي يعني أن الماسوني عديم الإيمان يستحق أقصى غايات العقوبة البدنية حتى ولو لم يكن بالإمكان ولا ينبغي إيقاعها، كما أن الماسونيين أنفسهم سيكونون أول من سيعبرون على الرعب والهلع فيما لو تم إيقاعها إطلاقاً، إن ذلك القتل الماسوني المشتبه به بصورة قوية الذي حدث في السنوات الأخيرة، ذلك القتل المتعلق بويليام مورجان، في ولاية نيويورك عام ١٨٦٢، قد قاد إلى استقالات جماعية من المحافل الماسونية، بالإضافة إلى إنكار المسؤولية، والكسوف العام الذي أصاب الأخوية الماسونية في الولايات المتحدة الأمريكية بعض الوقت، بينما تفرض الناحية المنطقية عليهم أن يمجدوا تلك الحادثة على

أنها عمل من أعمال تطبيق العدالة التي تتفق وتتلاءم مع أنواع القسم التي تم أداؤها على الكتاب المقدس. إلا أن هذا في حد ذاته يبين عدم واقعية هذا الوضع، ومهما كان شكل أو نوع التأويلات والتفاسير الرمزية، فإن أنواع القسم تعني ضمناً بأن الطيش والحماقة التي توصل إلى الكشف، على سبيل المثال، عن هوية العمودين القائمين على مدخل هيكل الملك سليمان بكلمات الدرجة الأولى والثانية، تستحق نوعاً من التعذيب البربري غير المسيحي الأكثر قسوة وبشاعة من الذي يفرضه المجتمع على الخيانة العظمى، والاغتصاب والقتل، بل حتى أن الشرع والتأويل الرمزي ينتهك حرمة العدل والانسجام والمنطق.

وبالرغم من أن التفسير الرمزي للفقرات التي تتعلق بالعقاب مقبولة عالمياً في الممارسة العملية، فإن من المستحيل أن يتمشى أو ينسجم مع التصريح الدقيق وطبق الأصل والصيغة الفعلية التي تم القسم بها على الإنجيل وفي الحضرة الإلهية «دون لبس أو غموض أو مواربة أو تحفظات عقلية من أي نوع كان». وهذا يلغي ويبطل أية إمكانية لأي فقرة في أنواع القسم أو ما يسمى بالواجبات المقدسة، أن تعني غير ما يقول، أو أن تؤخذ بمعنى مختلف عن ذلك الذي تم التعبير عنه بكل جلاء ووضوح.

وبالطبع، يوجد هناك، الحجة القديمة التي ورثناها عن الماضي الغابر. وتقول هذه الحجة إن هذه الأنواع من القسم ما هي إلا علامات على الحدود وأشياء لا تقدر بثمن من الماضي البدائي أقل حساسية ومغالاة إزاء العدالة المثلمة والتي تستعمل لتمشية الحال، مما هو موجود الآن في بلادنا. إلا أن الزمن بحد ذاته لا يبرر أو يجعل من الخطأ صواباً ومن الباطل حقاً. فالمنطق يقول بأن هذه الحجة يمكن أن تطبق على ما هو باق من الإفراطات التي كانت تمارس في احتفالات باخوس إله الخمرة عند الرومان في الإسراف في الشرب والعربدة.

ولعل المسيحين يشعرون تماماً بأن العقوبات ليست وحدها التي لا تنسجم إطلاقاً مع الجريمة ولا تتوافق معها، بل إن أنواع القسم نفسها، التي تؤدى على

الإنجيل في جو من المهابة الدينية، هي تعتبر تجديفاً وتدنيساً للمقدسات، ومما لا شك فيه أن هناك العديد من الماسونيين، وبينهم المسيحيون، ممن يفاقمون هذا التجديف عن طريق اتخاذ الجانب الديني الماسونية بصورة خفيفة تكاد لا ترى أو يتم الإحساس بها، وبفعلهم ذلك قد يشعرون بأنهم ناجون من الإدانة بأنهم ينتمون إلى ديانة غريبة، ومع ذلك فإنهم في نفس الوقت بفعلهم ذلك يريدون فقط في نسبة التجديف وانتهاك المقدسات الموجودة في تلك الأنواع والأشكال من القسم والإيمان التي يؤدونها على الكتاب المقدس.

فإذا كانت الماسونية، التي تعترف بأنها مبنية على ممارسة كل الفضائل الأخلاقية، إذا كانت تدعي أن هذه الأيمان وأشكال القسم المقدسة بما تحويه من عقوبات متعطشة لسفك الدماء هي منسجمة ومتلائمة مع المسيحية، فإن المرء ليعجب فيما إذا كان الماسوني المسيحي سيرى أي شيء من عدم الملاءمة في تقريب كتاب الصلوات العامة من الاستخبارات الماسونية، لنفرض، على سبيل المثال، أن مرشحين لتثبيت العمّاد طلب منهم تأدية قسم يقولون فيه «إنكم بهذا القسم، أمام الله ووجوده، تجددون الوعد المقدس وتقسمون أن ذلك تم باسمكم لدى تعميدكم ـ تحت عقوبة لا تقل عن حزّ حلاقيمكم عرضاً، واقتلاع ألسنتكم من جذورها، ودفنكم في رمال أعماق البحار»؟ وإذا كان يحق للمسيحي أن يؤدي مثل هذه الأيمان في هيكل ماسوني مكرس لله، فلماذا يبدو قسم مماثل له على أنه تجديفي (مهما تم شرحه وتأويله بصورة رمزية) إذا تم أداؤه في كنيسة مكرسة لله؟.

من المحتمل أن يكون الجواب الوحيد هو أنني آخذ هذه الأمور بمنتهى الجدية، ولكن هذا الجواب يمكن أن يعني فقط أنه حلال ومباح أخلاقياً لأي مسيحي أن يؤدي قسماً مقدساً على كلمة الله وباسمه المقدس ـ ومع ذلك أن لا يحمله على محمل الجد.

لقد قمت بإرسال نسخة من هذه الواجبات الماسونية المقدسة (أشكال القسم) مع الأصل إلى الكاهن في. ايه. ديمانت، الأستاذ الملكي (يحتل كرسياً

بمنحه ملكية في جامعة) في علوم الأخلاق واللاهوت الرعوي في جامعة أكسفورد، وطلبت منه إصدار حكمه فيما إذا كانت هذه الواجبات والالتزامات تحل أخلاقياً للمسيحي أن يؤديها. وكان جوابه (والذي كان مشروطاً ومبنياً على دقة نسختي، والذي ظهر في هذا الكتاب) على النحو التالي: «إذا نظرنا إلى طبيعة هذه الأشكال من القسم بصورة عامة فإنه يبدو من الصعوبة بمكان لأي مسيحي أن يلتزم بها دون أن يكون مذنباً بارتكابه، أما القسم «العابث» أو القسم «الطائش» المستخف بالمقدسات. كما يبدو أنه قد أدخل عضواً في ديانة غريبة. أما إذا لم تؤخذ على محمل الجد ـ أو أخذت بمنتهى الرمزية (بصورة منافية لكلمات القسم! بدون مواربة أو مراوغة أو تملص، أو أية تحفظات عقلية من أي نوع)، عندها يدخل القسم تحت عنوان الحلف العابث أو التجديف. أما إذا اتخذ بصورة جدية فإنه عندئذ يجب أن يدرج ضمن الحلف الطائش، لأنه لا يوجد هناك أي يقين أو ما يؤكد بأن العضو المسيحي في الماسونية سوف لا يكتشف فيما بعد أنه قد التحق بديانة غريبة.

وهناك صعوبة أخرى في الشرح والتأويل الذي قد تظهر للماسوني ذي الضمير الحساس، ألا وهو الغموض الذي يكتنف ما يعتبر سراً، فهو يعد بأنه سوف لا يقوم إطلاقاً بإفشاء «أي جزء أو أجزاء، نقطة أو نقاط من الأسرار والخفايا» الخاصة بالماسونية، بالرغم من أنه لم يعين بصورة محددة في أي مكان ما هو سري وما هو غير سري، أما وقد تم أداء القسم، فإن الأستاذ المبجل يبلغ الداخل في العضوية بأن أسرار هذه الدرجة «تتألف» من إشارة ورمز وكلمة» ـ التي ستبدو بأنها تشير إذا أخذت بصورة جدية على أنها تعني ما تعنيه عادة، تشير إلى أن أية مسائل أخرى قد يتعلمها الداخل في العضوية أما أن لا تكون سرية أو أنها داخلة ضمن المصطلح «خفايا». وعلى أي شرح أو تأويل فإن نشر وبيع بصورة علنية وعامة الطقوس المطبوعة يبدو حنثاً واضحاً بالقسم وانتهاكاً للواجبات المقدسة. بل إنه عندما يشير أو يشرح الداخلون في العضوية الكلمات السرية، فإن من الصعوبة بمكان فهم بأي روح يقوم المؤلفون

الماسونيون والطابعون بالعمل لدى الناشرين الماسونيين الذين تعهدوا بأن لا «يكتبوا تلك الأسرار، أو يفرغوها في قالب رسمي، أو ينقشوها، أو يحفروها على المعدن أو الخشب الخ، أو يقوموا بطريقة أخرى برسم الخطوط العريضة لها، بحيث يمكن لأي حرف أو رمز، أو شكل، أوأي أثر ضئيل لأي حرف أو رمز أو شكل، أن يصبح واضحاً مقروءاً أو غير مقروء». وعلى هذا فإن الماسونيون الذين يمتلكون ويستخدمون هذه الطقوس سيبدون مساعدين ومحرضين على ارتكاب تلك الجرائم «والجرائم» بكل تأكيد ليست كلمات مبالغ فيها، لأن أنواع القسم تبين بصورة واضحة جلية أنها تستحق عقوبة الموت، إذن، بأي معنى تم اتخاذ هذه الأيمان، فإن من الواضح أنها ليست «بدون مواربة أو مراوغة أو أية تحفظات عقلية من أي نوع كان» إن الحقيقة القائلة بأنه لا يوجد هناك أية أسرار حقيقية مهما كان نوعها في الماسونية، يضيف نوعاً ما إلى استحالة وعدم واقعية وعدم إخلاص هذه الأيمان والواجبات المقدسة، المنافية للطبيعة والعقل، وبالرغم من أن المرشح قد يكون على تمام الجهل بها، إلا أنه في الواقع قد ألزم نفسه، فيما يتعلق بالسرية، بالمحافظة على شبكة هائلة من الخدع والأكاذيب وعدم البوح بها.

إن أي ماسوني مخول بأن يعلن للعالم قاطبة أن الماسونية البريطانية تؤمن بالله، وأنها مخلصة وموالية للدولة، وتقيم الملاجىء الخيرية والمستشفيات، وإنها بفضل هذه الأشياء محبوبة ومحترمة تماماً وإنها فوق الشبهات ولا يرقى إليها الشك، كذلك لا يوجد هناك سر فيما يتعلق في كون الماسونية عبارة عن نظام من الأخلاق الرمزية، ومن هنا فإنها حصلت على موافقة العالم. إلا أن «الأسرار والخفايا» بالإضافة إلى أساليب التعرف يبدو أنها تظهر حيث تنحرف التعاليم والممارسات الماسونية عن المسيحية المألوفة والمعروفة، ليس ذائعاً ولا منتشراً في الخارج أن طقوس الموت والبعث تمارس في الدرجة الثالثة وأن أسماء الآلهة الوثنية مساوية ومعادلة ليهوه في القنطرة الملكية، وأن أشكال التعذيب الخيالية مرتبطة الحنث بالأيمان. ومن أجل الإنصاف، فإن الماسوني

العادي يتمسك بحرفية قسمه عن طريق عدم التحدث عن الماسونية إطلاقاً، وتغيير موضوع الحديث بصورة لبقة ما أمكن. ومع هذا إذا أجبر على الدفاع فإنه سوف لا يذهب بعيداً في الخطأ والصواب وأن يتبع التعاليم الماسونية في تقبل بكل حرية وعن طيبة خاطر تلك النقاط غير المتفق عليها، ولكن عليه أن يبقي كأسرار وخفايا مثل تلك النواحي التي قد تثير الاحتقار والاستهجان أو عدم الاستحسان أو الإدانة.

إلى أي مدى تكون الأيمان والواجبات المقدسة ملزمة في الضمير عندما يتم أداؤها؟ من الصعب إعطاء جواب دقيق شامل لعضو في كنيسة إنجلترا، بالرغم من وجود بعض المبادىء والقواعد الدليلية المرشدة.

فقد يثبت فيما بعد أن قسماً كان «قسماً عابثاً أو طائشاً»، ومن ثم فهو ذنب ويكون مرتكبه مذنباً، ولكن هذا بحد ذاته لا يبطل القسم إذا تم أداؤه بإيمان راسخ وعقد القلب على الالتزام به.

ومن ناحية أخرى، فإن قسماً يؤدى على أساس مظاهر زائفة دون عزم أو إيمان راسخ، يعتبر لاغياً وباطلاً لنفرض، ولنأخذ مثالاً في غاية التطرف وعدم احتمال الحدوث، لنفرض أن هناك شخصاً مهتماً بالأعمال الاجتماعية أدى قسماً بالولاء والإخلاص والمحافظة على سرية منظمة ما، مبنياً على فهم واضح جلي لهذا الواجب المقدس وهذا القسم، بأن هدفها كان توفير بيوت تقضي فيها الأمهات المتعبات أيام أعيادهن وإجازاتهن. وبعد أداء هذا القسم ظهر له أن الهدف الحقيقي لهذه المنظمة هو إسقاط قنبلة ذرية على قصر باكنجهام. من الواضح أن إخلاصه وولاءه للمنظمة لم يكن ملزماً بالنسبة لضميره، لأنه اتخذ على أساس زائف وكاذب، ولا يمكنه الوفاء به دون أن يقع في الذنب. ولكنه في هذه الحالة كمواطن مخلص لوطنه سيشعر بصورة قوية بأن السرية أيضاً ليست ملزمة له. وإن من واجبه إبلاغ الشرطة، لأنه سيكون مذنباً ذنباً خطيراً بإهماله الواجب والولاء للوطن إذا لم يبلغ الشرطة بذلك.

والآن وقد أخذت أنواع القسم الماسوني على الفهم الصريح الواضح بأنها لا يمكن بحال من الأحوال أن تتناقض مع واجبات الإنسان الاجتماعية أو الأخلاقية أو الدينية. مما لا شك فيه أن حضرات الأساتذة المبجلين الذين يقومون بإجرائها بإيمان قوي راسخ صحيح كما أنهم هم أنفسهم لا يرون احتمال وجود أي تناقض من هذا النوع.

كذلك فإن الأكثرية الساحقة من الماسونيين الذين يؤدون هذه الأيمان، حتى من أولئك الماسونيين المسيحيين الطيبين، لا يبدو أنهم على علم بوجود أي تناقض ويرجع في معظمه، على ما أعتقد، لأنه لا يوجد لديهم إطلاقاً أي سبب يدعوهم إلى بحث الوضع بصورة منطقية على ضوء إيمانهم وعقيدتهم الدينية. ومن الواضح أن سواد أعضاء الأخوية الماسونية لا يمكن أن يتوقع منهم أن يكونوا علماء لاهوت أخلاقي، وبالرغم من أن العقوبات الرهيبة غالباً ما تتنافر مع مشاعرهم الطبيعية عندما تتلى لأول مرة، كما أن بعض أجزاء من الطقوس والشعائر قد تبدو متنافرة ومختلفة بصورة غريبة عن ما قد يسمعونه في الكنيسة، إلا أن الألفة والاعتياد عادة ما يقضي على الشكوك مع مرور الزمن. ولكن إذا وصل الداخل في العضوية الماسونية إلى التحقق من أن الماسونية، في اعتبارها كافة الآلهة متساوين، أو في تقديم الصلوات والأدعية التي تستبعد عن عمد السيد المسيح، أو في إعلانها اسم الله بموجب مصطلحات وتعابير الآلهة الوثنية كما هي الحال في القنطرة الملكية (تلك الأشياء التي لم يكشف له النقاب عنها عندما انتسب إلى العضوية) عندما يصل إلى التحقق من أنها تنتهك المبادىء والعقائد المسيحية، فإن القسم عندئذ يتوقف عن أن يكون ملزماً من ناحية الضمير والإحساس به. قد يبقى الالتزام بالسرية، ولكنه إذا شعر بصورة قوية بأن الماسونية، حتى ولو بصورة غير مقصودة ولا متعمدة تنسف عن طريق هرطقتها القوية الشاملة، تنسف من الداخل الجلال الأسمى الواجب لسيدنا المسيح والحضور المتميز والمقصور على الكنيسة والذهاب إليها، بصورة مدمرة، تماماً كما تنسف قنبلة ذرية تلقي على قصر باكنجهام والدستور البريطاني من أساسه

وتدمره تدميراً ولذلك فإن مما لا شك فيه أنه سيكون من المواضيع الخاضعة للجدل والمناقشة بأن عليه واجباً حتمياً إزاء ضميره ليتكلم حذراً ومنذراً.

«إذا أقسم أي شخص بصورة طائشة بشفتيه أن يعمل شراً، أو أن يعمل خيراً، مهما كان ذلك الشيء الذي نطقه ذلك الشخص في قسمه، وكان مغيباً ومخفياً عنه، فإنه عندما يعرفه، يكون مذنباً في واحد من هذه الأشياء، ويكون ذلك عندما يعترف أنه بعمله هذا قد أذنب وارتكب إثماً».

(ليفيتكوس ـ ٥ ـ ٤ ـ ٦)

(٤)

هل الماسونية دين؟

«سواء كانت فترات الضباب هي التي تنتج الأشخاص الجادين أو أن الأشخاص الجادين هم الذين ينتجون فترات الضباب.

إنني لست أدري، ولكن المسألة برمتها شديدة الوطأة على أعصابي.

أوسكار وايلد ـ مروحة الليدي ويندرمير

غالباً ما تعلن الماسونية أنها ليست ديناً، ومع ذلك فإنها تدعي التقوى والورع. بل حتى أن المرء قد يسمعها بصورة غير رسمية تذكر بأن «الماسونية ليست ديانة معينة، إنها دين» فإذا كانت الماسونية شيئاً جديداً، وإذا كانت الطقوس الماسونية قد تكونت في هذه السنة فقط، وقدمت إلى هيئة من الأساقفة الحياديين لإصدار حكمهم واستحسانهم وبركاتهم فإنه سيكون هناك قليل من الشك في أنه سيتم رفضها باحتقار وزادراء بصورة مضحكة، ولكن بينما يقوم العديدون من رجال الدين البارزين بإنكار أن الماسونية ديانة، ويتوقعون من الشخص الخارجي أن يأخذ كلمتهم دون مناقشة أو تمحيص، إلا أن هذا الشخص الخارجي أحياناً يكون شاكاً، وله العذر في ذلك، ومستغرباً بصورة مشروعة، كيف سيقوم رجال الدين هؤلاء بتحديد كلمة دين، التي يبدو أن هناك تفكير غامض مشوش يدور حولها، كما لم يصح إطلاقها على الماسونية، وإنكر عليها اسم دين، فمثلاً، كتب نيافة الكاهن إي. باتون ويليامز، المساعد السابق

للقسيس الأعظم ومساعد الأستاذ الأعظم في إيت لانكشاير في رسالة وثنية محضة بمناسبة عيد الميلاد إلى صحيفة «فريميسونز كرونكل (٢٢ ديسمبر ١٩٥١) كتب يقول: «إن أفلاطون هو الذي قال إنه يجب علينا أن ننتظر واحداً، أو إلهاً أو شخصاً يشبه الإله، الذي سيعلمنا واجباتنا ويزيل الغشاوة والعمى عن أعيننا، إن الماسونية تؤدي هذه الرسالة بطريقة لا شك فيها ولا لبس إن الماسونية تبشر بعيد الميلاد». إن أية رسالة خاصة بأعياد الميلاد من رجل دين يحذف بصورة متعمدة أي ذكر للمسيح، يمكن أن تعتبر ظاهرة لاهوتية غريبة ولافتة للنظر، إلا أنه من الصعب القول بأن الكاهن باتون ويليامز لا يشير هنا إلى الماسونية على أنها دين، مهما بلغت في وثنيتها كما أن المساعدة القسيس الأعظم السابق بكل تأكيد بعض الصلاحيات للتحدث عن الطبيعة الدينية للأخوية الماسونية.

كيف يتأتى للمرء أن يصدر حكماً عادلاً في هذه المسألة الحاسمة؟

من الواضح أن الماسونيين المسيحيين لا يمكنهم الموافقة على كثير من الكلمات التي توحي بأن الماسونية دين، لأن المسيحية دين كلي مقصور على أعضائه والمنتمين إليه، بل وحتى القبول بمثل ذلك الاحتمال سيثير الشكوك وربما يستدعي إجراء تحقيقات بشأن تلك الكنائس التي لم تشجبها بصورة علنية بعد، إذ لا يمكن ولا ينبغي أن يكون هناك، بالنسبة إليهم، أي منافس أو ما يصل إلى مستوى المطالب السامية والمثل العيا للمسيح. لذلك وبغض النظر عن بعض الإشارات الضمنية الواضحة الجلية الموجودة في الطقوس والشعائر والبيانات الصادرة عن أعضائهم بالنفي، إنها وصيفة وخادمة للكنيسة، وإنها قاعدة أخلاقية قوية يمكن لأي دين أن يمارس على أساسها، ولكنها ليست أكثر من اتحاد الأمهات أو منظمة حركة الكشافة العالمية.

دعنا نكون منصفين في هذا الموقف، ففي الدرجات الثلاث للأخوية الماسونية، درجة الداخل المبتدىء، والزميل في الأخوية. والماسوني الأستاذ نجد أن «الأسرار» المحددة هي في الحقيقة ليست أكثر من أساليب في التعارف

المتبادل عن طريق مصافحات معينة، وإشارات، وكلمات، والتي ستثبت معرفتها (بالإضافة إلى شهادة المحفل الأعظم) إن الشخص بعد الامتحان قد أصبح ماسونياً، وفي الحقيقة قد يبدو أن هذا الأمر لا ضرر فيه ولا غبار عليه. أما بقية الماسونية بالنسبة لهم فإنها تهتم برمزية بناء السلوك والأخلاق، كما أن مما لا شك فيه أن الأخوية الماسونية تحدد نفسها وتصفها على أنها «نظام أخلاقي خاص متميز، تحجبه أنواع من المجازات والاستعارات وتوضحه الرموز» وعلى هذا فإن بعض الحوادث المعنية، وخاصة الأشياء المتعلقة بالأبو كريفا (أربعة عشر سفراً ملحقة بالكتاب المقدس لا يعترف بالبروتستانت بصحتها) والتي تهتم بمبنى هيكل الملك سليمان. هي من صميم الاستعارات والمجازات، كما أن الأدوات ووسائل العمل التي تستعمل في بناء الأحجار (وخاصة، بصورة طبيعية، تلك الأدوات المعروفة تماماً والمشهورة المثلث والفرجار) التي ألحقت بها التعاليم الأخلاقية، كما أنها من بين الرموز.

لقد قال رئيس هيئة الأهداف العامة مخاطباً المحفل الأعظم في سبتمبر عام ١٩٤٩ : «إننا منظمون لتوفير سلسلة من المحافل التي يمكن للماسونيين فيها الاجتماع في جو مقدس، حيث يمكن للزمالة الخيرة أن تترقى وترتفع عبر أخوية أقيمت على أبوية الله، وحيث يمكن أن نكون سعداء في سرية مبنية على الثقة المتبادلة وحيث أيضاً يمكن للأخلاق أن تصاغ وتقوى وللمواهب والميول أن تتطور، بحيث إن أعضاءنا بذلك يتم تأهيلهم بصورة أفضل لممارسة تأثير صحي كمواطنين بصفاتهم وقدراتهم الخاصة على كافة المسائل العامة».

وهذا مقترناً بتوابل وبهارات الأسرار والطقوس وغياب مسائي في بعض المناسبات عن الزوجة، وفي بعض الحالات الحب الجامح بالألقاب وحب المظاهر وارتداء أحسن الملابس والملابس الرسمية، هي جماع ما تعنيه الأخوية الماسونية للأستاذ الماسوني العادي، كما أنها تبدو له بريئة ولا ضرر أو غبار عليها إطلاقاً بالنسبة له. قد يكون على علم بالاختلافات المتعددة في الطقوس مع العبادة الوثنية الفجة البدائية، التي تؤديها الوثنيون على سبيل المثال (للشمس

في الظهر)، إلا أن هذه العادات ينظر إليها بقايا قديمة الطراز من العهود الغابرة غريبة وطريفة. كذلك فإن معظم الماسونيين لا يأخذون طقوسهم وشعائرهم على محمل الجد، ومما لا شك فيه أنهم لا يقرؤون الكلمات «وورد» أو «ويلمشتر» أو «وبتي». لأنهم لن يفهموها لو حاولوا ذلك.

البيلاجوسي لدى العديد من الإنجليز الذين يفشلون في التمييز بين الدين والأخلاق. لذلك فإن «القياس المنطقي» التالي نموذجي: بما أن الدين موجود ليساعد الناس على أن يعيشوا عيشة طيبة، والماسونية تساعد الناس على أن يعيشوا عيشة طيبة، إذن فالماسونية دين، إلا أن ذلك الإنجليزي الجاهل، بصورة تعمها السعادة، للمظهر الخادع لعدم تبويب وتصنيف الأشخاص الوسطيين والمواقف الوسطية والمقتنعين بأن الدين هو ما يختار أن يفعله كل شخص بحسب وعيه. قد يمضي في المجادلة بأنه لما كانت الماسونية تعلم الأخلاق بصورة أكثر إمتاعاً وإثارة من الكنيسة، ولذلك فإنها ديانة أكثر قبولاً. إن كل شخص سينتهي مصيره إلى نفس المكان، وزوجته والكاهن يطلقان على هذا المكان «السماء» ولكنه يدعوه «المحفل الأعظم في الأعالي».

فإذا ما نظر إلى الماسونية على ضوء ما ذكر، فإنها أقرب إلى أن تكون ديناً منها إلى طفيلي يعيش على دين، كما أنها منافس للكنيسة كدليل ومرشد أخلاقي.

ولكن هناك شيئاً أكثر من هذا، إن هناك في الأعمال الماسونية عناصر متميزة خاصة بالدين أكثر مما تعنيه كلمة فوق طبيعي أو خارق للطبيعة إلى حد بعيد، نوع من الدين غير مسيحي كلية وعندما يقوم الماسونيون باتهام منتقدي هذه العناصر بأنهم يسيئون معنى الماسونية إساءة تامة، فإن ما يحدث هو أن هؤلاء النقاد يلفتون الانتباه إلى أشياء لم يسبق إطلاقاً للعديدين من الماسونيين ورجال الكنيسة على وجه الخصوص أن رأوها أو أنهم يفضلون تجاهلها.

ولقد قمت حتى الآن بمقاومة الإغراء بالقيام بعملية الهدم والبناء في هذه

القضية على أساس بيانات ودلائل الأسرار والخفايا الماسونية، بل فضلت أن أبني قضيتي على الطقوس والشعائر نفسها، إلا أنه يوجد هنا قطعة في كتاب أصدره السيرجون كولبورن (الشماس الأعظم الماضي في إنجلترا ونائب الأستاذ الأعظم السابق في أستراليا) يدعي «الماسونية، ما هي، متى، لماذ، فيما إذا» والذي يحمل تساؤلاً لأنه ينسجم مع الطقوس والشعائر، كما أن قلة من الماسونيين استطاعوا عدم الانسجام والاتفاق معه بصورة منطقية. وقد كتب في هذا الكتاب يقول: «إن مسألة فيما إذا كانت الماسونية ديناً قد تمت مناقشتها والتنازع بشأنها بصورة جادة. ولكن يبدو أن الصراع كان مجرد حرب كلامية يتم فيها تراشق الكلمات، وربما تكون أفضل سبيل للتوصل إلى نتيجة ربما تكون أول وقبل كل شيء القيام بتعداد النقاط المشتركة بين معظم الديانات ومن ثم بحث وتقصي النواحي التي تختلف فيها الماسونية عن هذه الديانات فالدين يعالج العلاقة بين الإنسان وخالقه وأن نغرس في نفسه الاحترام والإجلال للخالق على أنه علة الوجود الأولى. إن الديانات تعج بطقوس العبادة عن طريق الصلوات والأدعية والتسابيح، إن تغرس قواعد السلوك عن طريق الرفع من الإله أو البطل على أنه نموذج يحتذى. . وسيكون من الصعب القول أي من تلك الخصائص تشكو الماسونية نقصاً فيها أو أنها معدومة لديها. مما لا شك فيه أنها تعج بكل ذلك فطقوسها وشعائرها دقيقة ومفصلة كما لا يمكن التفوق عليها في جمالها وعمق معناها. إن الصلوات والأدعية والتسابيح تنتشر في كافة أنحائها. . فإذا لم يقر بأن تتخذ الماسونية عنوان دين وأن تعتبر ديناً، فإنها قد تدعي أن أساساً أقوى وأسمى لأن تكون اتحاد ديانات، إنها شكل من أشكال العبادة يمكن لكافة الديانات أن تتوحد فيها دون التضحية بأي جزء من عقائد كل ديانة منها أو سمة منه».

إن كل هذه الحقائق، ما عدا الأخير، التي ذكر السيرجون كوكيورن يمكن أن تكون قيمة وملموسة بصورة كبيرة فالطقوس تتم ممارستها بروح من المراسم الدينية المهيبة، فهي عادة غالباً ما يتم فيها ترتيل وإنشاد الترانيم والتسابيح لدى

افتتاح المحفل ولدى اختتامه، كما تتم إضاءة الشموع أمام قواعد الأعمدة الثلاثة، كذلك فإن الكتاب المقدس مفتوح دائماً أمام الأستاذ الموقر. والتي تقدم للمرشح لدى إدخاله في العضوية وانتسابه إلى الأخوية، وقبوله وترفيعه وتمجيده. أما الإشارة العظمى والملكية فيضاهيها الهتاف والابتهال الذي يقول: «المجد الأعلى» وتعرف عادة الأماكن التي تجتمع فيها المحافل بالهياكل، وهي كلمة وثيقة الصلة بالعبادة والدين، كذلك يوجد لمعظم المحافل قسيس وعازف أورغن اللذان كان لهما دور منتظم يلعبانه في المراسم.

ومع ذلك قد يبقى الجدال بأن منظمات الكشافة تقوم بإنشاد الترنيم ولها قساوستها الذين يؤدون الصلوات ويرتلون الأدعية، التي على الأقل في الطرق العادية المكشوفة، يمكن أن تكون غامضة وتضم كل الورعين ورجال الدين، ومع ذلك فقد يكون الكشافة أعضاء ورعين تقيين في كنيسة بدون أن يكون هناك عدم انسجام أو تعارض، ومع هذا فإن الماسونية تذهب إلى أبعد من هذا بكثير، حتى ولو لم يفعل الماسونيون كأفراد ذلك.

بما أن الماسونية تدعي بأنها تنقل إلى منتسبيها نوراً روحياً وخفياً، فإن من الصحيح أن المرشح ينبغي أن يعترف بالإيمان بالله الأمر الذي يعني أن الظلام الذي كان يعيش فيه في السابق ليس ظلاماً تاماً كاملاً. ولذلك فإنه يجرد من أمواله ومقتنياته القيمة لدى انتسابه ليرمز بذلك إلى فقره، كما أن عصب عينيه يمثل نموذجاً لحالة روحية ومادية من الظلام الدامس. وكذلك فإن قطره وسحبه بالحبل إشارة إلى التواضع والانصياع، إنه يدخل إلى المحفل بالكلمات «مرشح بائس في حالة ظلام.. يتوسل بضراعة ليدخل في أسرار وطقوس وامتيازات الماسونية» وبعد أن يؤدي القسم ويصبح ملزماً يسأل «ما هي الرغبة التي تحتل سويداء قلبه؟» فيجيب «النور» وهذا أكثر اللحظات دراماتيكية في المراسيم، حيث إنه بمواكبة التصفيق الحاد من إخوانه المجتمعين تزول الغشاوة عن عينيه ويذهب التظاهر المفتعل، ولأول مرة يتمكن من رؤية المحفل. إن الأنوار الرمزية الماسونية التي أوضحت له الآن، هي ستة، كتاب القانون المقدس،

والمثلث، والفرجار، الشمس التي تضيء النهار، والقمر الذي يحكم الليل والأستاذ المبجل الذي يحكم المحفل» وكذلك فيما إذا كانت الإنارة التي يتلقاها كافية لتبرير العبارة العدوانية في قسم الدرجة الثالثة والتي تسم غير الماسوني على أنه «عالم شعبي غير مثقف يعوزه التعليم والإرشاد». ربما كان هذا موضعاً للشك والتساؤل، ومما لا شك فيه أنه في الدرجة الثالثة يمكن لهذا النور الماسوني أن يبين بصورة لا يتطرق إليها الشك، ليس فقط نقصها وتدني مستواها بل تبين عدم انسجامها الوثني كلية مع النور الذي يسكبه مولانا وسيدنا يسوع على القبر، حيث إننا أخبرنا بأن «نور أستاذ ماسوني ما هو إلا ظلام مرئي، يصلح فقط للتعبير على الظلام والغموض الذي يكتنف احتمالات المستقبل».

ومع هذا فإن الماسونية تعتقد وتؤمن بالخلود، حيث تعتقد أن الموت يمكن أن يسحق تحت الأقدام وأنه يعبر عن الأمل في «أنه عندما سنستدعى من هذا المقام الدنيوي، فإننا سنصعد إلى المحفل الأعظم في الأعالي حيث يقيم مهندس العالم العظيم ويحكم إلى الأبد» ولكن هذا الأمل في الخلود ليس في المسيحية، بل بالمثل الذي ضربه بالذي قام به بصورة دراماتيكية ذلك المرشح، سباك الناس الفينيقي الذي يشبه الأساطير حيرام أبيف، الذي فضل أن يموت بدلاً من إفشاء أسرار الماسونية. فمما لا شك فيه أنه يوجد هنا نموذج لما يقوم كل وثني في مرحلة العبادة البدائية البائدة، ومع ذلك فإنها أكثر من دراما. إلا أنها مع ذلك موجودة في الطقوس والشعائر بصورة رمزية كطقس ديني، ليس فقط كنموذج لسلوك أخلاقي. بل كممارسة شبه مقدسة، مع إعطائها أهمية أسمى من الواقع العملي المادي، رافعه المرشح، كما عبر عن ذلك المحاضرون «من مستوى الموت إلى مستوى الحياة القائم المنتصب» ويقول التاريخ التقليدي «وبهذه الطريقة فإن كافة الماسونيين الأساتذة قد رفعوا من موت رمزي مجازي إعادة الاتحاد مع رفاق شبكتهم السابقين ورفاق كدهم وكدحهم» والآن إلى أي شيء يشير هذا الرمز أو التعبير المجازي؟ إن هذه القطعة ماهي إلا تذكار يذكرنا بالأسلوب اللفظي الحافل بالمواعظ الوارد في كتاب صلوات مراسم التعميد «أن

يكون ميتاً في الخطيئة وحياً في الاستقامة.. وكأنه بذلك جعل مشاركاً في موت الابن (يسوع) كما أنه سيكون مشاركاً في بعثه ونشره. «فالصلوات في بداية هذه المراسم هي لعبدك الذي قدم نفسه مرشحاً ليشاركنا الأسرار الخفية لأستاذ ماسوني» ثم يواصل هذه الصلوات والأدعية فتقول: «فاضحة تلك القوة المنعة التي تمكنه من التغلب على الفشل ساعة الامتحان، ولكن ذلك، العابر بسلام تحت حمايتك ورعايتك عبر الوادي الذي يظلله الموت، قد ينهض في النهاية من قبر الخطيئة، ليلتمع ويتلألأ كالنجوم دائماً وأبداً. فإذا كان هذا (كما يبدو كما ورد أعلاه) يشير إلى مراسم وطقوس الموت التي ستتم ممارستها لاحقاً وكذلك إلى النهاية الأخيرة للمرشح في هذه الدرجة. فإنها تشير إلى أنها هي «الأسرار الخفية للماسوني الأستاذ» الذي سرق من القبر انتصاره (ما يشير إلى صعود المسيح من القبر) ولقد سبق للراهب بول أن كتب في رسالته إلى المحافل الماسونية الموجودة في كورينث يقول: «ولكن الحمد والشكر لله. الذي منحنا النصر عبر الأستاذ الأعظم حيرام أبيف».

إن حقيقة كون معظم الماسونيين لا يرون طقوس ومراسم الدرجة الثالثة على هذا الضوء قد تبرىء ساحتهم تبرئة تامة من خطيئة المشاركة عن عمد وإصرار وإرادة فيما وسمه الآباء الأولون للكنيسة في الديانات الباطنية الخفية المعاصرة، بأنه محاكاة شيطانية للعبادة المسيحية، ولكنها لا تبرىء ساحة الماسونية. التي بعد كل شيء تدعي (في الدرجة الأولى من محاضرة هيئة المتابعة) بأن استخداماتها وعاداتها وتقاليدها تقرب من تلك النماذج الموجودة في مصر القديمة. إلا أن الجهل بالشروح والتأويلات الواضحة والمنطقية لا تجعل الشروح والتأويلات، بطبيعة الحال وبالضرورة، زائفة وكاذبة.

حيث إن مسألة الخلاصية (الاعتقاد بأن الناس سينعمون في النهاية بالخلاص) في الماسونية يمكن شرحها وتأويلها بطرق مختلفة. فقد تم تقديم الله وسمي بعبارات قد تجعل كافة الديانات والعقائد المشهورة تتفق في أدنى مستويات الإلهية المجردة من أية صفات مميزة لأي نظام من العقائد المختلفة

بمفرده. فقد عرضت الماسونية على أنها عامل توحيد، لأن الأشخاص، في محافلها، من مختلف الديانات يمكنهم الاجتماع مع بعضهم لخيرهم المشترك ولأداء صلوات وأدعية مشتركة. ولكن الماسوني يقول بأن هذا يمثل الحد الأدنى من العقيدة ـ وليس الأصل في حالته المثلى ـ الذي يستحيل معه عدم الاتفاق. ومما لا شك فيه أن المسيحي سيعرف أن المهندس الأعظم للكون هو الكيان المقدس». براهما الهندوس، والله المسلمين، الذي يصلون له في قلوبهم كذلك.

ولكن في هذا المفهوم المفترض أنه الحد الأدنى والمستوى المشترك عن الله، يوجد هناك صعوبات هائلة، فالأسماء والألقاب المعطاة للآلهة المأخوذة بصورة مسلم بها من قبل الأخوية الماسونية، في عدم إعطائها الاحترام والتوقير الكافيين، لا يبدو أنها قابلة للتحقيق. فإن تطلق على «الله» كما هو في الدرجة الأولى، اسم «الباني العظيم» أو البناء العظيم. هو حط من شأن الخالق ذي القوة الكلية، حيث إن البنَّاء يقوم فقط بالتجميع من مواد جاهزة من السابق وموجودة تحت تصرفه وفي متناول يده. إنه يصمم ولكنه لا يخلق، كما أن هذا المفهوم بكل صراحة «ربوبي» (الإيمان بوجود رب مع عدم الإيمان بالديانات) بل حتى أن تعبير «المهندس «العظيم» أو المهندس الأعظم، غير كاف بصورة أكثر هولاً ورعباً، كما أن فيه آثار من الرياضيات الرمزية القديمة المهجورة التي كانت موجودة في القبلانية (فلسفة تفسر الكتاب المقدس تفسيراً صوفياً). أما تعبير «المشرف العظيم» في الدرجة الجانبية المعروفة باسم ماسونية العلامات فيمكن التسامح معها إذا كانت تشير إلى «الذي يرى كل شيء (والتي تستخدم بلا شك كرمز ماسوني) إلا أنه في متن هذا الكتاب تظهر أكثر قرباً لأن تكون نموذجاً مقدساً أو إلهياً لكلمة مشرف أو مراقب عمال تحت إمرة بناء أو مقاول.

إن كافة هذه الألقاب والأوصاف قد يسمح بها كصفات وخصائص «الله»، ولكن حقيقة أن الله يشار إليه بصورة رسمية وفقط تحت هذه الألقاب والنعوت في هذه الدرجات الماسونية، كل فيما يخصه، توحي بأن هذه الألقاب والأسماء

ما هي تحديدات أو تعريفات بدلاً من أن تكون خصائص ومميزات.

وعلى هذا فإن الدرجة الثالثة التي يطلق عليها «العليا» ليست استثناء إطلاقاً كما أنها معروفة ومألوفة لدى المسيحيين إلا أنه في القنطرة الملكية تظهر صعوبة في غاية الخطورة. حيث إن كلمة السر هنا ليست اسماً توراتياً، أو لافتة للنظر أو آسرة، وليست مجرد كلمة غير مفهومة أو لا معنى لها من اللغة العبرية الفاسدة، بل إنها من أصل يمكن التعرف عليه تماماً في لوحة معدنية في أعلى المذبح بأحرف في منتهى الوضوح، والمرتبطة كل الارتباط «بيهوه» لتكون «الاسم المقدس والسري الرمزي لله الحي العلي حقيقة».

وهذه الكلمة، والتي هي «يه. بول. أون. قد تم شرحها وتأويلها في المحاضرة الرمزية على أنها تتألف من ألقاب وأسماء وخصائص للآلهة لا يمكن لأي فرد أن يجد لها استثناء في اللغة الإنجليزية أو مغايراً لها، ومع أن هذه الكلمة مكونة (كما تم شرحها أيضاً) من كلمة «يهوه» العبرانية المقترنة بكلمة «بعل» الآشورية، لذلك فإنها تتعارض كلية مع «الأنبياء» حتى كرمز ومع «أون» أو «أوزيريس». ومهما تمت تلاوتها من قبل المراتب الثلاث التي تحمل أسماء زوير وبابل، وجوشوا، وحاجاي، مقطعاً فمقطع، فإن أصولها في العهد القديم كانت قد اهتزت وصدمت بصورة هائلة، ولقد كان المسؤول الماسوني العظيم، إلبرت بابك، القائد الأعظم للسلطة القضائية الجنوبية للمجلس الأعلى في تشارلستون، في الولايات المتحدة الأمريكية، كان في منتهى الحنق والغيظ والقلق بشأن إدخال هذه الكلمة، فقد كتب يقول: «لا يمكن لأي شخص أو مجموعة من الأشخاص أن تجعلني أقبل، على أنها كلمة هجينة، مؤلفة جزئياً من إله وثني حيواني ملقون، كان اسمه على مدى ما يزيد عن ألفي عام اسماً ولقباً للشيطان». كذلك فإن الحقيقة القائلة بأن الأساقفة الإنجيليكانيين ورجال الدين يرون أنه لا يوجد هناك ما يتعارض مع المنطق القيام بتشكيل مجموعات من ثلاثة أشخاص لتلاوة هذه الكلمة على أنها تعويذة، إلا أن هذه الفكرة ترنحت وانهارت، مما لا ريب فيه أنهم سيقولون بأن الأمر كله ما هو إلا شيء

رمزي، إلا أن بابك اعترض عليها حتى ولو كانت رمزاً، كما أنهم بلا شك سيقولون إنهم لم يأخذوا الأمر الذي يوحي بالإمكانية التعسة لقسم آخر مقدس «لعقيدة خاطئة غريبة مطروحة» قد لا يؤخذ كذلك على محمل الجد، على الأقل فيما يتعلق بمبدأ سري، ولكن سنجد المزيد من التفاصيل في الفصل التالي.

ومرة ثانية فإننا نجد الادعاء بأن الآلهة الماسونية هي مستوى مشترك تنهار عندما تتم الإشارة إلى «الأنوار العظمى» لهذه الدرجة ويتم شرحها وبيانها، والتي هي قوى الآلهة الخلاقة، والحافظة، والمبيدة المهلكة. وينطبق هذا تمام الانطباق على الثالوث الهندوسي لبراهما، وفيشنو، وشيفا، وإنه ليس فقط لغير المسيحيين بل إنه غير مسيحي إطلاقاً.

ومما لا شك فيه أن الادعاء القائل بأن الأعمال الماسونية ينبغي أن تعتبر طقوساً وشعائر دينية بل يجب اعتبارها أخلاقاً ذات طابع دراماتيكي، إن هذا الادعاء ينهار تماماً في هذه الدرجة. فهناك كمية هائلة من المواعظ الأخلاقية إلا أن التناقض بين الأخوية الماسونية والقنطرة الملكية تناقض صارخ وبارز. ففي الأولى ـ الأخوية ـ نجد أن الإشارات (بصرف النظر عن الإشارات الجزائية) «عرضية» ومرتبطة بحوادث معينة في الأساطير الماسونية، فقد أعلنت الكلمات ولكنها ثانوية وعرضية تماماً بالنسبة للدراما وليس لها أية أهمية دينية. بينما القنطرة الملكية، من الناحية الأخرى مهتمة كلية تقريباً بالبحث عن واكتشاف «الكلمة» المفقودة وتلك الكلمة هي اسم وثني وتوفيقية لكلمة «الله» الموجودة في المعتقدات الدينية المختلفة وقد تم شرح إشارات القنطرة الملكية بصورة تامة شاملة في «المحاضرة الرمزية» كإشارات دينية، تمثل علاقة الإنسان «بالخالق». والاسم التام الكامل لهذه الدرجة هو القنطرة الملكية المقدسة والأبنية الفرعية للمحفل تقيم مذابحها (مثل مذبح الكنيسة) فيها. أما المسؤولون فيمثلون الوظائف التي يؤديها «النبي والكاهن والملك» كما أنها تعطى على أنها كلماتهم السرية.

خاصة بهم للأسماء الثلاثة الواردة في العهد القديم من عند الله ـ فجوة

ترمز إلى الملك يروبابيل، والشاداي للنبي حاجاي والإيلوه لجوشوا. وبالرغم من أن هذه العادة تميل إلى الإخفاء والزوال، إلا أنه يوجد هناك نصوص خاصة بمراسم غسل الأرجل لدى نصيب جوشوا، وله ولزيرو بابيل يتم المسح بالزيت والتقديس به، كما أن استخدام البخور ليس مجهولاً في المراسم والاحتفالات المقدسة في القنطرة الملكية. وكافة هذه الأشياء، بأي اسم معترف به، هي دينية أكثر منها رموز أخلاقية كما أن هذه الدرجة تعني حقيقة أنها تعلمنا عن طبيعة الله.

ولذلك فإن من المستحيل تماماً القول بأن «الماسونية لا علاقة لها باللاهوت» بينما النصف الثاني من المحاضرة الرمزية التي تتناول المذبح الأعلى (يهوه، وجاهبول أون، وثالوث بعل الذي حول بالعبرية إلى أليف، بيث، ولاميد) ما هي إلا تعبير لاهوتي صرف عن طبيعة خصائص الآلهة الماسونية.

فالعبارة اللاتينية «يا سكان العالم إننا نحن الذين أوجدنا عبادة الله» شعار يظهر على كل جوهرة قنطرية ملكية، كما تمت ترجمتها في محاضرة الجوهرة بالصيغة الواردة أعلاه. وقد تستحق هذه الترجمة عقوبة الضرب إذا قام بها أي طالب في الصف الرابع ابتدائي، إلا أنها ترجمتهم ويجب قبولها، ولكن، ومرة ثانية، فإن معانيها ومراميها الخاصة بالمستوى العام للنظرية القائلة بأن الماسونية ليست لاهوتية، ما هي إلا كارثة بالنسبة للماسوني المسيحي، فالمؤمن بإله غامض أصل الوجود وعلته عندما يتحول إلى المسيحية قد يهتف مبتهجاً بكلمات هذا الشعار، إلا أن من المحير كيف يتأتى لمؤمن بالثالوث المقدس أن يدعي أنه أوجد عبادة الله في الماسونية، بينما الإله الذي أوجد عبادته ما هو إلا إيمان في أدنى المستويات وإله استبعد المسيح مخلصه الإلهي المقدس ومنقذه، ومرة ثانية بإمكان المرء أن يدعي أنه لا يأخذ كل هذه الأشياء على محمل الجد، حيث إنه فيما لو أخذ مطالب المسيح على محمل الجد فإن من الصعب أن نعرف كيف كان باستطاعته أن يأخذ الماسونية على محمل الجد.

ولكن لو فرضنا أن هذه الصعوبات يمكن التغلب عليها (أو من المحتمل

بصورة أكثر تجاهلها) فإن السؤال يبقى فيما إذا كان هناك مثل ذلك الشيء الذي هو دين كامن وراء الديانات، والذي يتفق فيه كافة الأشخاص، وفيما إذا كان من المشروع للمسيحي الاشتراك مع المسلم في تقديم العبادة لإله مشترك لا يمت بصلة إطلاقاً إلى كلا الديانتين. التي يقوم كل منهما في قلبه بعبادة إله الخاص به. وهذه المسألة أساسية وجوهرية ولا يمكن لأية كمية من الفصاحة فيما يتعلق بالفوائد التي لا نزاع فيها في الاجتماع مع بعضهم من أجل نشر أعمال البر والخير والإحسان، أن يسمح لها بطمسها وجعلها غامضة. ففي هذه البلاد تظهر هذه المسألة لدى الممارسة والتطبيق بصورة نادرة، إلا أن الماسونية تقف بصورة عنيدة على أساس أن بالإمكان بل يجب أن يتم ذلك. وهناك الكثير من الإنجليكانيين لديهم ضمائر حساسة مرهفة إزاء الصلوات المشتركة مع غير المثبتين بالعماد على أساس أنه حيثما تعني الهيئات المختلفة أشياء مختلفة بواسطة ما يقولونه في عبادتهم، فإن تلك العبادة تصبح غير حقيقية ومع ذلك فإن الاختلافات بين الهيئات المسيحية المنفصلة تافهة بالمقارنة مع الاختلافات بين أولئك الذين يقبلون والذين لا يقبلون يسوع على أنه ابن الله وأنه شفيعهم ومخلصهم الوحيد. إن المسيحية ديانة قائمة بذاتها مقتصرة على أعضائها. وعلى هذا فإن تقديم العبادة لله في أشكال ترفض المسيح بقصد محدد وهو احتواء أولئك الناس الذين يرفضون المسيح، ما هو إلا عمل من أعمال الردة لا يمكن لأي مقدار من التحفظات العقلية أن تكفر عنه. والمجادلة بأنه كما كان هناك بلا أدنى شك شيئاً من الحقيقة في كافة الديانات فإن المسيحي يصبح في منتهى الحرية بصورة موقتة ليفرز ما يعرف أنه الحقيقة الواضحة الجلية من أجل النزول إلى مستوى ما قد يكون لدى غير المسيحيين من أشياء مشتركة معه، هذه الحجة أو المجادلة هي مرة ثانية ردة، مهما كانت دوافعها خيرة ومبنية على الأحسان.

إن الكنيسة لا تقر مبدأ العبادة على مستويات أو مبادىء أو مسميات مشتركة مع الديانات الأخرى. لذلك فإن المسيحي، الذي هو جزء من الكنيسة، ومع ذلك يدعي بأن لديه الحق في تقديم العبادة خارج الكنيسة بصورة محرمة

داخلها، إنما يتحدى بذلك سلطتها وصلاحيتها، والشيء الذي قد يكون أسوأ من ذلك، هو قيامه بذلك العمل بصورة سرية، لأنه لا يمكن أن يسمح بوجود عبادة خاصة بالكنيسة وأخرى خاصة بالهيكل إذا كان تناقض حيوي من ناحية المبدأ بين الاثنين.

إن الماسونية التي تمارس في الحق التبشيري تبين بوضوح وجلاء غرابة الوضع وشذوذه فبالرغم من أن البعثات التبشيرية المسيحية في هذه الأيام تعترف بما في الديانات غير المسيحية من مثل تلك العناصر كالتي تعكس الاعتراف بوجود الله ومشيئته الإلهية، إلا أن هذا يختلف اختلافاً عكسياً عن أولئك الأشخاص الذين أرسلوا للتحول والهداية، في جو يعتبر كافة الآلهة متساوين. فالمبشر ذو الإيمان القوي لا يقوم بهذا العمل شخصياً، ولكن الماسونية التي يقوم في محافلها بتأدية هذه العبادة ترفض أن تقر بوجود هذه الاختلافات والمميزات حيث أنها تقوم بكافة الوسائل والسبل بتركه يجتمع مع المهتدين المحتملين معه بصورة اجتماعية وتتيح له التعاون معهم بصورة ودية في كل مشروع أو عمل مشروع خاصة بأعمال البر والإحسان والرفاهية. إلا أن قيامه بالعبادة والصلاة معهم في هذا السياق يمكن فقط أن يضعف صفته وانتماءه المسيحي. ومرة ثانية إن السماح بذلك في الممارسة العملية يجعل هذا الوضع من النادر أن يظهر، لأن صميم الحقيقة القائلة بأن البشر عضو في أخوية تسمح وتشجع مثل هذا الوضع، من الصعب تفسيره وتأويله.

إن الخطاب التبشيري للقديس بول الذي وجهه إلى الأثينيين على جبل مارس، ربما لم يكن أنجح جهوده ومحاولاته ولكنه لو كان قد اجتمع ببعض أتباعه في وقت متأخر في ذلك اليوم في محفل أثينا الخاص بالعصور الغابرة وأدى صلواته معهم في تكريس وإجلال مشترك للباني العظيم الذي يمثل بصورة متساوية الأب المسيح الذي صلب و«الإله المجهول» والذين كان قد انتقدهم بقسوة في الصباح لتأديتهم العبادة والصلوات بصورة مليئة بالأوهام وانحرافات يعمها الجهل، فإنه سيكون موضعاً للتساؤل والشك فيما إذا كان أتباعه سيكونون

حتى أقل عدداً. ولكن على أية حال إن مما يوسع الخيار ويوصله إلى أقصاه، إدراك أن يصبح القديس بول، هو الأخ أو الرفيق بول، أو أن يصبح، ولنقل، أستاذاً جلاتانياً مبجلاً غير مهتد يدعمه اثنين من القيمين الكورنثيين غير المهتدين أو المتحولين، حتى ولو أن الأربعة جميعهم استطاعوا التعبير عن إيمان قوي مخلص «بالكيان الأعلى» غير متمكن ولا ضليع في العلوم المعمارية أو الهندسية. ويمكن قبول هذا الإيمان على أنه كاف للإدخال في العضوية من قبل المحفل العظيم في بريطانيا في هذه الأيام. إنه لوضع غير واقعي تصور «إيليجا» يسعى للحصول على صيغة سرية يمكن بواسطتها لأتباع «بعل» ويهوه أن يلتقيا في صلاة أخوية في الوقت الذي لا يوجد أحد يراقب صلاتهم وينظر إليها.

ومرة ثانية لو أن الماسونية كانت قد تمت ممارستها في كنيسة روما البدائية كما تمارس هذه الأيام، فإن الكثيرين جداً من الشهداء الذين لا ضرورة لهم والذين قدمتهم كنيسة إنجلترا كان قد تم توفيرهم وتجنب هلاكهم. حيث إن المسيحيين في تلك الأيام كانوا يفضلون مواجهة الموت بدلاً من ذر حبيبات من البخور في سبيل الامبراطور وغيره من الآلهة. ولكن لو أن إخوانهم الوثنيين من محفل روماثيو مابومبيليا طالبوا بحق زيارة محفل روما إيكليسيا، فإن الأخيرين سيكتشفون بلا ريب أن الباني العظيم للكون الذي يصلون له مع بعضهم في سلام وانسجام أخوي أن يكون مع نيرون وجوبتر على قدم المساواة وبصورة مشروعة كما هي الحال بالنسبة للثالوث الإلهي (الأقانيم الثلاثة) فلماذا إذن يحرم إلى درجة الموت ما يجري في الكولوسيوم خارج المحفل ما كان بلا شك وبصورة لا مناص منها مباحاً وحلالاً في الداخل.

وبالرغم من أن المسيحيين يدعون أن ماسونيتهم ليست ديناً ولكنها وصيفة أو خادمة أخلاقية خيرية للكنيسة، فإن الماسونية ذاتها لا تدعي في أي مكان أنها تحتل مثل هذا الوضع الثانوي التابع، ولدى قراءة الطقوس والشعائر فإننا سنجد أن الماسونية تمثل نفسها على أنها نظام كامل مكثف ذاتياً من الهداية الأخلاقية والروحية في الدنيا والآخرة فهي تعلم الفرد واجباته الكاملة تجاه الله والإنسان

وطريقة في التبرئة الإلهية التي بالسير عليها يصل الإنسان إلى الخلاص. إنها لا تنوه في أي مكان أو تعطي أية تلميحات بأن أي شيء زيادة على ذلك ضروري للحياة الدينية. صحيح أنها تحث على قراءة كتاب القانون المقدس، ولكن بما أن هذا الكتاب قد يكون أو لا يكون هو التوراة، فإن الاستنتاج سيكون بصورة واضحة أن القواعد الأخلاقية بدلاً من مبادىء وتعاليم أي كنيسة معينة أو دين معين ينبغي أن تكون هي الهدف. فإحدى هذه الوصايا (المرتبطة بسفر القوانين ولا توجد عادة في الطقوس والشعائر)، تعلن أنه مهما كانت الديانة التي ينتمي إليها شخص ما، فإن لن يمنع أو يحرم عليه الانتماء إلى المنظمة ما دام يؤمن بالباني المجيد، وإنه إذا كان لديه الإيمان بذلك فإن عليه تفوقه وتحيزه عن طريق سلوكه وأخلاقه.

وعلى أي حال فإن هذا لا يعني أنه يجب أن يكون منتمياً إلى أية ديانة أخرى، ولكن فقط إذا كانت له ديانة أخرى، فإنها لن تكون إطلاقاً مانعة له من أن يصبح ماسونياً. إن هناك كمية هائلة من التعليمات والوصايا الخاصة بالمدخل في العضوية أن يكون مواطناً مخلصاً ومطيعاً للقانون والذي هو ليس موضعاً للشك أو التساؤل أو النقاش أو النزاع. ولكن لا يوجد هناك ما يوحي بأن عليه أن يكون مخلصاً لأية كنيسة، التي قد تفسد انسجام وتناغم الأخوية. ففي منظمة تدعي بأنها «دينية» وأنها أوجدت عبادة الله، فإن هذا الاعتبار وحده قد يجعل المسيحي المقتنع يستغرق في التفكير قليلاً.

إن وجهة النظر الدينية للماسونية يتردد صداها بصورة قوية في «الربوبية» (الإيمان بالخالق مع عدم الإيمان بالأديان) التي انتشرت في القرن الثامن عشر في تأكيدها على نور الطبيعة على أنه الدليل والمرشد الأخلاقي، وفي بداية ونهاية تطلع الإنسان إلى الله وفي تبرئة الإنسان لنفسه في نظر الله عن طريق أعماله الصالحة الخيرة. وبالرغم من أن الماسونية أيضاً ترددَ صدى «الغنطوسية» (الخلاص يأتي عن طريق المعرفة الروحية) في ادعائها بأنها تمنح نوراً خفياً أي «فريداً» في نوعه فإنها تترفع (أو على الأقل تتجاهل) أي مفهوم، في أفضل

الحالات حيث تقول بأن «الماسونية يجب النظر إليها على أنها تجميع بشري وراء صميم الشيء الذي أقامه الله نفسه في الكنيسة المسيحية، فالماسونية تعلم الكثير فيما يتعلق بالاستقامة الأخلاقية ولكنها لا تكاد تذكر شيئاً عن الذنب أو التوبة. إنها ديانة الاستقامة التامة والاحترام المطلق للنجاة والخلاص عن طريق الأعمال، وليس عن طريق القداسة والورع والتواضع أو الاتضاع. ولعل ذلك هو السبب في أن الامبراطورية البريطانية وأمريكا قد أنتجتا أضعاف أضعاف الماسونيين الموجودين في كافة أنحاء العالم كله.

قد لا يحاول أي ماسوني إنكار أن أعماله قد تفرعت وانبثقت من الوثنية، وصوفية وباطنية ما قبل المسيحية، ومن بعض العناصر المأخوذة من الديانات غير المسيحية، لكنه سيحاجج، بالقول بأنه ما دامت هذه الأشياء بحد ذاتها ليست شذوذاً أو استثناء أخلاقيا، فأين الضرر في ذلك؟ أليست الكنيسة أيضاً مليئة بالعادات والمراسم الوثنية، أليس عيد الفصح احتفالاً متوارثاً من الأزمنة الغابرة بالحياة الجديدة في التقدير والاحترام والإجلال لأم الله. ما هو إلا صدى للأم العظيمة لروما الامبراطورية ذات الجلال والإكرام؟ ألا يوجد في ديانات أخرى، لمخلص ومنقذ، نصف آلهة مثل مريم.

كذلك فإنه سوف لا يحاول أي مسيحي مسؤول، بدوره، إنكار إمكانية وجود قاعدة تحتية من الحقيقة في هذه التأكيدات، كما أن عالم الديانات المقارنة قد يذهب إلى حد أبعد، ولكنه إذا كان مسيحياً مخولاً ومسؤولاً فإنه سيتحقق بأنه لا يوجد لديه أي عذر أو تبرير مهما كان نوعه.

إن المسيحية ديانة أوحى بها الله للإنسان، وليست نظاماً من صنع إنسان صعد إلى الله، فضل ذلك الوحي العلوي والنهائي الأسمى للكشف عن الحقيقة في تجسد سيدنا المسيح (الألوهية والناسوتية) فإن مما لا شك أنه يوجد هناك ملامح جزئية وظلال منها، بشرية محضة وليست من الوحي، ليست بحال من الأحوال مقصورة على الشعب اليهودي، وفي الحقيقة لقد كان هناك نماذج مناقضة لمنقذنا ومخلصنا في العالم الوثني، إن تلهف وتطلع الإنسان إلى الله،

وتطلعاته للوصول إلى الحقيقة، للإنسان الذي بالرغم من أنه مذنب وكثير الوقوع في المعاصي، إلا أنه كان قد خلق على صورة الله ومنح عقلاً وضميراً. ولكن التجسد هو الخلاص هو الوحي الأسمى والنهائي الذي تجد فيه النماذج والظلال نهايتها. وليست المسيحية هي الأسمى فقط ولكنها كاملة وتامة في وحيها وتنزيلها وأي نوع من الحقيقة، مهما كان جزئياً، فقد تم تخمينه واكتشافه من قبل العقل البشري من قبل وتم تثبيته واحتواؤه فيه. كذلك تم تبني الكثير من العادات والرموز والمراسم والاحتفالات القيمة. كما تم أيضاً رفض الكثير منها بكل قسوة وعنف لأن الله قد أرسل ابنه إلى العالم ليجعل الجنس البشري متلائماً ومنسجماً مع نفسه وليرشدهم بقيادة روح القدس، لمعرفة الحقيقة تامة غير منقوصة كما أنه لا يوجد هناك خلاص إلا باسمه.

سوف لا يكون هناك أي إنسان بلغ من ضيق الأفق والتمسك الأعمى بالعقيدة حداً يؤكد معه بأن أولئك الذين يحيون يموتون بدون يسوع هم محرومون من كل أمل في الخلاص، إذا عاشوا بموجب ما يمليه عليهم ذلك النور الموجود في أعماق إيمانهم، لأن ذلك سيغني أن يحدد رحمة الله الواسعة التي لا تحد والذي هو غير مقيد بقوانينه الخاصة ولكن الإنسان مقيد بها. ولكن إذا كان تجديفاً تحديد رحماته التي لا تحصى وغير المقيدة بمواثيق أو التزامات فإن من المفروض في الإنسان أن يأخذها على أنها قضايا مسلم بها.

وعلى أي حال، فإنه بالنسبة للمسيحي الذي يقبل هذا الوحي ويعترف بهذا الكشف، تكون عودته وارتداده إلى نماذج وظلال ما قبل المسيحية الخاصة بالنور الروحي والأخلاقي، والذي بفعل ذلك يكون قد تجاهل سيدنا وإلهنا يسوع كلية واستبعد كل ما ذكر عنه، بدخوله في نظام من العبادة والإصلاح الأخلاقي غير الموثوق والذي هو من صنع الإنسان، تكون عودته وارتداده عبارة عن إهانة وعدم اعتراف بالتجسد عن طريق تجاهله وبذهابه من وراء ظهر المسيح إلى ملة أخرى. إن أولئك الذين يقولون بأن الماسونية «مسيحية» في كل شيء ما عدا الاسم «أو حتى أنها منسجمة ومتلائمة مع المسيحية، لا يوجد لديه غالباً أية

فكرة أيضاً عن أن الإيمان بالمسيح يعني حقيقة شيئاً أكثر بكثير من مجرد مقياس معياري للسلوك المتواضع والأخلاق الحسنة. كما لا يبدو أنهم متحققين من أن كل ديانة أو عادة تستبعد المسيح عن قصد وسبق إصرار هي ديانة وثنية. وعلى هذا فإن رئيس الأساقفة ويليام يتمبل، في كتابه «الدين الشخصي وحياة الرفعة» كتب يقول: «إن الوثنية لا تتألف من الركوع الجسمي أمام تمثال أو صورة مادية، إنها تتكون من عبادة إله تحت أي مفهوم آخر غير ذلك المثبت أمامنا في الإنجيل.... إن الوثنية حقيقة شيء مهلك وعدو لدود».

إن رئيس الأساقة يتمبل لم يكن ماسونياً في وقت من الأوقات إطلاقاً[1].

(١) إن كل المفاهيم التي حاول المؤلف الرد عليها لهي جديرة بالإهتمام لأن الماسونية ديانة جديدة تخالف كل الديانات، ولا بد من الإشارة بأن المؤلف في تقديسه للسيد المسيح عليه السلام يدل على إيمان كبير بالمسيحية ولكن الإسلام جاء ليعلن بأن السيد المسيح عليه السلام هو نبي كريم وهو أحد الأنبياء العظام وأمه قديسة وهذا هو اعتقاد كل مسلم، وكل مسلم لا يعتقد بنبوة السيد المسيح عليه السلام فهو كافر بالإسلام والقرآن لأن الإسلام هو دين لجميع الأنبياء بعقيدة الوحدانية لله الواحد الأحد.

(٥)

رجال الدين والأخوية الماسونية

«إن الفارس الأبيض ينزلق على المسعر. إنه يتوازن بصورة سيئة جداً»

لويس كارول ـ من خلال المنظار

بالإضافة إلى الاعتراضات اللاهوتية والأخلاقية على الطقوس وأنواع القسم التي سبق وإن أقيمت، فإن هناك اعتبارات أخرى تجعل الماسونية بصورة خاصة غير مناسبة وغير لائقة برجال الدين.

فهي من الناحية السطحية الخارجية على الأقل مفتقرة إلى الكرامة والشرف واللياقة، مما لا يليق بكاهن وخاصة بأسقف أن يمارسها، وعادة على أيدي أشخاص من غير رجال الدين أو التابعين للملة، والأنكى من ذلك الإذلال والمهانة المضحكة التي تمارس في إعداد المرشح للعضوية والمنتسب إلى الأخوية. حيث إن على الأسقف، باسم الباني العظيم أن يتجرد من خاتمه الأسقفي وصليبه الصدري (المعلق على صدره) مع كافة الأدوات المعدنية الأخرى، كما تعصب عيناه، كما يتم جعله يترنح ويتلعثم ويعرى جزئياً في بحثه عن نور ماسوني لا تعرف المسيحية في عنفوانها وكمالها أي شيء عنه إطلاقاً، إن هذا ما هو إلا عمل إذلال تقوم به مؤسسة بشرية صرفة والذي يبدو أنه لا يختلف فقط في الدرجة والمرتبة بل في النوع عن أي إنسان عادي من غير رجال

الدين يؤدي نفس الطقوس والمراسم، إن المرء لا يستطيع تصور أن يقوم رسول أو حواري بفعل ذلك. وأسقف، باعتباره من خلفاء الرسل والحواريين، لم يكن قد كرس حياته فقط لخدمة وصيانة الدين الرسولي والخلاص التمثل في المسيح وحده، بل هو نفسه، كعضو في الأسقفية التي هي أسس وجوهر الكنيسة. كما أن الكاهن أو القسيس هو الممثل في أبرشية الأسقف.

مما لا شك فيه أن رجال الدين يشاركون غير رجال الدين الحق في الاستمتاع بالألعاب المسلية التي لا ضرر فيها وكذلك التمثيليات التحزيرية المسلية في ألبسة تنكرية في ساعات فراغهم. إلا أن الأعمال الماسونية بكل تأكيد يوجد فيها الكثير والكثير جداً من الطقوس والشعائر الدينية المقدسة التي يمكن نبذها بكل يسر وسهولة.

لقد سبق وإن تم التأكيد على أن الخلاصية التوفيقية (التوفيق بين الأديان) للماسونية يتعذر الدفاع عنها في المجال التبشيري، ومع هذا فإن انجلترا، بمعنى من المعاني، هي أيضاً مجال تبشيري يفوق فيها عدم الإيمان ويزيد عليه. صحيح أن الإنجليكانية، لا تثير العداوة وتقوم بالرفض والشجب المباشر الممنوح في أوروبا لكنيسة روما، ولكن عدم المبالاة قد يكون خطراً أكثر إهلاكاً وإغواء ومكراً.

إن هناك الكثيرين وربما الأكثرية الساحقة من الجماعات ذات المستويات المعيشية المتواضعة خارج خدمات الكنيسة الكهنوتية لديهم إيمان معين بالوجود الأعلى، والذي، مهما كان غامضاً، يؤهلهم للدخول في الماسونية. ومع هذا لم يعد بالإمكان أن يطلق عليهم اسم مسيحيين (حتى ولو كان لديهم بعض الاحترام التقليدي لمنقذنا ومخلصنا يسوع كرجل صالح) مما يمكن أن يطلق على المسلم المرتد الذي يحيا حياة متواضعة وقد يعبر عن الاحترام لتعاليم المسيح.

والآن إن الدافع لكثير من رجال الدين إلى الالتحاق بسلك الأخوية الماسونية، غالباً ما يكون ذلك الدافع الجدير بالحمد والثناء ألا وهو السعي

للاختلاط بصورة أكثر قرباً مما قد يبدو ممكناً بطريقة أخرى، بالرجال من ذوي النفوذ والتأثير من غير رجال الدين والذين هم من السابق أعضاء في الكنيسة، وبأولئك الذين ليسوا أعضاء، على أمل هدايتهم وجلبهم إلى الحظيرة. وبما أن الدين قد لا يناقش داخل المحفل (بالرغم من أن القس من المحتمل أن لا يكون على علم بذلك لدى التحاقه) فإن من الواضح أن باستطاعته أن يفعل ذلك فقط عن طريق إقامة صداقات حميمة يتم اتباعها بعلاقات معنية في الخارج. وبصورة عابرة فإن بالإمكان أن نشير إلى (مهما كان حدوثها كثيراً في الممارسة العملية) أن ذلك يعتبر بصورة قوية سلوكاً غير ماسوني استخدام الماسونية للترويج لأهداف تجارية أو عملية، ولذلك فإنه قياساً على ذلك، سيبدو أن استخدامها حتى بصورة غير مباشرة كأداة للهداية إلى الدين يمكن أن تعتبر غير مرغوب فيها من قبل المحفل الأعظم كذلك.

ولكن هل هذا الحافز أو الدافع مرغوب فيه حقيقة أو شرعاً من وجهة نظر الكنيسة قد يبرر قسيس زيادة فرعه المحلي للسعي وراء معرفة وإنقاذ المذنبين وغير المؤمنين هناك أيضا! قد يلتحق بأي ناد مشروع وقانوني حيث يشعر بأن تأثيره ملموساً، وأن نور المسيح قد انتشر ضياؤه. ولكن المحاججة بأن ذلك يوفر تبريراً للاجتماع في المحفل بأناس على مستوى ما قبل المسيحية كتبشير بالإنجيل، هي محاججة مميتة وزائفة على حد سواء.

وذلك لأن الانتساب إلى الماسونية والدخول في عضويتها ليس مجرد «اجتماع» بالناس على أي مستوى إطلاقاً. إنه الالتحاق بسلكهم ـ دمج المرء نفسه عن طريق قسم مقدس مهيب بأولئك الأشخاص وباعتقاداتهم البديلة للمسيحية. إنه صلاة معهم في صلوات وأدعية استبعدت سيدنا المسيح عن قصد وبصورة متعمدة. بل وحتى لو اعتبر حداً أدنى وليس أقصى من الدين أو العقيدة (كما ينبغي أن يكون الماسوني المسيحي الالتحاق بمثل هذا النظام الذي لا يدعي في أي مكان بأنه حد أدنى من العقيدة، قد يبدو بصورة جلية أنه يقرها على أنها عقيدة تامة وكافية.

إن المحاججة بأنه يحل بل ومن المشروع الاجتماع بأناس على مستوى يمهد للمسيحية أو موجود قبلها سيظهر على أنه يبرر لقسيس مسيحي أن تجري عليه عملية جراحية خفيفة وأن يصبح يهودياً لأمسية واحدة كل شهر من أجل أن يحول الجنس كله إلى المسيحية ويهديهم إلى سراطها المستقيم. صحيح أن اليهودية ترفض المسيح، بينما تقوم الماسونية بتجاهله، ولكن النتيجة هي أنهما غير مسيحيتين على قدم المساواة.

ولكن بالرغم من أن الماسونية تمثل من بعض النواحي ديناً على مستوى ما قبل المسيحية، فإنها تدعي أيضاً أنها تنقل نوراً روحياً وأخلاقياً، لا يشع في أي مكان آخر فإنها تدعي أن لديها أسراراً توصل إلى إحساس الإنسان بالقيم الروحية كما تحسن إطلاقه وسلوكه. إنها تدعي بأنها تملك بعض الحقائق المقصورة عليها فقط، إحداها الاسم المقدس والرمزي الباطني لله. كما تدعي أنها هي التي أوجدت عبادة الله.

وعلى هذا فإن المسيحي العادي الذي يعرف أنه كاهنه وقسيسه ماسوني، قد يكون تبعاً لذلك على حق في الشك فيما إذا كان ذلك الوحي وتعاليمه الذي من على المنابر هو بعد كل شيء كامل وتام. إذا وجد راعيه أن من الملائم والمناسب أن يكمله برموز خفية لا يمكن الحصول عليها إلا من المحفل.

وفوق هذا كله، فإنه يوجد الآن عدوان لدودان مميتان مهلكان للنزعة الغوطبيعية الإلهية للكنيسة، أحد هذين العدوين النزعة البشرية. والآخر هو الشعبية المتزايدة للإيمان الزائف بالقوى الخفية الغامضة وإمكانية إخضاعها لمشيئة الإنسان والتي تجد تعبيراً في النزعة الروحية والصوفية، وغيرها من العقائد الأقل شعبية وقبولاً. إن الماسونية بشرية في طابعها وأسلوبها، ومع ذلك فإنها تحتوي في نفس الوقت على كمية هائلة من السخافات الخفية الصوفية الرمزية فيما يتعلق بالهندسة والفلك والتي لا يأخذها أي ماسوني متعلم في هذا العصر المستنير على محمل الجد، فهل يمكن لأسقف أو قسيس أن يؤيد ويشجع هذه النزعات، حتى في الوضع الاجتماعي والمحترم أخلاقياً، للمحفل

الماسوني، ويقوم في نفس الوقت بالمخاطرة بما قد يبدو ولاء مزدوجاً، (الازدواجية الدينية).

حيث إن هذه المخاطرة موجودة هناك، وحيث تبدو واضحة جلية عندما يجد الأسقف أن قسمه الأسقفي وقسمه الماسوني الملزم في تناقض، وعندما يأخذ القسم الثاني يحكم الظروف.

ومما لا شك فيه أن هذا اتهام خطير، كما أنني أطأ أرضاً حساسة دقيقة في إعطائه أهمية وتحويله إلى شيء ملموس، إلا أن المسألة في منتهى الأهمية. وباستطاعتي أن أتناولها بصورة أفضل لو كنت أكتب بصورة شخصية.

فقد فاتحني أخ قسيس منذ سنوات في أن أصبح أخاً ماسونياً، وقد أبقى على نفسه ضمن القانون عن طريق عدم سؤالي بصورة صريحة، ولكنه أشار إلى أنه سيكون عملاً في منتهى الجودة لو قبلت ذلك، وأنه سيكون في منتهى السعادة لاقتراح اسمي والتوصية به، إلا أن الفكرة وصلت إلى نفس النتيجة، فقد أجبته بأنني أكره غاية الكره وأرفض أشد الرفض الالتحاق بأية منظمة لا يسمح لي بمعرفة أي شيء عنها سلفاً، الأمر الذي أجاب عليه لو أن كل واحد شعر بهذا الشعور وتبنى هذا الرأي، لما كان هناك ماسونيون على الإطلاق، لأنه ليس باستطاعة أي فرد خارج الأخوية الماسونية أن يكتشف أسرارها، وأن ما كان خيراً وصالحاً بما فيه الكفاية للأساقفة الذين أصبحوا ماسونيين ينبغي أي يكون صالحاً بما فيه الكفاية بالنسبة لي.

وكان هذا الجواب هو الذي جلب اهتمامي في الموضوع برمته، وقد تذكرت عضواً في البرلمان كان قد أخبرني (بعد وقت طويل تلك المفاتحة التي يمكن أن تكون طيشاً وعدم حكمة) بأنه حتى في الجلسات السرية لمجلس العموم أثناء الحرب كان يعتبر من الخطورة بمكان كشف الأسرار البالغة السرية المتعلقة بالسياسة والاستراتيجية حتى لحوالي ستمائة عضو من أعضاء البرلمان الموثوقين وأن هذه الأسرار في وجه العموم كانت في بعض الأحيان تناقش على

أنها فقط شحنات ونقائص وعيوب في الدبابات. فهل من المحتمل أو حتى من الممكن لمنظمة تضم في عضويتها حوالي خمسة ملايين شخص، ومما لا شك فيهم الصالحين والطالحين وغير المبالين، والتي مضى عليها في الوجود ما يزيد على قرنين أن تبقى حقيقة بقية العالم في جهل تام بأسرارها؟ وعلى هذا فقد خدعت وأخذت في البحث والتقصي.

ولقد فوجئت لدى رؤيتي الوسيلة التي يمكن بواسطتها التنقيب والكشف عن المعلومات بالطرق التي شرحتها في الفصل الأول ـ ومع ذلك فقد بقيت قلقاً بصورة متزايدة حول طبيعة تلك المعلومات. وعلى هذا فقد كتبت إلى أسقف ماسوني كنت قد التقيت به مرة، طارحاً بين يديه بعض تلك التعقيدات والنقاط المحيرة، ذاكر الاستنتاج الذي توصلت إليه من أن «بعل» هو الاسم السري لله في القنطرة الملكية، كما أوضحت له بأنني كنت أسأله من أجل إرشادي كأسقف في مسألة تتعلق بالدين والأخلاق.

وقد تم تلقي الجواب بدهشة مشربة بالسخف حيث اكتشفت ما يعتقد بأنه أسرار بدلاً من تخفيف الشكوك والريب الموجودة لدي. فقد قال بكل لطف ومجادلة بأنني إذا كنت لا أحب الماسونية من الأفضل أن لا ألتحق بها. ولكنه لم يكن مسموحاً له ولا يحل له مناقشة هذه الأشياء مع من لم يكن ماسونياً. وعلى هذا فقط كتبت له كرد على جوابه بأنني كنت مرتاعاً إزاء ما كانت ترمي إليه ملاحظاته، فقد رأيت لأول وهلة (ولم أعد لذلك ثانية) أن الأخوية الماسونية لا تنسجم ولا تتفق مع المسيحية، وإنني تبعاً لذلك لجأت إلى أسقف ليهديني سواء السبيل، وكان جوابه أنه كان ملتزماً بقسم بأن لا يفند أو حتى يناقش مثل هذه المسائل، مع أي شخص لم يكن مرتبطاً بقسم مماثل بكتمان السر الأمر الذي يعني بكل وضوح وجلاء أن القسم الماسوني اتخذ الأولوية على قسمه الأسقفي في أن يعد (المبدأ الغريب الخاطىء، إلا أنه لم يكن هناك جواب، وخرج بالصمت عن لا ونعم.

كذلك فإنه أساقفة آخرين ممن كتبت لهم، كانوا إما متملصين مواربين

مثله، أو أنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء النظر في رسائلي أو التعرف عليها. إن «الصمت المبجل» هي العبارة التي لها الخطوة لدى الماسونيين. والاستثناء الوحيد الممتع، الذي سأبقى ممتناً له أبداً، فقد دعاني إلى منزله وسمعني إلى آخر كلامي بصبر وأناة وإحسان مسيحي حقيقي. ولكنه كان مثلهم غير قادر على الإجابة على اعتراضاتي.

إن أسئلتي إلى هؤلاء الأساقفة لم تكن إطلاقاً معنية بالتعريفات الخاصة بتعاليم الكنيسة وقواعدها، إلا أنها كانت مهتمة بتعاليم هيئة تدعي أنها تقدم العبادة لنفس الإله الذي تعبده الكنيسة والتي تتداخل مع الكنيسة ـ وكان هؤلاء الأساقفة ضمن تلك التداخلات، لا يمكن أن يتوقع من أي أسقف أن يكون العالم بكل شيء حتى في المسائل المتعلقة بالله، فلو أنني سألت أسئلة عويصة غامضة عن مجيء المسيح إلى العالم ثانية فإن كل أسقف يحق له أن يقول لا أدري وإنه ليس موضوعه وإذا اعتقد أن السؤال كان تافهاً وبليداً فإن باستطاعته الإجابة. بعبارة أنجلوسكسونية مقتضبة، كما أنه سوف لا يكون لدي أي سبب يدعوني للتذمر. ولكن هؤلاء الأساقفة رفضوا الإجابة على أسئلة حول اسم وطبيعة الله الذي يعبدونه كماسونيين، حتى بالرغم من أنهم بلا شك سيدعون أنه نفس الله الذي يعبدونه ويصلون له كأساقفة. مما لا شك فيه أنها الأجوبة الخاصة بأسئلتي الجدية والمعقولة تماماً، إلا أنهم كانوا مرتبطين بقسم بأن لا يجيبوا عليها لأي مسيحي مكلفين من طرف العناية الإلهية بتعليمه وإرشاده وهدايته سواء السبيل، ما لم يكن أخاً ماسونياً أيضاً وملتزماً بقسم ماسوني بأن لا يفشي السر، وهو قسم غير معترف به من قبل الكنيسة. وهذا الأمر مقلق بصورة محزنة يرثى لها. مما لا شك فيه أنه لا ينبغي لأي أسقف أو رجل دين أن يعرض نفسه حتى لإمكانية أن يجد نفسه في ذلك الوضع المقيت والمريب عن طريق الالتحاق بجمعية أو هيئة لديها أسرار ذات طبيعة من هذا النوع.

يجب أن يكون هناك شيء واحد صحيح من اثنين. إما أن تكون مضامين أسئلتي خاطئة، وهي حالة أكون أنا نفسي واقع في الخطأ بإيماني بأشياء «غريبة

وخاطئة» فإذا كان هذا صحيحاً، فإن أولئك الأساقفة يكونون قد حنثوا بقسمهم برفضهم منعي من الخطأ حيث إن عبارات مقتضبة مثل كلمة «سخف» عندما تكون مقرونة بالعجز عن تفنيد الاستعداد الطبيعي والملكة العقلية، ليست مجرد تفنيد لما هو كائن، أو على الأقل تفنيد للبنية البديهية، التي تدرك لأول وهلة.

إن البديل هو أن مرامي أسئلتي كانت صحيحة جزئياً على الأقل، وحقيقة أنه لم يقم أحد حتى الآن بتفنيد القضية التي أثرتها كما أن بعض الماسونيين قد ذهبوا إلى حد الاستقالة من محافلهم وأخوياتهم. تضامناً معي مما قوى ودعم قضيتي. وعلى هذا فإن قضية إنسان المبدأ الغريب الخاطىء غير المطلع والمنبوذ عندئذ أصبح في هذا السياق بالغ الدقة والحرج بحيث أصبح لزاماً علي أن أتركها إلى هذا الحد.

من المعروف والمقبول لدى الجميع هو أن على هؤلاء الأساقفة ورجال الدين الماسونيين أصبح من المحتم عليهم الدفاع عن أنفسهم وأيديهم مقيدة وراء ظهورهم. ومع ذلك، فإن هذا الأمر لا يكاد يعتبر وضعاً غير ملائم ولا عادل، وذلك لأن أصحاب النيافة رجال الدين قد قاموا بمحض إرادتهم وأمنهم واطمئنانهم وبصورة نهائية غير قابلة للنقض أو الإلغاء بتقييد أنفسهم هناك. ولكن هذا الموقف موقف مشرف لآبائنا في الله؟.

(٦)

المعضلة الكبرى

ألم تتوصل إلى حل اللغز بعد؟ قال ذلك بائع القبعات وقد التفت ثانية إلى إيليس. فردت إيليس غاضبة وقالت: «كلا، لقد تخليت عنها، فما هو الحل؟».

فقال صانع القبعات: «لا يوجد لدي فكرة مهما كانت طفيفة.

فقال مارتس هير: «ولا أنا».

من المحتمل أن الماسونيين سيعتبرون الأمر بأنني أقوم بإثارة كمية هائلة من الصخب والضجيج حول نواح معينة من طقوسهم الأمر الذي لم يخطر ببالهم إطلاقاً وبكل تأكيد، قد يوافقون على أن يقرأ من الطقوس فقط ما يتعلق بالتفسيرات والتأويلات التي قمت أنا (وكثير من الكتاب الماسونيون كذلك) ببحثها. ولكن بما أن معظم الماسونيين لا يؤولون هذا الأمر بهذه الطريقة، ولذلك فإن المستحيل حقيقة إثارة المسألة.

وقد يقولون أيضاً (وهذا الموضوع قد تمت مناقشته سابقاً) إن بعض العناصر الوثنية وفيما قبل المسيحية يمكن أن تقرأ في الطقوس والاستخدامات الخاصة بالكنيسة.

إلا أن تعاليم الكنيسة ملكية عامة تم إعلانها ونشرها بصراحة دون خوف أو وجل ووضعت أمام العالم أجمع. وكانت على مدى قرون موضعاً للفحص

والبحث والانتقاد والهجوم كما أخضعت بكل اختبار وفحص وتدقيق معروف لدى العالم والصديق والعدو. فرجال الدين الذين هم حماة وحراس الخفايا والرموز المسيحية قاموا بتدريب أنفسهم في البحث والمناقشة. كما أطلعوا أنفسهم على الاعتراضات الشائعة ضد العقيدة والأسرار المقدسة، وكتب الصلوات، وغيرها من المسائل التي ينبغي أن يكون لديه إجابات صافية وافية عليها. لأن يعرفون بأن هذه الأشياء قد صمدت لتجربة الزمان والانتقاد والبحث والتقصي.

أما الماسونية من الناحية الثانية، بالرغم من شجبها أحياناً فقد كانت تتمتع بحصانة نسبية ضد أي انتقاد حقيقي، أو بحث أو تمحيص من الخارج، ومما لا شك فيه أنها كانت تدعي أن هذه الحصانة التي تتمتع بها تكاد أن تكون حقاً إلهياً مقدساً وامتيازاً وهبته لها العناية الإلهية، حتى ولو أنه لا يوجد هناك أية هيئة تتمتع أو يحق لها أن تحلم بالمطالبة بمثل هذا الوضع. ومع هذا فإن الحصانة ضد أي نقد من الخارج تميل دائماً إلى أن يكون لديها تأثير موهن تجاه النقد الذاتي الذي يوجه إليها من الداخل، كما أن ذلك يشجع على الإحساس بالأمن الواثق. وبعد كل شيء فإن الإصلاح المعاكس لم يحدث إلا بعد أن قام بعض المسيحيين بالانطلاق من ربقة الكثلكة وقاموا بمهاجمة مساوئها.

لذلك، فإن الماسوني العادي في أمنه الحصين لم ير أية ضرورة لفحص أعماله بصورة نقدية أو تبريرها من وجهة النظر المسيحية للعالم الخارجي، إذ لماذا يكلف نفسه عناء اكتشاف الأجوبة على الأسئلة التي كان قد التزم مقسماً بعدم الإجابة عليها، والتي لا يهمه بحال من الأحوال كما أن من المحتمل أن لا تسأل إطلاقاً؟ وإذا أردنا الحديث بصورة عامة فإن الماسونية تستهوي الطبقات الأقل روحية من البورجوازية (لم أقل الأقل أخلاقاً أو الأقل احتراماً) فالضمير الماسوني (وما زلت أتحدث عن التعميمات) لا يجعل، حتى بين المخلصين من المسيحيين، لا يجعل بصورة غريزية من تلك النواحي من الأعمال التي تحط من شأن الوساطة العليا لسيدنا ومنقذنا، أية قيمة عن طريق تجاهلها أو توفير بدائل

عنها. فعلمهم التوراتي أو الكتابي (ومرة ثانية باستثناء ما يتحدى الشرح والتأويل) هو بطريقة تجعلهم إما أن لا يتحققوا كم هو بغيض وكريه لأنبياء الله وجود أي مزج أو خلط بين يهوه وبعل، أو تجعلهم يبدون وكأنهم يفكرون فيما إذا كان ذلك قابلاً للتحقق، ويبدو أنهم على جهل بأن التوفيقية (التوفيق بين الديانات والمعتقدات).، والديانة «الطبيعية» والديانة اللاتفريقية (الديانات متساوية ولا فرق بينها): هي الأعداء الألداء للكنيسة الممعنة في القدم التي أقامت الماسونية صداقات معها في هذه الأيام، فإذا كان من غير المنتظر من أي فرد من خارج الماسونية، فلماذا يزعموا أنفسهم ويكلفوها عناء البحث في ذلك؟ وبعد كل شيء فإن المبادىء العظيمة «الحب الأخوي، والإحسان، والحقيقة» (تلك المبادىء التي تؤمن بها الكنيسة وترفع من شأنها، ولكن بصورة أقل إسرافاً وابتهاجاً بها) وهل يهم في أي مرتبة يمكن لهذه المبادىء العادية وغير الاستثنائية أن توضع وتعلن ويرفع من شأنها؟.

يبدو أن أولئك الذين يعلنون بأن هذا الشرح والتأويل للماسونية مناف للطبيعة والعقل، ولا يمس الحقيقة والواقع إطلاقاً، يفعلون ذلك، ليس بدافع من المعرفة الداخلية التي تأتي عن طريق البحث والتمحيص والنقد، بل تأتي من جهلهم بهذه الأشياء من ميلهم إلى أخذ المسألة على أنها مسلم بها ولا تحتاج إلى نقد.

ومع هذا، فإن من المسلم به، أن التشابه يوحي بنفسه ففي أيام «حركة أكسفورد» ـ حركة إصلاح كنيسة بدأت في أكسفورد ـ عندما ظهرت النشرة المشهورة «اكس سي» قوبلت بغضب واحتقار وسخرية واتهامات بعدم الولاء والإخلاص من قبل عدد كبير من الأشخاص من ذوي الإيمان القوي الصحيح الذين كانوا بصورة تقليدية يأخذون كقضية مسلم بها بأن البنود التسعة والثلاثين كانت حصناً حصيناً للبروتستنطية في كنيسة إنجلترا. ومع هذا فإن الفرضية والفكرة الرئيسية في وثيقة حركة أكسفورد، في هذه الأيام والقائلة بأن البنود الآنفة الذكر قابلة للتأويل «الكاثوليكي» وأنه تمت صياغتها بتلك الطريقة كنوع من

التوفيق والمهادنة لتكون مقبولة عموماً من قبل اللاهوتيين الإنجليكان ومؤرخي الكنيسة.

وسيكون هناك دائماً بروستانتينيين في غاية التعصب والذين يرفضون هذا الشرح والتأويل، ومن المحتمل أيضاً أنه سيكون هناك ماسونيون مستعدون للموت في سبيل الماسونية.

لا يمكن بصورة منطقية أن نتوقع من كل ماسوني، ولا حتى من كل ماسوني مسيحي أن يكون عالماً في اللاهوت، أو حتى متحققاً من أن أخويته الماسونية على خلاف مع الديانة المسيحية القائمة بذاتها والمقتصرة على نفسها. ومع هذا فإن مما لا شك فيه أن كل فرد قادر على التفكير السليم يجب أن يتحقق من أن الماسونية معضلة أخلاقية لا مناص منها وغير قابلة للحل.

فإذا ادعت الماسونية بأن لديها أسرار المعرفة التي سيستفيد منها كافة بني البشر في تمكين الإنسان من الوصول إلى حياة أسمى وأعلى أخلاقياً، فإن مجرد احتفاظ الماسونية بتلك المعرفة لنفسها فقط هو عمل لا أخلاقي.

وإذا لم يكن لدى الماسونية مثل هذه الأسرار فإنه ليس من الأخلاق في شيء أن تدعي أنها موجودة لديها وأنها في حوزتها.

وبعد كل شيء، لماذا ينبغي أن تكون أية معرفة عن الأخلاق وطبيعة أو اسم الله، سراً؟ إن محاضرة هيئة التتبع والمراقبة التابعة للدرجة الأولى من درجات الماسونية تحاول الإجابة على هذا السؤال، وهو جواب صحيح، إلا أن الجواب.. سيكون موضعاً للسخرية والاحتقار في القرن العشرين المستنير. ولهذا السبب فإن المحاضرة تشير ضمناً إلى أن تعاليم الماسونية قد احتفظ بها سراً لنفس السبب الذي جعل المعرفة العليا سراً وحيازتها المرتبطة بقسم قد أبقيت حكراً على الأقلية في مصر القديمة، وذلك لأن تلك المعرفة تمنح قوى وسلطات خفية قد يساء استخدامها إذا وضعت في أيد غير جديرة بها.

ولكن هل باستطاعة ماسونيينا الديموقراطيين والمستنيرين في هذه الأيام،

أن يفكروا في إعطاء جواب أفضل؟ إن طقوسهم لا توحي بأي شيء من هذا في أي مكان، بل إن من الصعوبة بمكان وحتى بعد القيام بأقصى أنواع التحريات المضنية أن نعتبر تلك الطقوس «مستنيرة» وكيفما كان أسلوب ترجمة أو تأويل بصورة رمزية تلك الأعمال الحمقاء والترهات بخفايا الماسونية ورموزها فإن من الواضح أن هذا الأمر سيبقى سراً غامضاً غير قابل للشرح أو التأويل، حتى للماسونيين.

(٧)

أخوية الإحسان والتسامح

«إنك تعرف نوع الأشياء التي يقولها الوزراء في حالات من هذا النوع إن قليلاً من التفاهات أو الملاحظات المبتذلة ستصلح لذلك. ففي حياتنا العصرية لا يوجد أي شيء ينتج تأثيراً مثل الملاحظات التافهة المبتذلة، إنها تجعل العالم كله أقرباء ومن عشيرة واحدة.

أوسكار وايلد ـ زوج مثالي

إن أول رد فعل للماسوني لدى سماعه انتقادات لاهوتية للأخوية الماسونية غالباً ما يبدو «كيف تجرؤ! ألم تتحقق من الخير الذي تفعله»؟

إن الجواب لا يمت للموضوع بصلة بصورة مذهلة. فالعصمة البابوية لا تثبت بالأعمال غير الأنانية للفقراء القاطنين في الأحياء الفقيرة في باريس، ولاكريستولوجيا الموحدين (الإيمان بإله واحد وإنكار التثليث) غير الصحيحة التي يبرزها واقع الحال، في الحقيقة القائلة بأن كثيرين منهم يكتتبون بصورة أكثر كرماً للمستشفيات كما أنهم في منتهى اللطافة والبر لذوي رحمهم. إن الهندوس في منتهى الرفق بالبقر، الأمر الذي يعتبر من أسمى الفضائل.

ولكن دعنا نقر أن الماسونيين في منتهى الكرم، بصورة غالباً ما تجعل المسيحيين متخلفين وراءهم في هذا الميدان. فمجموعة جمع البر والإحسان

التي تطوف في الأعياد والاحتفالات ترجع بكمية من الأوراق النقدية وقطع النقود الفضية أكثر من معدل ما يجمع في صلاة المساء. ودعنا أيضاً نسلم ونعترف أن المؤسسات الماسونية ومستشفياتهم الخاصة بالمرضى الماسونيين، ودور حضانتهم، ومدارسهم الخاصة بأطفال الماسونيين، يتم إدارتها بصورة جيدة. وأن لديهم صندوقاً للبر والإحسان لفائدة الفقراء والبائسين من الماسونيين وأراملهم وأيتامهم. بالإضافة إلى هذه الجمعيات الخيرية الخاصة بالأخوية فقط، والتي يساوي نطاق عملها صناديق البر والإحسان والتأمين الخاصة بعديد من النقابات العمالية، وغيرها من المؤسسات الأخرى غير الماسونية، بالإضافة إلى هذه الجمعيات، الجمعيات الأخرى مثل هيئات إغاثة بوردمابور. . الخ كل هذه المؤسسات والجمعيات الخيرية تدعمها المحافل الماسونية بسخاء.

ومع ذلك، فإن الادعاء بأنه «لم تقم أية مؤسسة إطلاقاً بعمل أكثر من ذلك لإنقاذ وإغاثة الفقراء وعلاج المرضى»، هذا الادعاء من الواضح تماماً أنه لا يمكن الدفاع عنه إذا ما تمت مقارنة هذه المؤسسات الماسونية الخاصة بفائدة الماسونيين، والممتازة والتي هي فوق النقد كما هي حقيقة، إذا ما قورنت من الناحية العددية بتلك الأعداء الأكثر بكثير من المدارس والمستشفيات وملاجىء الأيتام التي تدعمها وترعاها كنيسة الله في كافة أرجاء العالم، أما إذا كان هذا الادعاء يعني النسبة أو المعدل، أي أن الماسوني العادي أو المتوسط يدفع أكثر من المسيحي العادي أو المتوسط، فمن المحتمل أن يكون هذا عذراً مقبولاً، ومما لا شك فيه أنهم يفخرون كل الفخر بهذا العمل. إلا أن الماسونيين يأتون بصورة رئيسية من القطاعات الميسورة من الأفراد الذين يستطيعون دفع ما لا قيمة له بالنسبة للامتيازات التي يتمتعون بها.

فإذا ما تمت مقارنة الحصص والنسب في الدفع، فإن البر والإحسان الماسوني لا ينطبق ولا يماثل الصدقة المسيحية المثالية، إنها ليست روح الأرملة التي تتبرع بفلسها الوحيد، بل روح الأشخاص الأغنياء (يسمون أنفسهم أبناء الأرملة) الذين يدفعون من فائض أموالهم وفضلات ثرواتهم.

والآن لا يوجد هناك أي شيء غير مسيحي في اليسار والوفرة والغنى، كما أن المسيح (في تلك الحالة) لم يدن الغنى ولم يحرم الوفرة واليسار. بل قال فقط إن الجانب الآخر أعز قلبه وأكثر قبولاً عند الله لأن الأرملة تدفع حتى يصيبها الضر.

إن الطقوس الماسونية، كحقيقة واقعة وبصورة جدية تحذر من هذه الأعمال الخيرية المسيحية المثالية. حيث إن قسم الدرجة الثالثة يلزم المرشح للدخول في الأخوية أن يعيش أخاً ماسونياً لدى الحاجة فقط «إلى حد يتم القيام به بدون إلحاق ضرر بنفسي أو بأقاربي وعشيرتي» تلك العبارة التي تتردد في مختلف المحاضرات والوصيات والتوجيهات.

فجوهرة طائفة المحبة التي قد يتم شراؤها لدى الممارسة العملية بعشرين جنيهاً وفترة من الإشراف والإدارة وتدبير شؤون الطائفة، ومزيد من السبائك الذهبية في مقابل عشر جنيهات بكل سبيكة، هذا العمل ما هو إلا من المبالغات الفريسية (نسبة للفريسيين في عهد يسوع) التي بلغت حداً من الإفراط جعلت الماسونيين من ذوي العقليات الروحية أنفسهم تساورهم الشكوك إزاءها وأن يوجهوا إليها انتقادات قاسية، ربما تكون المسألة برمتها عبارة عن فرك الملح غير الضروري في الجروح للخارجيين ليتمنوا لهم السعادة.

مما لا شك فيه أن أعظم النواحي الجذابة في الماسونية التي تسترعي اهتمام أتباعها والموالين لها ليس طقوسها وشعائرها أو مضامينها الدينية، ولا فوائدها وميزاتها المفترض وجودها في مختلف الشركات والأعمال وبعض الحرف والمهن، بل العضوية المحببة للصداقة المخلصة الأصلية والأخوة التي تتسم بهاالاجتماعات التي تتم في المحفل والإجراءات اللاحقة، التي ينبغي ممارستها من أجل أن يتم تقديرها والإعلاء من شأنها بصورة تامة وكاملة، حيث إن الماسونيين يقرون بصورة واضحة صريحة أنهم موجودون من أجل الهدف الممجد بصورة كاملة ومن قبل الجميع ألا وهو المتعة المتبادلة والمشتركة وكذلك المنفعة والفائدة المشتركة.

مما لا ريب فيه أنني لا أجد أحداً يحب أن يوجه أي انتقاد، مهما كان نوعه ضد هذا الأمر حيث يميل غير الماسونيين، يميلون إلى توجيه أنفسهم ليكونوا نموذجاً يحتذى للكنيسة في ادعائهم في أنهم حققوا الأخوة والحب المتبادل حيث فشلت الكنيسة في تحقيقه. فقد كتب نيافة سي. كي. هوجز. الذي شير إلى نفسه على أنه «قسيس وماسوني» كتب إلى صحيفة الجارديان (٢٣ فبراير ١٩٥١) يقول: «يجب على المراقبين في المجمع الكنسي الإنجيلي أن يسألوا أنفسهم، لماذا نجد الكثير جداً من عناصر الزمالة والولاء والإخلاص والأخوة والبر والإحسان وما شابه ذلك، والتي تميز كنيسة العهد الجديد مفقودة في كنيسة إنجلترا، بينما يعتقد بأنها موجودة في الماسونية؟ فإذا كانت الكنيسة المنظمة توفر ما توفره الماسونية، فسوف لا يكون هناك حاجة إلى الأخرى.

ويعني هذا الموقف أن الكنيسة والماسونية يمكن مقارنتهما على أسس متشابهة متماثلة، وأن الثانية قد نجحت حيث فشلت الأولى، أي أن مبدأ الزمالة والأخوة في الكنيسة قد تدنت إلى مستوى أدنى بكثير جداً عن المثل الأعلى الذي وضعه منقذنا ومخلصنا المقدس يسوع والذي لا يجحده إلا القليلون، لأن الكنيسة على الأرض تصارع في (وضد) عالم ساقط منحل أثيم شرير.

إلا أن زمالة المحفل قائمة على شيء ما مختلف كل الاختلاف عن زمالة الكنيسة بحيث لا يمكن المقارنة بينهما حقيقة. إنها مبنية على مبدأ المقصورية (أي الاقتصار على الجماعة وحدها) التي تجعلها ـ بالرغم من أنها أصيلة من ناحية ـ مع ذلك مصطنعة زائفة ومتكلفة مقتصرة عليهم، بل مكونة من أشخاص من خلفيات ومداخيل ومصالح متماثلة، فنجدهم في العديد من المحافل من نفس المهنة. كما أن المسائل الخلافية مثل الدين والسياسة محظورة خشية تعكير صفو الانسجام، فكل شخص عرف عنه أنه مشاكس وغير متجانس يمكن أن يصوت ضده ويمنع من العضوية. فإذا ما توفرت هذه الشروط، وعززت بغذاء وشراب جيد، فإن زمالة قلبية جيدة، والتي لا يتأتى حتى للأنخاب الطويلة الأمد والتافهة المبتذلة عادة أن تضعفها ليست صعبة التحقيق.

وعلى هذا فإن الزمالة الماسونية فوق النقد تماماً، عندما تعطي هذه الشروط قيمتها التي تستحقها، لأنه مما لا شك فيه أن الرجال (والنساء أيضاً) سيقومون بصورة طبيعية وصحيحة بالتجمع في النوادي والجمعيات التي يمكن فيها لأشخاص من ذوي المصالح والخلفيات والهوايات المتماثلة أن يجمعوا أنفسهم من أجل الربح والفائدة المشتركة والمتعة المتبادلة. ولكن إذا قارناها بزمالة الكنيسة الأوسع نطاقاً، فإنها مضللة بصورة متعمدة.

حيث إن يسوع لم يتألم ولم يمت على الصليب لفتح أبواب السماء، لم يفعل ذلك فقط لأصحاب الأعمال المحترمين، ومدراء البنوك، والأطباء والمحامين والضباط، والكهان والموظفين المدنيين. بل إنه مات من أجل المرأة والطفل أيضاً. لقد أراق دمه الغالي النفيس من أجل الأفاكين، والقوادين والبغايا. لقد عانى لذع السياط ليكفر عن خطايا البهيميين والقساة. لقد تحمل آلام العطش من أجل السكيرين والمخمورين، لقد تحمل عن طيبة قلب وصفاء نية كل إذلال من أجل آثام المتكبرين والذين يعتقدون في أنفسهم أنهم أكثر استقامة من الآخرين. لذلك فإن الكنيسة بدعوتها إلى التوبة وإلى تحقيق الأخوة الأوسع والأصح للإنسان الذي كفر عنها الدم الغالي الثمين، إنما تفتح ذراعيها للبشر كافة. إنه لا يوجد لديها حظر أو قائمة انتظار المعمودية، كما لا يوجد لديها حارس مشهر سيفه على أبوابها لإبعاد أولئك الذين قد يعكرون صفوها، لأن حياة المناضل من أجل الكنيسة في هذه الدنيا ليست حياة سلام ومتعة، بل حرب روحية ثابتة دائمة، صحيح أن لديها سلاح الحرمان، إلا أنها ترحب دائماً بالتائب، إنها لا تقدم على تحريم المجادلة والمحاججة داخل صفوفها، لأن من خلال النقاش والمجادلة يتم الوصول إلى الحقيقة.

من الطبيعي إذن، أن زمالتها والانتماء إليها في هذه الدنيا هو انتماء بشري هو خطأ محض وغير صحيح إطلاقاً. ولكن لها حقيقة إلهية كما أنها في غمرة كافة الأعاصير والمحن التي ألمت بها تقدم، ليس فقط البهجة والسعادة القلبية، بل البهجة الحقيقية الصحيحة الآتية من السلام الذي أغدقه الله على كل عاقل.

إذاً ما الذي تريد الماسونية تعليمه لها؟ ما هي الميزة الموجودة في موت حيرام أبيف الذي جاء في غير أوانه والتي يمكن أن يضيفها إلى آلام منقذها يسوع الفادي الذي يوحد المفتدي بالمفتدى؟

هناك فضيلة أخرى يدعي الماسونيون أنها تمتاز فيها على الكنيسة وهي التسامح. حيث إن إحدى الوصايا والتوجيهات القديمة تقول «دع ديانة أية إنسان أو أسلوب عبادته، تكن مهما كانت، إنه لا يستبعد من منظمتنا ما دام يؤمن بالباني العظيم للسماوات والأرضين ويمارس الواجبات المقدسة المتعلقة بالأخلاق». وعلى هذا فهم يقولون، لا يوجد هنا لا شجار أو خصومة حول الدين أو العقيدة ولا جدال يدور حول السياسة، بل مثال يحتذى للعالم عن كيفية تطبيق مبدأ عش ودع غيرك يعيش.

ومع هذا فإنه بالإضافة إلى عدم التسامح البالغ الحساسية للنقد الخارجي، فإن هناك استثناء في غاية الأهمية لهذا التسامح الكريم للمحفل العظيم، الكامن في موقفه إزاء الهيئات الماسونية الأخرى التي لا يعترف بها.

وتقع هذه الهيئات في مجموعتين. فأولاً، يوجد هناك ماسونيو ماركة الأستاذ، والدرجات العليا من الطقس القديم المقبول، وفرسان الهيكل، والمنظمة الملكية الإسكتلندية، والدرجات المتحالفة، وغيرها من الهيئات الماسونية الأخرى، والتي لا يوجد اعتراف رسمي بها، إلا أن العلاقات ودية، كما أن ماسونيي الأخوية غير ممنوعين من الالتحاق بها.

ويأتي في المجموعة الثانية مختلف الهيئات بما فيهم الموجهون العظام في أوروبا وبعض المجموعات المنشقة عنهم. مثل «النجم الشرقي» وغيرها من المجموعات التي تتبنى الماسونية أو الماسونية المشتركة. وهذه المجموعة الأخيرة هي التي تستحق الاهتمام.

إن السبب الذي أعطي للانشقاق عن الموجهين العظام هو أنهم تخلوا عن المعلم الأساسي القديم والجوهري ألا وهو الإيمان بالباني العظيم. وهذا أمر

واضح ومفهوم. ولكن يوجد في إنجلترا منظمة مفتوحة للنساء معروفة باسم «الأخوية المعظمة للماسونية القديمة» (المنبثقة من الماسونية التصوفية للسيدة آني بيزانت والتي يتبرؤون منها الآن ويجحدونها) التي تمارس بصورة دقيقة نفس طقوس المحاكاة السرية كماسونيين منتظمين، بنفس الإشارات والمصافحات والكلمات، ذات التعاليم الأخلاقية نفسها، ونفس الإيمان بالباني العظيم. من المعروف أنه ليس مهماً ولا قيمة له من الناحية العددية تعداد محافل الماسونية بالعشرات بينما المحفل العظيم يعد أعضاؤه بالآلاف. إلا أن المبدأ يبقى حيث إن المحفل العظيم سوف لا يقبل أيًا منها كما يدعي أن له حق تأديب وطرد أي ماسوني منتظم يقوم بزيارة أي محفل يسمح للنساء بالدخول فيه كماسونيات. ويبدو عندئذ أنه سيتبع ذلك أن قصر النور الأخلاقي والروحي للماسونية على الرجال دون النساء مساو في أهمية للمعلم البارز للإيمان بالباني العظيم، لأن النساء اللواتي كن قد رأين نفس النور الماسوني وشاركن في نفس الأسرار والمبادىء العظيمة هن مع ذلك محتقرات مرفوضات على أنهن ماسونيات زائفات.

غالباً ما يُسأل لماذا ينبغي على كل فرد في الكنيسة أن يسعى للحصول على مقياس لإدانة أية جماعة من الأشخاص على أنها جماعة محترمة كريمة تخشى الله مثل الماسونيين بينما الإلحادية الصريحة للشيوعية تهدد بأخطارها ومتفشية في كل مكان. قد يكون باستطاعة المرء أن يجيب بأن بدعة أو هرطقة من الداخل يمكن أن تكون أكثر إهلاكاً من عدو مكشوف معروف من الخارج. ولكن على أية حال، هل للماسوني الحق في طرح ذلك السؤال إذا لم يكن هو قادراً على شرحه كما يوجد لدى المحفل العظيم مقياساً مماثلاً لإدانة أي هيئة محترمة كريمة تخشى الله مؤلفة من الماسونيات؟

مما لا شك فيه أن لكل منظمة الحق الصحيح والمناسب لفرض قوانينها ومبادئها وقواعدها على أعضائها. ولكن فقط من الناحية القانونية لكل منظمة الحق في أن تفاخر بتسامحها وعموميتها وشمولها.

(٨)

القرائـــن

قالت أليس: «إنني لا أدري ماذا تعني بكلمة «مجد».

فابتسم همبتي دمبتي بازدراء وقال: «بالطبع إنك لن تعرفي إلى أن أخبرك. أعني أن هناك مجادلة جميلة حاسمة بالنسبة لك».

فاعترضت أليس «ولكن كلمة مجد لا تعني مجادلة جميلة حاسمة».

قال همبتي دمبتي بلهجة أقرب إلى الاحتقار وقال: «عندما استخدم كلمة ما. فإنها تعني ما اخترت أن أعنيه بها ـ لا أكثر ولا أقل».

قالت أليس: «إن السؤال هو فيما إذا كان باستطاعتك صياغة كلمات تعني أشياء مختلفة».

فقال همبتي دمبتي: «إن السؤال هو من سيكون الأستاذ ـ هذا كل ما في الأمر.. مستغلق على الفهم! ذلك هو الذي أقوله.

فقالت أليس: وكانت في منتهى الارتباك والحيرة بحيث لم تجد أي تعليق «آه» وخرجت بالصمت عن لا ونعم.

لويس كارول ـ من خلال المنظار

يبدأ الماسوني عادة بالافتراض الذي غالباً ما يكون غير قابل للتحدي، إلا وهو أنه ليس باستطاعة الخارجي أن يعرف أي شيء عما يحدث في داخل المحفل. فلو تم دحض هذا الافتراض وتم الكشف عن كمية معينة من المعرفة (التي لا يمكن للماسوني تأكيدها أو نفيها) فإن باستطاعته فقط العودة إلى الحجة

القائلة بأن الطقوس لا يمكن فهمها أو تأويلها بصورة صحيحة خارج القرينة والجو الذي تمت صياغتها فيه.

إن للماسونيين الحق الذي لا مراء فيه لتفسير وتأويل طقوسهم بطريقتهم الخاصة بهم، أو بأية طريقة تعجبهم، ومع هذا، فإنهم إذا فسروها بمعنى ينتهك أو يجهد أو يتجاهل معناها الواضح الجلي فإن عبء ومسؤولية إثبات تفسيرهم وتأويلهم سيبدو أنه ملقى على عاتقهم. ولكن «القرينة والجو» هي الخندق الأخير الذي تتحصن فيه حجتهم والتي تبدو غير قابلة للإجابة عليها، وذلك لأن الخارجي لا يستطيع دحضها بمجرد القيام بزيارة سريعة متعجلة لمحفل ماسوني ليرى ويحس بنفسه ـ بالإضافة إلى تحطيم الباب هو استحالة تامة بأي شكل من الأشكال. فهناك قضايا وحالات تم تسجيلها. ولكن حالات وقضايا أخرى كثيرة لم تكتشف إطلاقاً. وهكذا يظهر أحياناً إهمال المحافل ولا مبالاتها، وخاصة في المناطق الرئيسية والعواصم.

ومع ذلك فسيكون مما لا جدوى فيه إنكار أن لهذه الحجة الخاصة بالقرينة قوتها الظاهرية السطحية، فبيان مطبوع، على سبيل المثال، يمكن في الغالب أن يعطي معنيين متميزين ومنفصلين أو أكثر حسب التشديد اللفظي على الكلمات التي يضعها الطابع بحروف مطبعية مائلة التي يكون غير قابل على نقل معناها بدقة. ومع ذلك فإن من الصعوبة بمكان القول بأن معنى الطقوس يمكن إساءة فهمه بصورة جدية وخطيرة أو إساءة تأويله بمثل هذه الطريقة.

ولعل مشابهة أفضل هي التي تحدث في الصلوات والعبادات التي تتم في كنيسة إنجلترا. إن شمول وعمومية هذه الهيئة معروف ومشهور، ولكن صحيح بصورة أكيدة لا ريب فيها أن قداس العشاء الرباني الوارد في سفر الصلوات المشتركة في أحد فصوله يمكن أن يتم أداؤه بما يقارب القداس الكاثوليكي مع التأكيد على الضحية والناحية الموضوعية، وفي مشهد آخر تتخذ معنى صلاة تذكارية بروتستنطينية أقرب إلى الذاتية.

ومرة ثانية فإن القراءة غير الكاثوليكية في الطبعة الرزينة القديمة تكون صلاة الرب يسوع متبوعة بعشر مرات «السلام عليك يا مريم» تتلى في تكرار تام متواصل، منتهية بالمجدة (المجد لله) وتعاد جميعها خمس مرات (فيما إذا كانت طبعت إطلاقاً) الأمر الذي يشعر بصورة مشروعة أن سلسلة الصلوات المتتابعة كانت عبارة عن شكل ممل مضجر للتقوى والورع المفرط وبالطبع قد يواصل الاعتقاد بذلك ما دام يسمعها تتلى على الملأ في الكنيسة، ومن الناحية الثانية فقد سمع في هذه القرينة وربما ضمن إطار «منح البركة» أو أمام القربان المقدم قد يؤخذ بروعة وورع جماعة المصلين الذين تعلو أصواتهم الهادرة بالصلوات والأدعية في موجات خفيفة لعرش ذي الجلال والإكرام. والتي يرى شيئاً من معناها الداخلي الباطني الذي لا يمكن لمجرد الكلمات المطبوعة أن تنقله.

وبدون الدخول في التعقيدات المتشابكة الترتيب الإليصاباتي (الملكة إيليصابات الأولى ملكة بريطانيا) الذي أعطى شكلاً لكتاب الصلوات العامة، فقد يكون من الأسلم بيان أن المهادنة والتوفيق المقصود كان قد تم التوصل إليه لجعل الكثير جداً من الأشخاص ذوي الآراء المتباينة سعداء بقدر المستطاع ضمن المؤسسة الإنجليكانية. فالزخارف وعناوين قواعد الخدمة الدينية وسننها المكتوبة بالحروف الحمراء والحروف السوداء التحتية كان لها مكانها، وإذا كان القرن العشرون قد فرق بين معنى العبادة في شارع مارجاريت وآيسلنجتون، أو بين شارع فرجينيا وقوند دولاك. فإنه لم يتم التنبؤ به ولكن مما لا شك فيه أنه يرحب به ويعتبر مقبولاً، ولكن تاريخ الطقوس الماسونية لا يقدم مثل هذا التفسير من أجل تبرير الاختلاف في التأويل الذي قدمه أولئك الماسونيون وغيرهم، ممن ينظرون إليها على أنها ديانة غامضة منفصلة ومستقلة وأولئك الذين كان ولاؤهم الأول للكنيسة والذين لا يرون وجود أي تناقض أو عدم انسجام في أن يكونوا ماسونيين كذلك. فإذا ما تمت متابعة التسلسل بين ماسونية أيامنا هذه، والنقابات المهنية في العصور الوسطى وبنائي الحجارة الكاثوليك (والموضوع موضع خلاف ونزاع مثل التسلسل والاستمرارية بين الإنجليكانية

وكنيسة العصور الوسطى) فيصبح من المعروف والمقبول أنه بعد إنشاء المحفل العظيم، فإن دستور أندرسون الذي وضع في عام ١٧٢٣ يستبعد بصورة تامة وكاملة كل إشارة محددة واضحة أو إيماءة أو تلميح إلى المسيح وكنيسته بطريقة لم يلغ فيها كتاب الصلوات نزعة العصور الوسطى بصورة تامة كاملة.

إن المقصد الواضح الجلي للأعمال الماسونية هو إيجاد نظام رمزي مجاري للبنية الأخلاقية والأخلاق المبنية على الطراز الوثني الذي لا يمكن التناقض معه، كما أن الكثير منه هو قاعدة الإيمان في أية ديانة محترمة، بالإضافة إلى أنه يقدم صلاة وعبادة إلى «الأعلى» الذي يمكن مساواته بأي إله. إلا أن تعابير وصياغة الطقوس وكل عمل احتفالي مراسمي يتم أداء هذه الطقوس بواسطتها يمكن إعادة صياغته وبنائه بكل تفصيل من قبل غير الماسونيين. لذلك فإن القرينة، الجو الروحي هو الذي يلتهم ويحيي ويقوي الأداء ولكن هل لهذا الجو أن يغير حقيقة المعنى الواضح للكلمات ومقاصدها.

وقد يعطي الاشتراك في التلاوة والترتيل العام المشترك للأدعية والأوراد والصلوات، قد يعطي هذه الكلمات معنى ويبعث الحياة فيما قد يبدو على الورق مجرد عظام نخرة. ولكنه لا يغير المعنى بحال من الأحوال. فكتيبات الأوراد وسلسلة الصلوات المتتالية تعلم المبتدىء بأنها ليست كلمات السلام عليك يا مريم هي المهمة ولكن التأملات في خفاياها ورموزها المختلفة التي تشكل مواكباً ومرافقاً لها هي المهمة، كما أن المشاركة في مثل هذه الأعمال من العبادة لا يمكن أن يؤدي إلى أكثر من إقناع المتسائل الباحث بأنه قد يكون مجرد تعبير عن شرعية وصحة وحقيقة ما يظن به إعادة مملة على وتيرة واحدة للكلمات. إلا أن البروتستنتي المقتنع بأن التوسل إلى القديسين والتضرع إليهم ما هو إلا عمل خاطىء وتعد على الله العلي الأعلى، سوف لا يرى فرقاً في المعنى في الأوراد والصلوات كما تمت تلاوتها وترتيلها يختلف عما وصفت به، وأشارت إليه. أما الكاثوليكي من الناحية الثانية فإنه سيكون في منتهى القلق إزاء قول أي شيء مهما بلغ من الضآلة حول الموضوع فيما إذا كانت الأوراد وسلسلة

الصلوات تتأمل في حياة المسيح مصحوبة بتكرار الابتهال والتضرع إلى بعل أو أوزيريس، ومع هذا فإن كاهنه حاول تبرير ذلك على أساس أن المهم هو قرينة التأمل وجوها، ولا يمكن فهم رواية ما، بل وفهمها بدقة عن طريق قراءتها واتباع توجيهات المسرح، حتى ولو أنه قد تدب فيها الحياة فقط بعد أدائها، ولكن معناها وأهميتها لا يتغيران مهما بلغت كمية الظلال والفروق الطفيفة التي أدخلت على تأويلاتها وشروحها.

يجب الإقرار بأن الصور التي تبدو سخيفة وتافهة في طباعتها الباردة التي لا حياة فيها، قد تحقق في قرينتها وجوها الصحيح الجلال والسمو والشرف لدى النطق بها على المسرح، إن الحساسية البالغة إزاء السخرية لدافع ثانوي قوي للمحافظة على الأسرار الماسونية، حيث إن نواح معينة من الأعمال، وأشكال إعداد المرشح للعضوية بصورة خاصة، هي عندما تقرأ على الورق، معرضة لذلك النوع من الهجوم، كذلك، وإلى درجة أقل طقوس الكنيسة بالرغم من أنها لا تحاول إخفاء أسرارها ورموزها لمثل هذا السبب. ولقد كان الماسونيون المتعلمون دائماً على علم تام بأن هناك سخافات وشذوذات وأبهات مصطنعة واضحة جلية في طقوسهم التي لا يمكن إلا أن تثير ضحك وسخرية المثقفين وذوي الإحساس والمنطقيين مهما بلغت من التبجيل والاحترام والتي يؤدونها مصحوبة على أنغام الموسيقى المقدسة المهيبة الصادرة عن الأخ العازف على الأورغون. إنها في هذه القرينة وهذا الجو قد تفقد شيئاً من سخافتها الظاهرة. ولكن «كيف يمكن للأشخاص الكبار الناضجين سناً أن يكونوا على هذا المستوى من السذاجة والسخف»؟ أليست حجة لاهوتية صحيحة ما يلمس وبصورة واضحة أن ذلك السخف والسذاجة التافهة التي تؤدى للذات الإلهية المجيدة قد بلغت من السخف والسذاجة حد الحط من شأن جلالته العليا والانتقاص من رفعتها وسموها. إلا أن السخف نسبي وليس مطلقاً، كما أن أعاظم قديسي وعلماء اللاهوت البارزين في الكنيسة لم يكونوا دائماً يتمتعون بالحصانة والمناعة، ولا أولئك المنتظمين في خدمات خاصة مثل رجال

المطافىء ومحبي الحيوانات والرفق بها ولا بعض المصلحين المزيفين أو المبتدعين أو المجددين في الكنيسة الإنجليزية في هذه الأيام. وعلى هذا دعنا نبقي على ناحية النسبية.

إذن فإن الحجة الآتية من ناحية القرينة، هي بصورة أولية عاطفية وليست عقلية، فقد يكون هناك جو في بعض المحافل حيث كان المتنسبون قد حضروا إلى محفل التوجيهات والإرشادات وأدوا الطقوس بكل دقة وإجلال وإكبار وجمال، تفتقر إليه محافل أخرى حيث تم القيام بهذه الأعمال بكل إهمال ولا مبالاة ـ وينطق هذا على من يؤمون الكنائس. فكما هي الحال بالنسبة للاهوت الكنسي، فإن هذا الجو قد يعطي معنى وحياة لما هو عبارة عن أشكال وتوجيهات وسنن وقواعد مقدسة، إلا أن من الصعب معرفة كيف يمكن لذلك المعنى أو الحياة أن تكون مختلفة كل الاختلاف عن تلك الكامنة والتي تغط في سبات عميق في تلك الكلمات والأشكال.

فإذا ادعي بأن الأمر مختلف، فإن الماسونيين عندئذ يكونون مذنبين بقراءتهم في الطقوس أشياء ليست فيها أصلاً، أو لعل الشيء الأكثر احتمالاً هو أنهم تجاهلوا ذلك الشيء.

إذن ما الذي يعنيه الماسوني حقيقة عندما يقول بأنه «لا يمكن فهم الماسونية خارج المحفل». هل يعني أن الجو داخل المحفل مشحون بالمبادىء الأخلاقية السامية، والزمالة الصادقة والبر والإحسان والصداقة الحميمة. بحيث إن المرامي المعادية للكنيسة التي تتضمنها الطقوس الماسونية والتي لا تحمل عادة محمل الجد تهبط إلى أعماق التفاهة وتفقد أهميتها، فيما إذا تمت ملاحظتها إطلاقاً. إنها لحجة قد تبرر للمسيحي (مع البقاء مسيحياً في قلبه) أن يقدم قسماً يلتزم فيه طيلة حياته أن يكون كاهناً بوذياً كذلك وفي نفس الوقت. فالبوذيون كقاعدة في منتهى الود والكرم، حتى لو أنهم لا يميلون للتفاخر بذلك.

(٩)

جعجعة ولا أرى طحناً

لقد كان المستمعون إليها هادئين تماماً إلى أن وصلت إلى ذلك الجزء الذي تكرر فيه قولها. إنك مسن يا أب ويليام ولا تقوى على قيادة التراكتور، وأصبحت كافة الكلمات التي تنطق بها مختلفة، عندها قامت السلحفاة المجسمة بسحب نفس طويل وقالت:

«إن هذا لفي منتهى الغرابة».

فقال جريفون: «حقيقة أن الغرابة موجودة في كل مكان حولنا».

فصاحت إليس «بل أغرب وأغرب!».

لويس كارول ـ أليس في أرض العجائب

إن التفسير الديني الذي سبق لي أن وضعته عن الأعمال الماسونية سيتم بكل تأكيد رفضه والتبرؤ منه في فعل ذلك، ولكن ذلك الرفض سيكون مقنعاً إذا استطاعوا إنتاج بديل. فالتعابير مثل «محال، مناف للطبيعة والعقل» «بعيد جداً عن الهدف» سوف لا يفكر أي ماسوني في أن يقرأ في الطقوس ويرى فيها ما رأيته أو يفسرها كما فسرتها» أجوبة غير كافية بدون دحض وتفنيد حقيقي واقعي.

وقد قام كتاب ماسونيون متأملون وباطنيون وروحيون وصوفيون من أمثال ويليامز هارست، ووارد، وفورت نيوتون، والسيرجون كوكبارن وجمهرة أخرى

من المفكرين الآخرين، قاموا بتفسير الماسونية صراحة أو ضمناً على أنها عبادة رمزية خفية وديانة منفصلة مستقلة. وهم مؤهلون بصورة متساوية للقيام بذلك العمل، كما أن قراءة محايدة للطقوس وخاصة محاضرات هيئة المتابعة ستبدو وكأنها تبرر الرأي القائل بأن هذا التفسير لا يستجيب ولا يتلاءم مع الطقوس كما هي لدينا اليوم فقط، بل إنه يتلاءم وينسجم مع كل شيء نعرفه عن نزعات وميول العصر سمح بولادتها وولادة الروز كروشيه جمعية سرية تدعي أن لها معرفة سرية بالطبيعة والدين) والتي أثرت في الماسونية تأثيراً قوياً.

وعلى هذا فإن العديد من مؤلفات هؤلاء الكتاب وأمثالهم، وبعضهم من ذوي المراكز العالية في الماسونية، قد تمت إعادة طبعها وبدا أنها كانت تلاقي طلباً متزايداً وثابتاً. إن مثل هذه الكتب لم تثر عاصفة من السخط من جانب الماسونيين المسيحيين. ومع ذلك فإنه عندما يتجرأ خارجي على القول بما قاله هؤلاء الكتاب الماسونيون بالضبط أو وجدوا بأن تفسيرهم الديني للماسونية له ما يؤيده من وجهة النظر الماسونية، فإن سخف الماسونيين المسيحيين سيجن جنونه. أليس هذا عبارة عن سخف أسيء توجيهه؟ إن تماثل وتشابه الآراء الهرطقية داخل كنيسة إنجلترا لا أساس له من الصحة. فآراء الأسقف بارنز، على سبيل المثال، قد تم إنكارها والتنصل منها من رئيس أساقفة كانتربري الحالي باسم الكنيسة. وعلى أي حال، فإنني لا أدري فيما إذا كان نفس رئيس الأساقفة بصفته القسيس الأعظم السابق للأخوية الماسونية، قد سبق له أن رأى من المناسب أو من الحق إنكار آراء أولئك الذين يكتبون كتباً عن الماسونية كديانة. فويلمشورست، أكثرهم جميعاً وثنية ومعادية للمسيحية، تم منحه منصباً محفلياً إقليمياً عظيماً من قبل إيرل هاروود الراحل مكافأة له على خدماته للماسونية ـ وتتألف هذه الخدمات بصورة رئيسية من محاضرات في المحافل الماسونية حول صميم الموضوع كذلك فإن منظمة معروفة باسم «دائرة دراسات دورمير» لا تزال موجودة وقائمة لتخليد آرائه.

إذن، فالجواب على السؤال فيما إذا كانت الماسونية أو لم تكن ديناً ينبغي

(بالمصطلحات اللاهوتية) أن يعتبر «فكرة ورعة» وليست ديناً أو إيماناً. و«قولي بأن الماسونية ليست ديناً» يذهب إلى الحد المباح لكل ماسوني. كما أن المحفل الأعظم نفسه لا يمكنه إصدار أي بيان رسمي بهذا المعنى بكل إخلاص وأمانة وصدق ما لم يتم إصلاح الطقوس إصلاحاً شاملاً وبصورة صارمة، خاصة «القنطرة الملكية المقدسة». حيث إن صميم الحقيقة القائلة بأن الطقوس قابلة لمثل هذا التفسير، تبين أن في الماسونية نفسها على الأقل جراثيم ديانة منفصلة مستقلة، وهذه حقيقة تبرر القيام بإجراء بحث وتمحيص من قبل الكنيسة.

فإلى حد ما وصل إليه علمي، لا يوجد هناك تعليق ماسوني واحد موجه بصورة رئيسية إلى المسيحيين الذين يحاولون التوفيق بين الماسونية وبين قواعد الإيمان الذي تؤمن بها الكنيسة. وغالباً ما تذكر الكنيسة بما فيه الكفاية، كما أقيمت التشابهات والمماثلات، على سبيل المثال، بين التعميد والإدخال في العضوية الماسونية، ولكن مع الإيحاء دائماً بأن الماسونية تضيف شيئاً ما من الحقيقة السرية المقدسة الموضوعية لتجربة الإنسان الروحية التي لا يمكن الحصول عليها في الكنيسة. أو التي يمكن الحصول عليها على الأقل في المحفل الماسوني إضافة إلى ذلك. وهذا المفهوم بغيض مقيت لذلك المسيحي المقتنع الذي يعتقد بأن روح القدس يقود الكنيسة إلى الحقيقة الكلية. وإنه في الكنيسة وحدها توجد الروحية الكاملة.

إذاً، كيف يمكن للمسيحيين تفسير وتأويل الطقوس والشعائر الماسونية؟ فبتحققهم من أن النص الحرفي نفسه للطقوس خاصة القنطرة الملكية المقدسة ضدهم بصورة مطلقة، سيكون بإمكانهم فقط العودة إلى التأكيد على أنهم لا يحملون طقوسهم محمل الجد. إنها نوع من الرواية الأخلاقية أو مسرحية إيمائية لعيد الميلاد. فإذا كانت الأخلاق سليمة، فلماذا الانزعاج تجاه الرواية؟.

ومع أن هذا الجواب ليس منتشراً فقط وعلى نطاق واسع، بل إنه حقيقة الجواب الممكن، إلا أنه يستحق البحث.

لا يوجد أي شخص ما عدا البيوريتاني باستطاعته بصورة واعية مدركة الاعتراض بأنه ليس من الأخلاق بالنسبة للمسيحي أن يشاهد أو حتى يمثل في رواية مثل تلك التي كتبها كبار الدراماتيكيين اليونان والرومان، حتى ولو أنها كانت قد كتبت بإلهام ديني صادر عن وثنية مرفوضة كلية من الكنيسة. قد يكون من الحماقة البالغة بالنسبة لرجال الإكليروس والكهان أن يصدروا بصورة دينية وقورة حظراً على العرض الذي يقوم به المهرج المعروف «بالبونس أند جودي» لأن شخصاً ما استطاع إثبات أن له أصوله في القصص المصرية أو الفرعونية. وإذا أحس النظارة والمشاهدون بسمو وتحسن أخلاقي عن طريق مشاهدة مثل هذه المشاهد، فإن ذلك سيكون في منتهى الخير والصلاح حيث إن تلك هي وظيفة الفن وغايته.

إلا أن التشابه والتماثل يفشل في هذه النقطة. فلو أن لدى المحافل صالات عرض عامة لا يتحكم بمداخلها حراس مشهرو السيوف، ولو أن الطقوس الخاصة بموت وبعث حيرام أبيف أعيد بناؤها وتأليفها وقدمت علناً على مسرح لندن، فإنه سوف لا يكون باستطاعة أحد أن يعترض بصورة منطقية على ذلك المسيحي الذي يحضرها أو يحسده على ذرة من الفائدة الأخلاقية التي حصل عليها من مشاهدتها وحضورها. إلا أن المشاركة الماسونية في هذه القطوس هي بكل تأكيد مسألة مختلفة تماماً، حتى ولو لم تحمل محمل الجد بصورة حرفية وبكل ما تعنيه الكلمة من معنى. لأن الماسوني لا يدمج نفسه بالرموز والأسرار الدينية، بالمعنى الذي يدمج فيه الممثل القدير نفسه بالدور الذي يؤديه. بل بقسم مقدس مهيب كما أنه باسم الله يشارك في وثنية الرواية، ويدمج نفسه روحياً بها.

ثانياً، إن معاملة الطقوس أو حتى أجزاء من الطقوس على أنها أشياء لا تحمل محمل الجد يعني بصورة خطيرة وجدية العبث بالأشياء الإلهية المقدسة التي تبدو غير دينية وليست من أعمال الورع والتقوى، حيث إن كل شيء يتم عمله باسم الله، والكتاب المقدس موجود ومتاح للجميع. إن الصلاة تؤدى في

كل انتساب للعضوية «مدعومة ومصحوبة بفننا الماسوني» ولكن المرشح للعضوية قد يكون «من الأفضل تمكينه من الكشف عن جمالات الورع والصلاح الصحيح الحقيقي» فإذا كان للفن الماسوني أن لا يحمل على محمل الجد فقد يستتبع ذلك أن الصلاح الحقيقي والمفروض أن يرفع من شأنه ينبغي أن لا يؤخذ على محمل الجد بصورة جدية بصورة مفرطة فإذا كان للمسيحي أن يشارك إطلاقاً في مثل هذه الطقوس، فإن عليه أن يفعل ذلك بمنتهى الجدية.

ثالثاً، كما يعرف كل رجل من رجال الدين، بكل أسى، يوجد هناك الكثيرون جداً من المسيحيين الاسميين ممن لا يحملون طقوس الكنيسة وشعائرها محمل الجد، فهم يذهبون إلى الكنيسة مرتين أو ثلاث مرات في السنة في أعياد رأس السنة الميلادية أو أعياد الحصاد لأنهم يستمتعون بها ويشعرون فيها بالسمو الأخلاقي، ومع ذلك لديهم القليل جداً من الاستفادة من العقيدة والأسرار الدينية المقدسة، كما أنهم يقيّمون الكنيسة إلى الحد الذي تساعد فيه الكنيسة الناس على أن يعيشو حياة لائقة محتشمة، فالتوبة والنعمة والإلهية وتضحية المسيح الفادية المكفرة للخطيئة لا تلعب أي دور في حياتهم، فقد تم تعميدهم في التجسد الرمزي المقدس عن طريق التعميد ـ إلا أنهم لم يأخذوا ذلك بصورة جدية تماماً.

لا يوجد هناك أحد يعتبر مثل هؤلاء الأشخاص مسيحيين صالحين جيدين أو رجال كنيسة، فمفهومهم عن الإيمان، ورفضهم ما هو منفر لهم أو الذي يفهمونه بصورة غير صحيحة فقط، غير كامل أيضاً، لذلك لا يوجد هناك أحد يعتبرهم مدافعين مثاليين أو حتى محترمين، إذن، بأي حق يقوم الماسونيون الذين يرفضون أخذ تعاليم طقوسهم على محمل الجد أكثر من كونها عبارة عن سمو أخلاقي، باعتبار أنفسهم ماسونيين صالحين حقيقين، أو مدافعين موثوقين عن المحفل؟

لقد كان النبي عزقيال في غاية الانزعاج عندما رأى في الحلم نسوة يبكين في هيكل تموز، قد يكون متعكر المزاج بصورة مفردة، وربما كان ينظر إلى

الأمر كله على أنه غير منطقي ولا ينسجم مع العقل، إلا أنه نظر إليه على أنه شيء مقيت على الأقل ويدعو إلى السخط. وربما يشار على سبيل المثال إلى أن الكاتب الماسوني جي. اس. ام. وورد، قال وهو في إحدى حالاته النفسية الخيالية أن حيرام أبيف كان نسخة دنيوية أرضية عن تموز، وعلى هذا فإن من الممكن تماماً أن تكون تلك النسوة المضللات قادرات على إسالة دموعهن بصورة رمزية صحيحة في قنوات متوافقة مع الرموز الماسونية ومتواكبة معها، ومع ذلك فإن هناك مجالاً للشك فيما إذا كان عزقيال قد تمت تهدئته أو أن غضب يهوه قد تم تخفيفه لو أنهن توسلن قائلات بأنهن لم يكن يعنين أخذ عملهم على محمل الجد. وإن المسألة مجرد تمثيلية وكل واحدة منهن كانت تعني ذلك تماماً.

(١٠)

إدانات رجال الدين للماسونية

قال الملك للمرة العشرين تقريباً: «دعوا المحلفين يفكروا ملياً في حكمهم والقرار الذي اتخذوه».

لويس كارول ـ أليس في أرض العجائب

من المعروف تماماً أن الماسونية قد تمت إدانتها من قبل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وأن أي كاثوليكي رومي، في طقوس وشعائر الإدخال في العضوية يصبح بطبيعة الحال محروماً كنسياً، حيث إن الكنيسة، عكس الإشاعة الدارجة، لا تبيح للمهتدي إلى الماسونية الاستمرار في الماسونية ولا تحل له ذلك.

وقد قوبلت هذه الإدانة بالاستياء من قبل ماسونيين المحفل العظيم في العالم الناطق بالإنجليزية. فقد أحس على نطاق واسع أنه لم يكن حكماً عادلاً، كما انتشر الاعتقاد بأن الإدانات التي أصدرها البابا، إلى الحد الذي يشمل «كافة» الأنظمة «الماسونية هذه الإدانات، كانت مبنية على سوء فهم كامل لما تعنيه ماسونية المحفل العظيم، وعلى خلط يدعو للأسى بين المحافل العظمى وبين الموجهين العظام. فقد قال أحد المعتذرين بأن الأخوية الماسونية، في الآونة الأخيرة: إن كنيسة روما لا تعرف إلا القليل جداً عن الماسونية المنتظمة».

إلا أن روما حقيقة وبصورة فعلية على تمام المعرفة بالماسونية المنتظمة. إذ يوجد لديها كميات هائلة من المعلومات التي تعتمد عليها. بالإضافة إلى الحقيقة القائلة بأنه سواء في هذه البلاد أو في أمريكا، فإن مهتديي الكنيسة يضمون العديد من الماسونيين وأحياناً يوجد بينهم أشخاص من ذوي المكانة العالية والمراكز الاجتماعية المرموقة (مثل الأستاذ الأعظم، ماركيز ريبون في القرن الماضي). وفي كثير من الحالات كانوا يحافظون على ولائهم لأخوتهم السابقة في الأخوية الماسونية، كما قاموا بالشهادة على صحتها وصلاحياتها بعبارات تؤكد على عدم ضررها السياسي، وعلى ولائها الدستوري وعى إيمان راسخ قوي بالباني العظيم، والتي هي جميعها معالم ماسونية وأسس جوهرية تدل على أن روما تعرف كل ذلك، وتقبله وتأخذه بعين الاعتبار.

ينبغي أن يكون معروفاً بأن بعض العبارات في انتقاداتها الرسمية ليست فقط غير قابلة للتطبيق على الماسونية المنتظمة، بل إنها تصيب كذلك الماسوني البروتستنطي المخلص الذي يخشى الله تعتبره مذنباً بالغ الذنب ومرتكباً معصية لا تغتفر، فإنه عندما يفكر في الأركان التي يقوم عليها المجتمع والتجارة وربما القساوسة الذي يتجمعون كل ثلاثة أشهر أو على فترات منتظمة في محفله، وقد تألقت على صدورهم جوهرة البر والإحسان، فإنه عندئذ يعتبر نفسه بأن له الحق في الشعور بأن البابا كليمينت الثاني عشر كان بعيداً جداً عن الهدف عندما قال بأن مثل هذه الاجتماعات «قد أصبحت بالنسبة للمؤمن مجرد أشياء مشتبه بها وموضعاً للشك، بحيث إن كل شخص صالح يعتبر الآن الانتماء إليهم إشارة واضحة ودليل على أنه شر وانحراف عن الجادة».

أما الآن وبحسب هذه المنشورات البابوية العامة الصادرة عام ١٧٣٨ فإن من الواضح أن كليمينت الثاني عشر كان في ذهنه عندما كتب هذا (بين عوامل أخرى) السمعة السيئة التي لحقت بالماسونية الفرنسية من تأثير الدوق دي أورليانز السيء السمعة، كما أن الإدانات التي جاءت في الأونة الأخيرة أخذت في حسابها مثل تلك الحركات مثل النزعة المستنيرة المهينة لويشوبت والنزعة التحريضية

الصريحة «الترافينديتا في إيطاليا، التي أصبح بواسطتها «الكرسي البابوي» أقرب إلى أن يكون محاطاً ومهدداً من كافة النواحي، وعندئذ قد يكون مقبولاً بصورة علنية وعلى نطاق واسع من قبل معظم المؤيدين لسلطة البابا المطلقة بأن كل عبارة في كل إدانة يمكن عقلياً أن تكون متوقعة للانطباق على كل جمعية ماسونية سرية أو شبه سرية. فالاتهامات باللافرقية الدينية، على سبيل المثال، غير واردة إطلاقاً بالنسبة للمنظمة الإلحادية المعادية بصورة قتالية شديدة، باعتبارها اتهامات واعية متعمدة «لانحراف عقول غير الحذرين واقتناص الأشخاص الأبرياء من أماكن اختفائهم وتحصينهم، كما تبدو لمحفل مكون من رجال إنجليكانيين محترفين محترمين. ولكن قبول ذلك بعيد كل البعد عن قبول أن الإدانات الباباوية ينبغي أن تنطبق كلية على كافة الماسونيين الأنجلو ـ سكسون، أو إنها بعيدة كل البعد عن أن تكون غير شرعية أو غير قانونية وينبغي تحريمها.

إن دراسة السلسلة الكاملة للإدانات التي أصدرتها كنيسة روما الكاثوليكية ضد الماسونية من المنشورات الباباوية العامة الصادرة في ١٧٣٨ إلى الفقرات الواردة مجموع مخطوطات القوانين ستبين بأن الأسباب الرئيسية التي دعت إلى إدانة الماسونية العالمية، بصرف النظر عن الفتن السياسية التحريضية والإلحاد المكشوف، هي حقيقة أن الماسونية تعلم الديانة «الطبيعية» المحضة، ورموز الطقوس الماسونية التي غالباً ما تكون تجديفاً، بالإضافة إلى أنواع القسم والواجبات (بعقوباتها البالغة الحد في القسوة) والتي لا تقيم وزناً للظروف التي يتطلبها القانون الأخلاقي لقسم عادل محترم مقدس، وكذلك النزعة ا للافرقية التي تتسم بها الماسونية في مسائل الدين والتي (مهما كان شرحها وتأويلها) بحدها في التطبيق العملي تعلم أن كافة الآلهة متساوون، فهنا نجد أساساً قوياً للإدانة الكاثوليكية ـ في الحقيقة أن أيًا من هذه النقاط قد تكون مبرراً لذلك. كذلك فإن الماسونية الأنجلو ـ سكسونية مذنبة في هذه المسائل أيضاً مثل محافل الموجهين العظام، والتي على الأقل لا تقوم بتأدية أنواع القسم الحقيرة المزدراة على الكتاب المقدس أو باسم الله.

من المعتقد على نطاق واسع من قبل الماسونيين، أن اعتراضات الكاثوليك الروم على الماسونية مرتبطة بطريقة ما بالطريقة الاعترافية ـ أي إنه ينبغي أن لا يكون هناك أية أسرار يمكن أن تكون محجوبة عن المعترف أو محظورة عليه الاطلاع عليها. إلا أن الأمر ليس كذلك. حيث إن الكاثوليكي له الحق في الاطلاع على أسراره، بشرط أن لا تكون خاطئة أو مؤدية إلى معصية، تماماً مثل أي إنسان آخر.

إذن، فإن الادعاء القائل بأن روما قد أدانت الماسونية الإنجليزية على أسس زائفة وخاطئة، هو ادعاء مبني إما على الجهل أو على تفكير مشوش التبست عليه الأمور.

وغالباً ما كان الإيحاء يقول بأن عداوة الكرسي البابوي هي التي دفعت الموجهين الماسونيين العظام إلى الإلحاد، ودفعت كنيسة إنجلترا للتفوه بعبارات ضد المرامي اللاهوتية للماسونية، لذلك كان لا بد للمحفل الأعظم إلا أن يصبح عدواً لدوداً لله وللمجتمع ومع هذا فإن النقطة الأولى لا يمكن الدفاع عنها تاريخياً «فالماسونية القارية منذ البداية تقريباً كانت مجلى للفكر الحر، والنزعة الليبرالية السياسية والدينية، ومعاداة الإكليركية، ومظهراً من مظاهر الوثنية التي تفسد المجتمع المعاصر، حتى قبل أن يكون «الباني العظيم» قد تم رفضه وشجبه في نهاية القرن التاسع عشر لذلك، فإن النقطة الثانية تمثل «الشمولية الإنجليكانية» في سخفها وفتورها. كما إنها مساوية للإيحاء القائل بأن إيرانوس كان يضيع وقته في شجب الديانات الرمزية الباطنية الغنطوسية (القائلة بأن الخلاص عن طريق المعرفة الروحية) وبذلك كان يخاطر بإثارة عداوتهم بدلاً من حث المسيحيين على الالتحاق بهم من أجل منعهم من أن يصبحوا أكثر غنطوسية وأكثر غموضاً وخفاء وباطنية كذلك سيكون أسوأ بالنسبة للكنيسة أن تصبح مفتوحة وعرضة للهجوم من الخارج بدلاً من تدميرها بصورة غادرة من الداخل.

إن الموقف البباوي المشهود تجاه الماسونية يمكن الحصول عليه من

الوثائق التالية. والتي هي في المتناول ولا يحتاج معها إلى أية ملخصات أخرى في هذا المقام.

- المنشورات البابوية العامة، كليمينت الثاني عشر ١٧٣٨.
- الإكليروسية (رجال الدين) بيوت السابع ١٨٢١.
- وثقية إيتس مولتا، بيوس التاسع ١٨٧٣.
- الجنس البشري، ليو الثالث عشر ١٨٨٤.

كذلك فإن الكنيسة الأرثوذوكسية اليونانية قد تجهمت في وجه الماسونية فالبرغم من أنها محاطة بالموجهين العظام بدلاً من المحافل العظيمة، فإن عبارات الإدانة كانت موجهة بصورة رئيسية ضد الأخيرة أي المحافل العظيمة وخاصة، عندما تبدو في شكلها الأمريكي. ومما لا شك فيه أن كثيراً منها غير قابل للتطبيق إطلاقاً على أي نظام ماسوني ترك الباني العظيم وتخلى عنه. وبما أن هذه الإدانة لم تكن قد ترجمت أو نشرت في بريطانيا العظمى من قبل، بالرغم من أهميتها، كما أنه من الواضح أن لها تأثيراً حيوياً على أي تقارب أنجلو ـ أورثوذكس، فقد نشرتها كاملة. وسيلاحظ من الرجوع إلى الإدانة السابقة للماسونية على أنها «زائفة ومعادية للنظام المسيحي» التي أصدرتها الهيئة التبشيرية الأورثوذوكسية المتبادلة والتي اجتمعت على جبل أذوس بأنها تقول ليس اليونان وحدهم، بل كافة الكنائس الأورثوذوكسية ذات الرئيس الواحد ملتزمة بعدم إضفاء الشرعية على الأخوية الماسونية واعتبارها خارجة على الشرع. فهي تقول:

(إن أساقفة الكنيسة اليونانية في جلستهم التي عقدوها في ١٢/١٠/١٩٣٣، قاموا بمزيد من الاهتمام بدراسة وتفحص المنظمة الدولية السرية الماسونية، فقد استمعوا بكل انتباه واهتمام إلى التقرير الاستهلالي لهيئة الأساقفة الأربعة التي عينها المجمع المقدس في جلسته الأخيرة، وكذلك إلى رأي الكلية اللاهوتية التابعة لجامعة أثينا، وخاصة رأي البروفسور باناج براتيوتيس المرفق مع التقرير كما إنهم أخذوا بعين الاعتبار المنشورات وكل ما نشر عن الموضوع في

اليونان وفي الخارج. وبعد المناقشة توصلوا إلى النتائج التالية التي قبلها وأقرها كافة الأساقفة بالإجماع.

«إن الماسونية ليست مجرد اتحاد محب للبشر أو مدرسة فلسفية، بل إنها تشكل نظاماً متعلقاً بتعليم أسرار الدين الذي يذكرنا بالعبادات والديانات الرمزية الباطنية الوثنية الغابرة ـ التي انحدرت الماسونية منها كما إنها استمرار وإعادة إحياء لها. وهذا الأمر ليس معروفاً ومقبولاً من أساتذة المحفل البارزين فقط، بل إنهم يعلنوا بكل فخر حيث يؤكدون ذلك حرفياً حيث يقولون: «إن الماسونية هي الرموز والأسرار الغابرة الوحيدة الباقية على قيد الحياة، كما يمكن أن يطلق عليها حارسة لها، إن الماسونية سلالة مباشرة من الأسرار المصرية (فالورشة المتواضعة للمحفل الماسوني ليست سوى الأماكن المظلمة والكهوف المبنية من خشب الأرز في الهند وفي الأعماق المجهولة للأهرام وسراديب الهياكل العظيمة لإيزيس»، ولذلك فإن الأسرار والرموز اليونانية للماسونية، وقد مرت على طول طرق المعرفة المنيرة المشرقة تحت الأقبية والقناطر السرية الخفية لبروميثيوس وديونيسيوس وأورفيوس، تشكل بذلك القوانين الأزلية الأبدية للكون».

إن مثل هذه الرابطة بين الماسونية وأسرار ورموز الوثنية الغابرة تظهر بكل جلاء ووضوح في كافة الأعمال التي تتم ممارستها وأداؤها في مراسم وطقوس الإدخال في العضوية، فكما هي الحال في الطقوس والشعائر الخاصة بالأسرار الوثنية الغابرة، فإن دراما معاناة وموت الإله الغامض السري الخفي كان يتكرر، وفي الإعادة التي تحاكي هذه الدراما. فإن الداخل في العضوية يموت مع نموذج الديانة الرمزية السرية، والذي يكون دائماً عبارة عن شخص أسطوري يرمز إلى شمس الطبيعة التي تموت في الشتاء وتولد من جديد في الربيع، كذلك الأمر في مراسم الانتساب إلى العضوية في الدرجة الثالثة للمحفل الماسوني الخاص بنموذج حيرام الماسوني ونوع من تكرار موته، والذي يتم فيه معاناة المرشح للعضوية معه، كما أنه يضرب بنفس الوسائل وفي نفس الأجزاء من جسمه مثلما كان الأمر مع حيرام، وبموجب اعتراف أحد الأساتذة البارزين في الماسونية فإن

حيرام «مثل أوزيريس، ومثل مثيرا ومثل باكوسن، ما هو إلا تشخيص وتجسيد للشمس».

«وهكذا، وكما هو مسلم به، فإن الماسونية ما هي إلا ديانة رموز وأسرار، مختلفة تماماً، ومستقلة تماماً، وغريبة كل الغرابة عن الديانة المسيحية، ويبدو ذلك بصورة لا شك فيها ولا ريب في حقيقة أن لها هياكلها الخاصة بها مع مذابحها، والتي تتميز بالأساتذة البارزين مثل «الورشات التي لا يمكن أن يكون لها تاريخ أقل وقداسة أدنى من تاريخ وقداسة الكنيسة». ومثل هياكل الفضيلة والحكمة حيث «الكيان الأعظم» تتم عبادته وتقديم الصلوات له كما يتم تعليم الحقيقة، أن لديها مراسمها الدينية الخاصة بها. مثل مراسم وطقوس التبني والعماد الماسوني، ومراسم وطقوس ورموز الاعتراف بالزواج أو الزواج الماسوني، وصلاة الذكرى الماسونية، وتكريس الهيكل الماسوني الخ.. إن لها إجراءاتها الخاصة بالانتساب للعضوية، وطقوسها الرمزية الخاصة بها، بالإضافة إلى تنظيمها ذي المراتب المتسلسلة وانضباطها وتأديبها وأنواع قصاصها. وكما يمكن استنتاجه من الأفواه الماسونية الفاغرة وولائهما وأعيادها الدينية.

«لقد قامت كنيستنا على مدى أكثر من مائة سنة بإصدار شهادات ضد الأخطاء المبدئية العقائدية في عديد من الكنائس والعبادات ولكنها كانت قد أصدرت شهادات ضد الآراء الدينية الزائفة والمبادىء التي يعبر عنها في الطقوس والمطبوعات الأخرى لكثير من الجمعيات السرية المرتبطة بقسم، وقد تم فعل ذلك لأن المعتقد أن عبادة إله غير الله الثالوث الأقدس هي عبادة وثنية. وذلك لأنها في صحيح وعي توجيهات مخلصنا وفي بؤرة انتباهه «ينبغي على كافة الأفراد تكريم «الابن» كما يكرمون «الأب» تماماً، فالذي يكرم الابن لا يكرم الأب، الذي أرسله». وقد تم فعل ذلك لأن مبعثه الإيمان الراسخ والإخلاص الذي لا يتزعزع بكلمة الله ولحقائق الخلاص ولروح القدس. وعلى هذا فإن آخر بيان أصدرته كنيستنا المتعلق بمنظمات القسم السري المرجأ تظهر على النحو

التالي في «محاضر جلسات» الاجتماع الذي يعقد مرة كل ثلاث سنوات والذين تم عقده في ميلووكي في يونيو عام ١٩٥٠. والذي يقول:

لقد تقرر أن نحث كافة رعاة الكنيسة والأبرشيات والطوائف على ممارسة منتهى اليقظة والانتباه إزاء هذه المسألة:

إن هؤلاء الرعاة والأبرشيات في إهمالهم واجبهم من هذه الناحية سيكونون مستحقين للوم بموجب ما جاء في إنجيل متى (١٨) من قبل إخوانهم المسيحيين، وإخوانهم رعاة الكنيسة والمسؤولين الإقليميين وإنه.

في حالة فشل كافة مثل هذه الوسائل الإنجلية في التعامل مع الرعاة المخالفين أو الأبرشيات الفاشلة في أداء مهمتها هذه، فإن المسألة برمتها سترفع إلى «اللجنة المركزية» للمجمع الكنسي وأخيراً للمجمع الكنسي نفسه، إذا كان ذلك ضرورياً، من أجل عمل الإجراءات اللازمة المناسبة».

كذلك فإن مؤتمر اللوثريين الأمريكيين ملزمين بما هو معروف بـ«أطروحات مينا بوليس» والتي تعبر الفقرة التالية من أبرز ما فيها:

إن هذه المجامع الكنيسية متفقة على أن مثل هذه المنظمات أو الجمعيات، السرية أو العلنية، سواء كانت دينية بصورة جهرية أو تمارس أشكال الدين بدون الاعتراف، كناحية مبدئية بالله الثالوث الأقدس، أو يسوع المسيح على أنه ابن الله، تحول إلى جسد، وإن مخلصنا من الخطيئة، أو علم، بدلاً من الإنجيل، الخلاص عن طريق الأعمال البشرية والأخلاق، معادية للمسيحية وهدامة لا فضل اهتمامات الكنيسة ومصالحها، ولروح الفرد، وإنه تبعاً لذلك، فإن كنيسة المسيح وطوائفها وأبرشياتها لا يمكن أن يكون لديها زمالة مع هذه المنظمات والجمعيات ولا أن تكون على وفاق معها.

«إنها متفقة على أنه يجب أن لا يتسامح أي مجمع كنسي لورثري يمنع رعاة الكنيسة الذين يسمحون لأنفسهم بالانتماء إلى أية هيئة معادية للمسيحية.

كما أن هذه المجامع تحت رعاتها وأبرشياتها على الشهادة ضد خطيئة الانتماء إلى المحفلية الماسونية».

وقد قامت الكنيسة الإصلاحية الهولندية في جنوب إفريقيا (مجمع كاب الكنسي) بتشكيل هيئة للبحث والتمحيص في حقيقة الماسونية، وقد أعدت هذه الهيئة تقريراً اجتماعياً شاملاً ضد الأخوية الماسونية في نوفمبر من عام ١٩٤٠. ومن المعروف أن هذا التقرير غير دقيق نوعاً ما عندما يتناول تاريخ الماسونية وتنظيماتها. فهو يقتبس من الطقوس ما يبدو بكل تأكيد خاطئاً بصورة جلية لا لبس فيها ومع هذا فإنه لم يقم أي من التحديدات التي جاءت في التقرير بنقص أو إبطال أو نسخ الإدانة على أسس دينية الخلاص عن طريق الأعمال، الديانة الطبيعية، أنواع القسم غير الصحيحة وغير المناسبة الفكرة الزائفة عن الله والنزعة التوفيقية الكامنة في أعماق الأخوية الماسونية، وبناء على ما جاء في التقرير فإن هذه الهيئة أوصت بأن كافة الأعضاء الماسونيين من الكنيسة الإصلاحية الهولندية ينبغي أن يحثوا على ترك محافلهم كما ينبغي أن لا يتاح لأي ماسوني في المستقبل تولي زمام أي منصب في الكنيسة.

قد يحس بأن هذه الهيئات البروتستنتية تمثل أقليات ولذلك فإنها غير مهمة. ولكن إذا أخذناهم مع الطوائف الكاثوليكية التابعين لروما والواسعي الانتشار بالإضافة إلى الأرثوذوكس الشرقيين، فسيكتشف أن أغلبية المسيحيين في كافة أنحاء العالم قد أدانوا الماسونية على أنها لا تتلاءم مع مطالب سيدنا ومخلصنا يسوع، إلا أن الناحية العددية ليست المحك النهائي، بل المهم هو، أسباب مثل هذه الإدانة والانتقادات سليمة؟

وهنا تبدو حقيقة مذهلة، قد تجعل من الماسوني المسيحي أكثر من مجرد شخص قليل التفكير والانتباه. إلا أنه لا يوجد أية كنيسة قامت بصورة جدية ببحث وتمحيص التعاليم والمرامي الدينية للماسونية، وفشلت حتى الآن في إدانتها إطلاقاً.

فهل كنيسة إنجلترا بصورة مفرطة في إبداء رأيها حول الموضوع؟

الجزء الثاني

أثـاث المحفـل

الفصل الأول

ينبغي من الناحية المثالية أن تكون قاعة المحفل على شكل مكعب مزدوج بالرغم أن هذا بالطبع ليس شيئاً جوهرياً، حيث يمكن استخدام أي غرفة، مستطيلة من أجل تعيين الاتجاه. فالمحافل، مثل الكنائس، من المفروض أن تواجه الشرق والغرب، وذلك لأنهم إن لم يفعلوا ذلك بصورة جغرافية فإن طرف منصة القاعة يشار إليه على أنه الشرق: والجوانب الأخرى نحو نقاط اتجاهات البوصلة النسبية.

فالباب، الموصل من غرفة مقابلة، يقع في الزاوية الشمالية الغربية. أما الإخوان فيجلسون في صفوف على طول الناحية الشمالية والجنوبية والغربية. ويجلس الأساتذة السابقون في الناحية الشرقية. وينبغي أن تكون الأرضية مثل رقعة الشطرنج بمربعات باللون الأبيض والأسود بحواف مفرضة، ويمثل هذا عادة بسجادة، وهناك شعار يتألف بحرف «جي» معلق من أو مرسوم على السقف في الوسط.

ويتخذ الأستاذ الموقر كرسيه ومنصته في الشرق. وينبغي أن تكون هذه من الطراز الأيوني، وشعاره المثلث، يمكن أن يكون محفوراً أو مرسوماً على واجهة منصته أو قاعدته. ويوجد على المنصة مجلد القانون المقدس موضوع

على خشبة، مع مثلث وفرجار من الفضة أو المطلي بالذهب موضوعة عليهم عندما يكون المحفل مفتوحاً، بالإضافة إلى مطرقة وموجهة للصوت، وأحياناً صندوق عدة الشغل، وعموداً إيوانياً يكون منتصباً بصورة دائمة.

ويواجهه في الغرب القيم الكبير، أما كرسيه وقاعدته فمن الطراز الدوري، وشعاره ميزان البنائين. ويجانب قاعدته يوجد حجر مربع منتظم، وكتلة مكعبة عادة تكون معلقة بحامل ثلاثي القوائم، أما القيم الصغير والذي شعاره شاقول البناء فقد اتخذ كرسيه وقاعدته (الكورنتية الطراز) منتصف الجهة الجنوبية. ويجانبها حجر مربع غير منتظم، كتلة غير مصقولة مرتكزة على عمود، ويوجد لدى كل من القيمين مطارق وموجهات صوت وأعمدة. ويكون عمود القيم الكبير منتصباً عندما يكون المحفل مفتوحاً وافقياً عندما يكون مغلقاً، والعكس بالعكس بالنسبة للقيم الصغير. ويوجد بجانب كل من القواعد الثلاث شمعدان. ويجب أن يكون شمعدان الأستاذ مشعلاً بصورة دائمة عندما يكون المحفل مفتوحاً، وعادة تكون مشاعل القيمين مشعلة أيضاً، ولكنها تطفأ لدى مراسم الترفيع إلى الدرجة الثالثة.

ويجلس الأستاذ السابق على المنصة مباشرة إلى يسار الأستاذ الأعظم الموقر. ويكون كبير الشمامسة على أو بقرب يمين الأستاذ الأعظم الموقر، بينما الشماس الصغير فيكون على يمين القيم الكبير، ومكان الحارس الداخلي فيكون على الباب ولكن مكان الحارس الخارجي فيكون في الخارج في الغرفة المقابلة.

وتكون وزرة (مريلة) الدرجة الأولى من جلد الحمل الأبيض الناصع البياض، ووزرة الدرجة الثانية نفس الشيء مع إضافة وردتين (حلية على شكل وردة) زرقاوين مثبتين في الزوايا السفلية. بينما وزرة الماسوني الأستاذ فلها حواشي زرقاء. ولها حبلان مدليان من تحت لسان الجيب منتهيان بشرابات معدنية ولها وردية ثالثة في وسط لسان الجيب. وتلك الموجودة في أو بجانب الكرسي (كرسي الأساتذة الذين تم تنصيبهم فتشكل حرف «تي» معدني مقلوب بدلاً من الورديات الثلاث أما الموظفون فيلبسون جواهرهم أو شعارات وظائفهم

معلقة من قبات من الحرير الأزرق. بينما الأستاذ الموقر والقيمون فقد يلبسون بالإضافة إلى ذلك قفازات طويلة أو قصيرة بيضاء.

هناك ثلاث لوحات تتبع، واحدة لكل درجة، والتي يمكن عرضها بطرق مختلفة. وتعرض واحدة فقط في المرة الواحدة بحسب الدرجة التي يفتح لها المحفل.

وهناك نقطة يمكن إضافتها هنا تتعلق بالنظام الماسوني للتوقيت والذي هو ميلادي. وهذا مبني على كرونولوجيا (علم التقويم. رئيس الأساقفة أوشير والذي يضع تاريخاً لبدء الخلق هو ٤٠٠٤ قبل المسيح، ولكن التقويم الماسوني يضعه عادة على أنه عام ٤٠٠٠ قبل المسيح. وبعد ١٠٠٠ يصبح ٣٠٠٠ ميلادي، وفي عام ١٩٥٤ بعد الميلاد يكون ٥٩٥٤ ميلادي.

العضو المبتدىء أو الدرجة الأولى:

الإشارة (الجزئية): الذراع اليمنى ممدودة أفقياً مع الكتف، والمرفق محني، والأيدي مفرودة أفقياً والإبهام إلى يسار القصبة الهوائية، و«تقطع» الإشارة (أي تتم وتنتهي) بحسب اليد تجاه الحنجرة وإنزالها إلى الجنب.

المصافحة: تضغط الإبهام على المفصل الأول للسبابة عند التقائها باليد.

الكلمة: بوعاز.

الانتقال من الدرجة الأولى إلى الدرجة الثانية:

مصافحة الاجتياز: يضغط الإبهام بين الأصبع الخنصر والبنصر.

كلمة التعارف: شيبوليث.

زمالة الأخوية ـ أو الدرجة الثانية:

الإشارات:

١) إشارة الإخلاص، اليد اليمنى على الثدي الأيسر، والإبهام منتصب إلى أعلى.

٢) إشارة التحية أو إشارة المثابرة، الذراع أفقي من الكتف إلى المرفق، ورأسي من المرفق إلى الرسغ والإبهام قائم. وقد يكون الذراع إلى الأمام على زاوية قائمة من الجسم، والكف تواجه اليمين والإبهام يشير إلى الوراء أو يكون على الجنب في محاذاة الجسم.

٢) إشارة التحية أو إشارة المثابرة، الذراع أفقي من الكتف إلى المرفق، ورأسي من المرفق إلى الرسغ والإبهام قائم. وقد يكون الذراع إلى الأمام على زاوية قائمة من الجسم، والكف تواجه اليمين والإبهام يشير إلى الوراء أن يكون على الجنب في محاذاة الجسم.

٣) الإشارة الجزائية. اسحب اليد اليمنى في محاذاة الصدر وأنزلها إلى الجنب.

المصافحة: يضغط الإبهام على المفصل الأول من البنصر.

الكلمة: جاشين (تلفظ ياقين).

الانتقال من الدرجة الثانية إلى الثالثة:

مصافحة الاجتياز: يضغط الإبهام بين البنصر والأصبع الثالث.

كلمة التعارف: تيوبال ـ كان.

الماسوني الأستاذ أو الدرجة الثالثة:

الإشارات:

١) إشارة الرعب ـ تعطى من إشارة تحية الدرجة الثانية عن طريق إنزال اليد اليسرى، بعيدة قليلاً عن الجسم، وكف اليد متجهة إلى الخارج. وهناك بعض الاختلافات حول مكان اليد اليسرى، ويعتمد ذلك على «المشهد الذي يثير الرعب، فيما إذا كان من الأمام أو من اليسار. أما اليد اليمنى فترفع وظهرها إلى الوجه مع إدارة الرأس فوق الكتف الأيمن.

٢) إشارة التعاطف الرأسي منكس قليلاً إلى الأمام، مع مس الجبهة باليد

اليمنى مساً رفيقاً (في بعض الحالات التكرار ثلاث مرات يشكل مثلثاً) وتعرف هاتان الإشاراتان بالإشارات العرضية التي تأتي في المناسبات.

٣) الإشارة الجزائية. اليد اليمنى مرفوعة أفقياً، والكف متجه إلى أسفل، والإبهام في زاوية قائمة إلى يسار السرة. و«تقطع» أي تنتهي بحسب اليد بصورة سريعة عرضاً مع الجسم (ويتم هذا أحياناً عن طريق تحريكها إلى اليسار، ثم إلى اليمين) وإنزال اليد إلى الجانب ويتم.

٤) إشارة الحزن والموت، وتعرف أيضاً إشارة الحزن والأسى، وهذه الإشارة، بأشكالها الثلاثة، توصف في طقوس الترفيع، ولا يتم القيام بها في أية حالة أخرى.

٥) الإشارة العظمى أو الملكية، وتعرف أيضاً بإشارة المتعة والبهجة، وتعطى عن طريق رفع كلا الذراعين فوق الرأس، والكفان يواجه الواحد منهما الآخر.

المصافحة: (تتم فقط في النقاط الخمس للزمالة) الأصابع مغروزة في الرسغ وكأنه يمسك به بقوة.

الأستاذ الموقر: (ينادي على القيم الصغير بالاسم) يا أخ... ما هو الاهتمام الأول لكل ماسوني؟

القيم الصغير: التأكد بأن المحفل محروس حراسة جيدة.

الأستاذ الموقر: أصدر توجيهاتك للقيام بذلك الواجب.

القيم الصغير: (إلى الحارس الداخلي، بالاسم) يا أخ... تأكد من أن المحفل محروس حراسة صحيحة.

(يذهب الحارس الداخلي إلى الباب، وبدون أن يفتحه، يطرق طرقات الدرجات الأولى، والتي يجيب عليها الحارس الخارجي من الخارج، ثم يقوم الحارس الداخلي بإبلاغ ذلك إلى القيم الصغير بالاسم).

الحارس الداخلي: يا أخ.. إن المحفل محروس حراسة صحيحة.

القيم الصغير: (معطيات طرقات الدرجة الأولى) إن المحفل محروس حراسة صحيحة.

الأستاذ الموقر: (مخاطباً القيم الكبير بالاسم) يا أخ . . الاهتمام التالي؟

القيم الكبير: التأكد من أنه لا يوجد إلا الماسونيون.

الأستاذ الموقر: أيها الإخوان في الدرجة الأولى، أدعوكم للنظام (سيتخذ الأستاذ الموقر والإخوان خطوة إلى الأمام ويعطون إشارة الدرجة الأولى).

الأستاذ الموقر: أيها الأخ، القيم الصغير، كم يوجد من الموظفين الرئيسيين الآن في المحفل؟

القيم الصغير: ثلاثة: الأستاذ الموقر والقيمان الكبير والصغير.

الأستاذ الموقر: أيها الأخ، القيم الكبير، كم عدد الموظفين المساعدين الموجودين؟

القيم الكبير: ثلاثة، بالإضافة إلى الحارس الكبير أو الحارس الخارجي، أي الشماس الكبير والشماس الصغير والحارس الداخلي.

الأستاذ الموقر: (مخاطباً القيم الصغير) كيف وضع الحراسة الخارجية؟

القيم الكبير: خارج باب المحفل.

الأستاذ الموقر: (مخاطباً القيم الصغير) واجباته؟

القيم الصغير: إنه مسلح بسيف مسلول، لإبعاد كافة الدخلاء والمتلصصين عن المحفل، والتأكد من أن المرشحين قد تم إعدادهم بصورة صحيحة.

الأستاذ الموقر: (مخاطباً القيم الكبير) كيف وضع الحاري الداخلي؟

القيم الكبير: داخل يدخل المحفل.

الأستاذ الموقر: واجباته؟

القيم الكبير: إدخال الماسونيين، استقبال المرشحين في الشكل الواجب اتخاذه، وإطاعة أوامر القيم الكبير.

الأستاذ الموقر: (مخاطباً القيم الصغير) حالة الشماس الصغير؟

القيم الصغير: على يمين القيم الكبير.

الأستاذ الموقر: واجباته؟

القيم الصغير: حمل كافة رسائل ومواصلات الأستاذ الموقر من القيم الكبير إلى الصغير، والتأكد من أن ذلك تتم إطاعته وتنفيذه بكل دقة.

الأستاذ الموقر: (مخاطباً القيم الكبير) كيف حال الشماس الكبير؟

القيم الكبير: إلى أو بالقرب من يمين الأستاذ الموقر.

الأستاذ الموقر: ما هي واجباته؟

القيم الكبير: حمل كافة الرسائل والأوامر من الأستاذ الموقر إلى القيم الكبير وانتظار عودة الشماس الصغير.

الأستاذ الموقر: أيها الأخ، القيم الكبير، مكانك في المحفل؟

القيم الصغير: في الجنوب.

الأستاذ الموقر: لماذا وضعت في ذلك المكان؟

الأستاذ الموقر: لأشير إلى أن الشمس في كبد السماء ـ الظهر ـ ولأدعو الإخوان للانتقال من الكدح والعناء إلى تناول المنعشات ومن المنعشات إلى الكد والعمل، أي أن الربح والمتعة قد تكون هي النتيجة.

الأستاذ الموقر: أيها الأخ، القيم الكبير، أين مكانك في المحفل؟

القيم الكبير: في الغرب.

الأستاذ الموقر: لماذا وضعت هناك؟

القيم الكبير: لأشير إلى غروب الشمس، ولأغلق المحفل بناء على أمر

الأستاذ الموقر، بعد أن أكون قد تأكدت من أن كل أخ قد قام بواجبه.

الأستاذ الموقر: (مخاطباً القيم الكبير أو الأستاذ السابق المباشر) أين مكان الأستاذ؟

القيم الكبير أو الأستاذ السابق المباشر: في الشرق.

الأستاذ الموقر: لماذا وضعت هناك؟.

القيم الكبير أو الأستاذ السابق المباشر: كما أن الشمس تشرق في المشرق من أجل أن تحي النهار وتفتحه، كذلك فإن الأستاذ الموقر وضع في الشرق ليقوم بافتتاح المحفل وتعيين وإصدار التعليمات إلى الإخوان في الماسونية.

الأستاذ الموقر: أيها الإخوان، باسم الباني العظيم للكون، أعلن بأن المحفل قد افتتح حسب الأصول (هنا يقوم الإخوان بقطع أي اختتام الإشارة) من أجل أهداف ومقاصد الماسونية في الدرجة الأولى.

(يعطي الأستاذ الموقر طرقات الدرجة الأولى التي يكررها القيم الكبير الذي يرفع عموده، والقيم الصغير الذي يخفض عموده. أما الحارس الداخلي فيذهب إلى الباب ويعطي نفس الطرقات التي يجيب عليها الحارس الخارجي من الخارج. أما الأستاذ السابق المباشر فيفتح كتاب القانون المقدس ويرتب المثلث والفرجار عليه بحيث يكون كل من رأس الفرجار تحت المثلث، بينما يقوم الشماس الصغير بعرض لوحة المتابعة الخاصة بالدرجة الأولى. كما أن الإخوان يجلسون في أماكنهم عندما يجلس الأستاذ الموقر).

يقرأ محضر الجلسة وإجراءاتها، ويتم التصويت على المرشح بالاقتراع السري ويدخل في العضوية في الدرجة الأولى. وتجري العادة أحياناً بافتتاح المحفل في كافة الدرجات الثلاث على التتابع، ومن ثم يستأنف العمل في الدرجة المخصصة. وفي النهاية ينبغي أن يستأنف المحفل في الدرجة الثالثة، ويختتم بصورة تامة في كافة الدرجات الثلاث، ومع هذا فإنه من أجل الاختصار فإن هذا الإجراء غالباً ما يتم بتره.

افتتاح المحفل في الدرجة الثانية:

(يدخل كافة المبتدئين أو ماسونيي الدرجة الأولى منهم الانسحاب يعطي الأستاذ الموقر طرقة واحدة يكررها وراءه القيمان الكبير والصغير).

الأستاذ الموقر: أيها الإخوان، ساعدوني في افتتاح المحفل للدرجة الثانية (ينهض الجميع).

الأستاذ الموقر: أيها الأخ، القيم الصغير، ما هو الاهتمام الأول لكل زميل في الأخوية الماسونية؟

القيم الصغير: التأكد من أن المحفل محروس بصورة صحيحة.

الأستاذ الموقر: يصدر تعليماته للقيام بالواجبات.

القيم الصغير: أيها الأخ، الحارس الداخلي، تأكد من أن المحفل قد تمت حراسته بصورة صحيحة.

(يذهب الحارس الداخلي إلى الباب ويعطي الطرقات الخاصة بالدرجة الأولى والتي يجيب عليها الحارس الخارجي، ثم يعود إلى مكانه ويخطو إلى الأمام ويعطي إشارة الدرجة الأولى).

الحارس الداخلي: أيها الأخ، القيم الصغير، إن المحفل محروس حسب الأصول.

القيم الصغير: (يعطي طرقات الدرجة الأولى ويخطو إلى الأمام ويعطي إشارة الدرجة الأولى) أيها الأستاذ الموقر، إن المحفل محروس حسب الأصول (يختتم الإشارة).

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الكبير، الاهتمام التالي؟

القيم الكبير: التأكد من أن الإخوان يبدون ملتزمين بالنظام كماسونيين.

الأستاذ الموقر: أيها الإخوان، الالتزام بالنظام في الدرجة الأولى.

(يقوم الأستاذ الموقر والإخوان باتخاذ خطوة إلى الأمام وبإعطاء إشارة الدرجة الأولى).

الأستاذ الموقر: أيها الأخ الأستاذ الموقر، هل أنت زميل في الأخوية الماسونية؟

القيم الصغير: إنني، أيها الأستاذ الموقر، كذلك، جربني وتثبت مني.

الأستاذ الموقر: بأي مقياس في البناء سيتم التثبت منك؟

القيم الصغير: المثلث.

الأستاذ الموقر: ما هو المثلث؟

القيم الصغير: زاوية تسعون درجة، أو الجزء الرابع من الدائرة.

الأستاذ الموقر: أما وقد أصبحت على معرفة بالأسلوب الصحيح، فإنك ستجرب رجال الأخوية الماسونية، وتثبت ذلك لي عن طريق الاحتذاء بهم والنسخ على منوالهم.

القيم الصغير: أيها الإخوان إنه لأمر الأستاذ الموقر لتثبتوا أنفسكم ماسونيين تابعين للأخوية الماسونية.

(يحتفظ القيم الصغير بإشارة الدرجة الأولى، بينما يكون الإخوان قد اختتموها، ثم يخطو ويعطي إشارات الدرجة الثانية).

القيم الصغير: أيها الأستاذ الموقر، لقد أثبت الإخوان أنفسهم على أنهم ماسونيون حقيقيون، وإطاعة لأمركم فقد حذوت حذوهم، واقتفيت أثرهم (يختتم إشارة الدرجة الأولى، يتخذ خطوة ويعطي إشارات الدرجة الثانية).

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الصغير إنني أقر وأعترف بصحة الإشارة (يقف الأستاذ الموقر تبعاً لترتيبات وأنظمة الدرجة الثانية). وقبل أن نفتتح المحفل في الدرجة الثانية، دعنا نتضرع إلى المهندس للكون، لعل أنوار السماء تفيض علينا وتنير سبلنا.

الأستاذ السابق المباشر: ليستجب الدعاء.

الأستاذ الموقر: أيها الإخوان، باسم المهندس العظيم للكون، أعلن بأن

المحفل قد افتتح حسب الأصول (أنهى الجميع إشارة التحية) على المثلث. (أعطى الجميع إشارة الجزاء عن طريق إنهاء تحية الإخلاص) من أجل إرشاد وتحسين رجال الأخوية الماسونية.

(يعطي الأستاذ الموقر طرقات الدرجة الثانية، التي يعيدها وراءه القيمان الكبير والصغير. ويعطي الحارس الداخلي الطرقات على الباب ويجيب عليها الحارس الخارجي. ثم يقوم الأستاذ السابق المباشر بإبراز أحد رأس الفرجار فوق المثلث ويبرز الشماس الصغير لوحة المتابعة الخاصة بالدرجة الثانية. ثم يجلس الجميع بعد أن يجلس الأستاذ الموقر.

افتتاح المحفل في الدرجة الثالثة:

(يطلب من كافة أعضاء الأخوية أو ماسونيين الدرجة الثانية التراجع، يعطي الأستاذ الموقر طرقة واحدة يعيدها وراءه القيمان الكبير والصغير).

الأستاذ الموقر: أيها الإخوان، ساعدوني في افتتاح المحفل في الدرجة الثالثة (ينهض الجميع).

الأستاذ الموقر: أيها الأخ، القيم الصغير، ما هو الاهتمام الأول لكل أستاذ ماسوني؟

القيم الصغير: التأكد من أن المحفل محروس حسب الأصول.

الأستاذ الموقر: أصدر توجيهاتك للقيام بالواجبات.

القيم الصغير: أيها الأخ، الحارس الداخلي، تأكد من أن المحفل محروس حسب الأصول (يذهب الحارس الداخلي إلى الباب ويطرق طرقات الدرجة الثانية، التي يجيب عليها الحارس الخارجي، يخطو إلى الأمام ويؤدي إشارة الدرجة الثانية.

الحارس الداخلي: أيها الأخ القيم الصغير إن المحفل محروس حسب الأصول.

القيم الصغير: (يعطي طرقات الدرجة الثانية ويخطو ثم يعطي إشارة الدرجة الثانية) أيها الأستاذ الموقر، إن المحفل محروس كما ينبغي.

الأستاذ الموقر: أيها الأخ، القيم الكبير، ما هو الاهتمام التالي؟

القيم الكبير: التأكد من أن الإخوان يبدون منتظمين كماسونيين.

الأستاذ الموقر: أيها الإخوان، الالتزام بالنظام المتبع في الدرجة الثانية. (يخطو الأستاذ الموقر والإخوان وتعطون إشارة الدرجة الثانية).

الأستاذ الموقر: أيها الأخ، القيم الصغير، هل أنت ماسوني أستاذ؟

القيم الصغير: نعم أيها الأستاذ الموقر، جربني وتثبت من صحة قولي.

الأستاذ الموقر: بأي المقاييس في البناء سيتم التثبت منك؟

القيم الصغير: بالمثلث والفرجار.

الأستاذ الموقر: أما وقد أصبحت مطلعاً على الأسلوب الصحيح فإنك ستثبت أن ماسوني أستاذ في الأخوية بواسطة الإشارات، وأن تثبت ذلك لي عن طريق السير على نهجهم والاقتداء بهم.

القيم الصغير: أيها الإخوان، إنه لأمر الأستاذ الموقر أن تقوموا بإثبات أنفسكم ماسونيين أساتذة بواسطة الإشارات.

(يحتفظ القيم الصغير بإشارات الدرجة الثانية بينما يثبت الإخوان الإشارات الكاملة للماسوني الأستاذ، أي إشارة الرعب وإشارة التعاطف وإشارة الجزاء على التوالي.

القيم الصغير: أيها الأستاذ الموقر، إن الإخوان قد أثبتوا أنفسهم على أنهم ماسونيون أساتذة عن طريق الإشارات، وبإطاعتهم لأمرك، ولذلك فإنني أقلدهم وأسير على نهجهم (تأخذ خطوة إلى الأمام وتعطي كامل الإشارات الخاصة بالدرجة الثالثة).

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الصغير، إنني أقر وأعترف بصحة الإشارات. (يخطو ويعطي كامل الإشارات).

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الصغير، من أي أتيت؟

القيم الصغير: من الشرق.

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الكبير، إلى أين يتجه مسارك؟

القيم الكبير: الغرب.

الأستاذ الموقر: (إلى القيم الصغير) ما الذي أغراك بترك الشرق والذهاب إلى الغرب؟

القيم الصغير: سعياً وراء ما فقد والذي نأمل بفضل تعليماتك وإشاداتك ومثابرتنا أن نعثر عليه.

الأستاذ الموقر: (مخاطباً القيم الكبير) ما هو ذلك الشيء الذي فقد؟

القيم الصغير: الأسرار الأصلية للماسوني الأستاذ.

الأستاذ الموقر: (مخاطباً القيم الصغير) كيف فقدت تلك الأشياء؟

القيم الصغير: بالموت المبكر لأستاذنا حيرام أبيف.

الأستاذ الموقر: أين تأملون العثور عليها؟

القيم الكبير: في المركز.

الأستاذ الموقر: (مخاطباً القيم الصغير) ما هو المركز؟

القيم الصغير: نقطة في داخل الدائرة والتي منها يكون كل جزء من المحيط على مسافة متساوية.

الأستاذ الموقر: (مخاطباً القيم الصغير) لماذا في المركز؟

القيم الكبير: لكونها النقطة التي لا يمكن منها لماسوني أستاذ أن يخطىء.

الأستاذ الموقر: إننا سنساعدك للحصول على ذلك الذي فقد ولعل السماء تساعد جهودنا المتحدة المشتركة.

القيم الكبير: لعلها تستجيب.

الأستاذ الموقر: أيها الإخوان، باسم الأعلى، أعلن أن المحفل قد افتتح حسب الأصول (الكل ينهي الإشارة الجزائية التي لا تستعاد) في المركز من أجل أهداف الماسونية في الدرجة الثالثة. (يعطي الأستاذ الموقر طرقات الدرجة الثالثة التي يعيدها وراءه القيمان الكبير والصغير، كما يطرقها الحارس الداخلي على الباب ويرد عليها الحارس الخارجي، ويقوم الأستاذ السابق المباشر بإبراز طرفي الفرجار المستدقين فوق المثلث ويبرز الشماس الصغير لوحة المتابعة الخاصة بالدرجة الثالثة).

الأستاذ الموقر: كل المجد للأعلى.

(الجميع يؤدون الإشارة الكبرى أو الملكية، ويجلس الإخوان بعد أن يجلس الأستاذ الموقر).

اختتام المحفل في الدرجة الثالثة:

(يعطي الأستاذ الموقر طرقة واحدة يكررها وراءه القيمان الكبير والصغير).

الأستاذ الموقر: أيها الإخوان، ساعدوني على اختتام المحفل في الدرجة الثالثة (ينهض الجميع).

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الصغير، ما هو الاهتمام الثابت لكل ماسوني أستاذ؟

القيم الصغير: التأكد من أن المحفل تتم حراسته بصورة محكمة.

الأستاذ الموقر: أصدر توجيهاتك للقيام بذلك الواجب.

القيم الصغير: أيها الأخ، الحارس الداخلي، تثبت من أن المحفل محروس تماماً.

(يذهب الحارس إلى الباب ويعطي طرقات الدرجة الثالثة التي يجيب

عليها الحارس الخارجي، ثم يخطو إلى الأمام ويعطي إشارة الجزاء للدرجة الثالثة).

الحارس الداخلي: أيها الأخ، القيم الصغير إن المحفل محروس حراسة جيدة محكمة.

(ينهي الإشارة، ويعود إلى مكانه ثم ينزل يده اليمنى).

القيم الصغير: (يطرق طرقات الدرجة الثالثة ويخطو ثم يعطي إشارة الجزاء للدرجة الثالثة). أيها الأستاذ الموقر، إن المحفل محكم الحراسة (ينهي الإشارة ويعود إلى مكانه وينزل يده اليمنى).

الأستاذ الموقر: أيها الإخوان، إلى الأنظمة المتبعة في الدرجة الثالثة (يخطو الأستاذ الموقر والإخوان يقفون بانتظام مع إشارة جزاء الدرجة الثالثة).

الأستاذ الموقر: أيها الأخ، القيم الصغير، من أين أتيت؟

القيم الصغير: من الغرب حيث كنا نبحث عن الأسرار الأصلية للماسوني الأستاذ.

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الكبير، وهل عثرتم على تلك الأسرار؟

القيم الكبير: لم نعثر عليها، أيها الأستاذ الموقر، ولكن أحضرنا معنا بعض الأسرار البديلة، والتي نحن في لهفة لنقلها لعنايتكم وما ترونه مناسباً لها.

الأستاذ الموقر: دعوا تلك الأسرار البديلة تنقل إلي بصورة منتظمة.

(يبقى القيمان على الإشارة الجزائية، ويتركون قواعدهم ويأتون إلى وسط المحفل يواجه الواحد منهما الآخر على بعد حوالي ثلاثة أقدام، القيم الكبير يواجه الجنوب والقيم الصغير يواجه الشمال. ثم يخطو القيم الصغير خطوة إلى الأمام ويعطي القيم الكبير مصافحة الاجتياز من الدرجة الثانية إلى الدرجة الثالثة. وبأيد مرفوعة يهمس كلمة الاجتياز «تيوبال ـ كان» بعد ذلك يطلقا أيديهما ويعودان إلى إشارة جزاء الدرجة الثالثة. ثم يخطو القيم الصغير خطوة

أخرى ويذهب عبر كامل إشارات الدرجة الثالثة، ومن ثم في نقاط الزمالة الخمس (يداً بيد في مصافحة الأستاذ الموقر والقدم الأيمن على محاذاة القدم الأيمن والركبة على محاذاة الركبة والصدر إلى الصدر واليد اليسرى ملتفة وراء الظهر) يهمس كلمات الدرجة الثالثة، ماتشابين ـ ماتشبينا. يؤدي القيم الصغير التحية للقيم الكبير بإشارة وردود الدرجة الثالثة ويعود إلى قاعدته وهو ما يزال مبق على الإشارة. يذهب القيم الكبير إلى وسط المحفل ووجهه إلى الشرق، مبقياً على إشارة الجزاء.

القيم الكبير: هل للأستاذ الموقر أن يتعطف بأن يستلم مني الأسرار البديلة للماسوني الأستاذ.

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الكبير، يسرني أن أستلمها منك، ومن أجل إبلاغ الإخوان واطلاعهم على ذلك، فإنك ستتكلم الكلمات بصوت عال.

(يغادر الأستاذ الموقر قاعدته من اليسار ويتقدم نحو القيم الكبير ضمن ياردة واحدة، ويخطو خطوة ويستلم الأسرار البديلة من القيم الكبير بنفس الطريقة التي نقلها القيم الصغير، ما عدا النطق بالكلمات بصوت مرتفع. يؤدي القيم الكبير التحية بالإشارة الجزائية وردودها ثم يعود كلاهما إلى قاعدته وهو مبق على الإشارة).

الأستاذ الموقر: أيها الإخوان، وهكذا فإن الإسرار البديلة للماسوني الأستاذ الموقر قد سلمت إلي بصورة منتظمة وإنني، كأستاذ للمحفل، وبذلك الممثل المتواضع للملك سليمان، أقدس وأبارك وأؤكد وأصادق عليها، كما أعلن أنها ستدل عليكم وتعين مراكزكم أنتم وكافة الماسونيين الأساتذة في كافة أرجاء الكون إلى أن يتيسر للزمان أو الظروف استعادة الأسرار الأصيلة. (يهتف الإخوان جميعهم وهم منحنون قليلاً إلى الأمام) قائلين (بكل امتنان ننحني لأستاذنا).

الأستاذ الموقر: كل الامتنان للأعلى. (يؤدي الأستاذ الموقر والإخوان الإشارة العظيمة أو الملكية ويعودون إلى إشارة جزاء الدرجة الثالثة).

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الكبير، أما وقد انتهت أعمال هذه الدرجة، فإني أصدر أمري إليك باختتام المحفل (يعطي طرقات الدرجة الثالثة بيده اليسرى).

القيم الكبير: أيها الإخوان، باسم الأعلى، وبأمر من الأستاذ الموقر، اختتم (تنتهي كافة الإشارات) هذا المحفل الماسوني الأبتاذي (يتراجع الجميع وينزلون أيديهم. ثم يطرق القيم الكبير طرقات الدرجة الثالثة).

اختتام المحفل في الدرجة الثانية:

(يعطي الأستاذ الموقر طرقة واحدة، يكررها وراءه القيمان الكبير والصغير).

الأستاذ الموقر: أيها الإخوان، ساعدوني على اختتام المحفل للدرجة الثانية (ينهض الجميع).

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الصغير، ما هو الاهتمام الثابت لكل عضو في الأخوية الماسونية؟

القيم الصغير: التثبت من أن المحفل محكم الحراسة.

الأستاذ الموقر: أصدر توجيهاتك للقيام بذلك العمل.

القيم الصغير: أيها الأخ، الحارس الداخلي، تأكد من أن المحفل محكم الحراسة.

(يذهب الحارس الداخلي، إلى الباب ويطرق طرقات الدرجة الثانية التي يجيب عليها الحارس الخارجي، يرجع، ويخطو خطوة ويعطي إشارة الدرجة الثانية.

الحارس الداخلي: أيها الأخ، القيم الصغير، إن المحفل محكم الحراسة (ينهي الإشارة).

القيم الصغير: (طرقات وخطوة وإشارة الدرجة الثالثة) أيها الأستاذ

الموقر، إن المحفل محكم الحراسة (ينهي الإشارة).

الأستاذ الموقر: أيها الأخ الكبير، الاهتمام التالي؟

القيم الكبير: التأكد من أن الإخوان يبدون منتظمين ومرتبين بصورة تليق بالماسونيين.

الأستاذ الموقر: أيها الإخوان، الالتزام بنظام الدرجة الثانية (يخطو الأستاذ الموقر والإخوان خطوة إلى الأمام ويعرضون إشارة الدرجة الثانية والتي يبقون محتفظين بها إلى أن يعلن اختتام المحفل).

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الصغير، ماذا اكتشفت في هذا المركز الذي تشغله؟

القيم الصغير: رمزاً مقدساً.

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الكبير، أين وضع؟

القيم الكبير: في وسط المبنى.

الأستاذ الموقر: (مخاطباً القيم الصغير) إلى من يشير أو يلمح؟

القيم الصغير: إلى المهندس الأعظم للكون.

الأستاذ الموقر: أيها الأخ، القيم الكبير، أما وقد انتهت أعمال هذه الدرجة، فإنني آمرك باختتام المحفل (يطرق القيم الكبير طرقات الدرجة الثانية بيده اليسرى، مبقياً على الإشارة بيده اليمنى).

القيم الكبير: أيها الإخوان، باسم المهندس الأعظم للكون، وبأمر الأستاذ الموقر، اختتم (الجميع ينهون إشارة التحية باليد اليسرى) هذا المحفل لعضوية الأخوية الماسونية. (الجميع ينهون إشارة الإخلاص باليد اليمنى. ويقوم القيم الكبير بطرق طرقات الدرجة الثانية).

القيم الصغير: لقد سعدنا باجتماعنا.

ونفترق سعداء.

وسعداء أن نجتمع مرة أخرى (يعطي طرقات الدرجة الثانية، يعيدها وراء الحارث الداخلي على الباب ويجيبه عليها الحارس الخارجي. ويقوم القيم الكبير بإخفاء طرفي الفرجار تحت المثلث كما يقوم الشماس بالاهتمام بأمر لوحات المتابعة وهكذا المبتدئون في العضوية).

(يعطي الأستاذ الموقر طرقة واحدة يعيدها وراءه القيمان الكبير والصغير).

الأستاذ الموقر: أيها الإخوان، ساعدوني على اختتام المحفل (يقف الجميع).

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الصغير، ما هو الاهتمام الثابت لكل ماسوني؟

القيم الصغير: التأكد من أن المحفل محكم الحراسة.

الأستاذ الموقر: أصدر تعليماتك للتأكد من ذلك.

القيم الصغير: أيها الأخ، الحارس الداخلي، تأكد من أن المحفل محكم الحراسة.

(يذهب الحارس الداخلي إلى الباب ويطرق طرقات الدرجة الأولى والتي يجيب عليها الحارس الخارجي، ثم يبلغ ذلك بخطوة وإشارة الدرجة الأولى).

الحارس الداخلي: أيها الأخ، القيم الصغير، إن المحفل محكم الحراسة (ينهي الإشارة).

القيم الصغير: (بطرقات وخطوة وإشارة الدرجة الأولى) أيها الأستاذ الموقر إن المحفل محكم الحراسة (ينهي الإشارة).

الأستاذ الموقر: أيها القيم الكبير، الاهتمام التالي؟

القيم الكبير: التأكد من أن الإخوان يبدون بالنظام الذي يليق بالماسونيين.

الأستاذ الموقر: أيها الإخوان إلى النظام الذي تتطلبه الدرجة الأولى (يأخذ الجميع خطوة وإشارة الدرجة الأولى).

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الكبير، أين مكانك الثابت في المحفل؟

القيم الكبير: في الغرب.

الأستاذ الموقر: لماذا وضعت هناك؟

القيم الكبير: بما أن الشمس تغرب في الغرب لاختتام النهار، كذلك فإن القيم الكبير يوضع في الغرب لاختتام المحفل بأمر من الأستاذ الموقر، بعد أن يكون قد تأكد من أن كل أخ قد أدى واجبه على أكمل وجه.

الأستاذ الموقر: أيها الإخوان قبل أن نختتم المحفل، دعونا بكل إكبار واحترام وبمنتهى الخضوع والتسليم أن نعبر عن امتناننا للباني الأعظم للكون على النعمة التي حيانا بها، لعله يحفظ المنظمة بشد أسرها ويزينها بكل الفضائل الأخلاقية والاجتماعية.

القيم الكبير: لعله يستجيب إنه السميع المجيب.

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الكبير، بما أن أعمال المساء قد انتهت، فإنني آمرك باختتام المحفل، (يعطي، وهو مبق على الإشارة، طرقات الدرجة الأولى بيده اليسرى).

القيم الكبير: أيها الإخوان باسم الباني العظيم للكون وبأمر الأستاذ الموقر اختتم المحفل (الكل ينهون الإشارة ويطرق القيم الكبير طرقات الدرجة الأولى ويخفض عموده).

القيم الصغير: وهكذا فقد اختتم حسب الأصول إلى يوم..... من ..... إلا في حالة الطوارىء، التي سيرسل إلى كل أخ الإشعار اللازم بشأنها. (يطرق طرقات الدرجة الأولى، ويرفع عموده. يقوم الحارس الداخلي والخارجي بإعادة الطرقات. كما يقوم الشماس الصغير بالاهتمام بشأن لوحة المتابعة).

القيم الكبير: يزيل المثلث والفرجار ويطبق كتاب القوانين المقدسة أيها

الإخوان لم يبق الآن شيء، إلا تبعاً للعادة القديمة ـ أن نغلق على أسرارنا في مستودع أمين، وأن نكون متحدين فعلاً في الإخلاص، الإخلاص، الإخلاص.

عندها يقوم القيم الكبير والإخوان بضرب الجانب الأيسر من صدورهم.

«مراسم الانتساب إلى العضوية»

يعد المرشح للدخول في العضوية من قبل الحارس الخارجي في الغرفة المقابلة خارج المحفل. يجرد من معطفه وصدريته وياقته وربطة عنقه وكافة الأشياء المعدنية ـ النقود والمفاتيح وأزرار الزينة، وحلقات أطراف الأكمام أو أزرار ربطتها، والساعة اليدوية الخ. . . تفك أزرار قميصه ويفك ليكشف عن ثديه الأيسر، كما يلف كما الأيمن إلى فوق كوعه. أما الرجل اليسرى لبنطلوه فتلف إلى ما فوق الركبة، بالرغم من أن بعض المحافل تقوم بتزويد بنطلونات بيجامات من أجل عدم إفساد الكويات (الثنيات) ومن أجل تجنب الصعوبات المتعلقة بالتوابع المعدنية للشباحات والأحزمة. يخلع الحذاء الأيمن ويستبدل بشبشب من النوع المعروف «بالخف» ويوضع عادة حول عنقه أنشوطة من الحرير الأزرق الفاتح، يتدلى طرف حبلها على ظهره، وتعصب عينا المرشح بغماء قد يكون من المخمل الأسود أو الأزرق الفاتح.

وفي نفس الوقت يكون المحفل مفتوحاً في الدرجة الأولى، حيث يقرأ محضر الاجتماع ويتم التأكد منه، ثم يجري التصويت على المرشح (إذا لم يكن هذا الإجراء قد تم القيام به من قبل) وقد يتم القيام بأعمال أخرى. وبعد ذلك يوقع المرشح في كتاب وثيقة مبادىء الهيئة.

وعندما ينتهي كل شيء، يطرق الحارس الخارجي طرقات الدرجة الأولى على الباب.

الحارس الداخلي: (متخذاً خطوة إلى الأمام ومعطياً إشارة الدرجة الأولى) أيها الأخ القيم الصغير. يوجد هناك تقرير أو خبر يراد نقله.

هناك تقرير أو خبر يراد نقله.

القيم الصغير: (يؤدي طرقات الدرجة الأولى ثم ينهض مؤدياً خطوة وإشارة) أيها الأستاذ الموقر، يوجد تقرير.

الأستاذ الموقر: أيها الأخ، القيم الصغير استعلم من يريد الدخول في الهيئة.

القيم الصغير: (ينهي الإشارة، ويفتح الباب، ويخاطب الحارس الخارجي) من الذي يوجد لديك هناك؟

الحارس الخارجي: السيد أيه. بي. مرشح بائس في حالة ظلام والذي تمت التوصية به بصورة جيدة وجديرة به، كما تم ترشيحه والمصادقة عليه في محفل مفتوح، والآن جاء بمحض إرادته واختياره، معداً بصورة صحيحة، يتوسل بضراعة للسماح له بالدخول إلى أسرار وخفايا وامتيازات الماسونية.

الحارس الداخلي: كيف يأكل في الحصول على تلك الامتيازات؟

المرشح: (يلقنه الحارس الخارجي) بعون الله ولكوني حراً وحسن السير والسلوك.

الحارس الداخلي: توقف إلى أن أبلغ الأستاذ الموقر (يغلق الباب ويخطو ويعطي الإشارة) أيها الأستاذ الموقر، السيد ايه. بي. (مرشح بائس في حالة ظلام) الخ (نفس التقرير الذي أعطاه الحارس الخارجي).

الأستاذ الموقر: كيف يأمل أن يحصل على تلك الامتيازات؟

الأستاذ الموقر: سمع تقرير حسن السيرة والسلوك والذي هو في مصلحته، أيها الأخ الحارس الداخلي هل قمت بالتأكد من أنه أعد بصورة صحيحة؟

الحارس الداخلي: أيها الأستاذ الموقر، قد فعلت.

الأستاذ الموقر: إذن دعوه يدخل حسب الأصول (ينهي الحارس الداخلي الإشارة).

الإخوان الشمامسة.

(يضع الشماس الكبير كرسي الركوع في الزاوية الشمالية الشرقية. يقوم بملاقاة المرشح على الباب الحارس الداخلي الذي يقوم بوضع رأس خنجر على ثديه الأيسر العاري ويسأله، هل تشعر بأي شيء؟ ولدى تلقيه الجواب بالإيجاب، يرفع الحارس الداخلي رأس الخنجر بعيداً ليرى الأستاذ الموقر أن هذا الواجب قد تم القيام به ثم يقوم الشماس الصغير بأخذ يد المرشح اليمنى بيده اليسرى ويقوده إلى كرسي الركوع).

الأستاذ الموقر: أيها السيد ايه. بي. بما أنه لا يمكن لأي شخص أن يصبح ماسونياً إلا إذا كان حراً وفي سن النضج، ولذلك فإنني أسألك، هل أنت رجل حر وبلغت من العرم إحدى وعشرين سنة؟

المرشح: نعم. إنني كذلك.

الأستاذ الموقر: أما وقد تأكدت من ذلك، فإنني سأكون شاكراً لك الركوع، بينما تكون بركات السماء تستمطر على إجراءاتنا (يعطي طرقة واحدة، يرد عليها القيمان، ويقف الإخوان وقفة استعداد مع أداء إشارة الاحترام، بينما تتقاطع صولجانات الشماسين فوق رأس المرشح، ثم يقوم الأستاذ الموقر وقسيس إذا كان موجوداً، بأداء الصلوات والأدعية التالية (أيها الأب الفائق القوة والحاكم الأعلى للكون أعط عونك لاجتماعنا الحالي، واجعل هذا المرشح للماسونية يكرس ويخصص حياته لخدمتك ليصبح أخاً نقياً طاهراً مؤمناً بيننا. واخلع عليه قدرة وكفاية حكمتك الإلهية، التي تدعمها إسراد فننا الماسوني، لعله يتمكن بصورة أفضل من اكتشاف جمالات الصلاح والتقوى ليكرم مجد اسمك المقدس.

القيم الكبير: لعله يستجيب إنه السميع المجيب.

الأستاذ الموقر: إنني لفي منتهى السعادة أن أجد إيمانك قد بني على هذه الأسس، إذا باعتمادك على مثل هذا الدعم الأكيد ستنهض وترتفع بأمان وتتبع

هاديك بثقة ثابتة ولكنها متواضعة، لأنه حيثما نتوسل إلى الله فإننا على تمام اليقين بأنه لن يمسنا سوء ولا يلحق بنا خطر.

(يساعد الشماس الصغير المرشح على النهوض، كما يقوم الشماس الكبير بإزاحة كرسي الركوع جانباً، وبعد يجلس الأستاذ الموقر والإخوان في أماكنهم).

مناسباً وصحيحاً يصبح ماسونياً.

(يضع الشماس الكبير كرسي الركوع في مكان أمام قاعدة (منصة) الأستاذ الموقر في الشرق، ويعطيه الخنجر. يأخذ الشماس الصغير المرشح بالإمساك بيده اليمنى بقوة ويقوده نحو الشمال، عبر الشرق إلى الجنوب، قاطعاً المحفل على شكل «مربع» بصورة دقيقة في زواياه الأربع عن طريق التوقف ثم الالتفاف ثم الابتعاد مرة ثانية مبتدئاً بقدم الرجل اليسرى.

وعندما يصل إلى القيم الصغير يربت على كتفه الأيمن ثلاث مرات بيد المرشح اليمنى).

القيم الصغير: من لديك هناك؟

الشماس الصغير: السيد ايه. بي. مرشح بائس في حالة ظلام الخ.

(نفس التقرير السابق).

القيم الصغير: كيف يأمل في الحصول على تلك الامتيازات؟

القيم الصغير: (يأخذ يد المرشح اليمنى) ادخل، فإنك حر وتقريرك جيد.

(يقود الشماس الصغير المرشح إلى القيم الكبير، يذرع المحفل من الزاوية الجنوبية الغربية، ويتم القيام بنفس الامتحان مرة ثانية. ثم يمرون إلى يسار القيم الكبير ويواجهون الشرق).

القيم الكبير: (يخطو ويعطي الإشارة) أيها الأستاذ الموقر إنني أقدم لك السيد ايه. بي. مرشح تم إعداده حسب الأصول ليصبح ماسونياً.

الأستاذ الموقر: أيها الأخ، القيم الكبير، يجب أن يصغى بانتباه إلى تقديمك، وإنني سأوجه بعض الأسئلة إلى المرشح، الذي أنا على تمام الثقة بأنه سيجيب عنها بمنتهى الإخلاص والصراحة.

هل تعلن بشرفك بصورة جدية، غير منحاز بسبب توسلات أو إغواءات غير مناسبة من قبل أصدقاء ضد رغبتك وميلك أو بتأثير الجشع أو دوافع أخرى تافهة إنك تقدم نفسك بمحض حريتك واختيارك مرشحاً للوصول إلى رموز وخفايا وامتيازات الماسونية؟

المرشح: نعم، إنني أعلن ذلك.

الأستاذ الموقر: هل تلزم نفسك كذلك بأنك مدفوع لطلب تلك الامتيازات برأي مفضل لديك كونته عن المؤسسة الماسونية، وبرغبة عامة في الحصول على المعرفة، ورغبة صادقة في جعل نفسك أكثر استعداداً لخدمة إخوانك من المخلوقات البشرية بصورة واسعة ومكثفة؟

المرشح: نعم ـ إنني ألزم نفسي.

الأستاذ الموقر: هل تعلن أيضاً بشرفك وبصورة جدية إنك ستحافظ بصورة ثابتة أثناء مراسم إدخالك في العضوية، ستتجنب الخوف من ناحية والطيش والتهور من الناحية الثانية، وإذا حدث وقبلت في العضوية، فإنك فيما بعد ستعمل وتلتزم بالاستخدامات والعادات الراسخة للمنظمة الماسونية؟

المرشح: نعم أعلن ذلك.

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الكبير، إنك ستوجه الشماس الصغير ليصدر تعليماته إلى المرشح بالتقدم نحو القاعدة حسب الأصول المتبعة.

القيم الكبير: أيها الأخ، الشماس الصغير. إنه لأمر الأستاذ الموقر أن تصدر تعليماتك إلى المرشح للتقدم نحو القاعدة حسب الأصول.

(يقود الشماسي الصغير لمسافة ضمن ياردة واحدة تقريباً من القاعدة.

الشماسي الصغير: تقدم بخطوة قصيرة بقدم الأيسر جاعلاً الكعبان معاً على شكل مربع، اتخذ خطوة أطول قليلاً، والكعبان معاً كالسابق.

ما زالت خطوة أخرى أطول، والكعبان معاً كالسابق، (يجب على المرشح الآن أن يكون في وضع للركوع أمام القاعدة، ويكون الشماسي الكبير في نفس الوقت قد وصل ووقف إلى يسار المرشح، والشماسي الصغير على يمينه، والثلاثة جميعهم يواجهون الشرق).

الأستاذ الموقر: إن من واجبي إبلاغكم أن الماسونية حرة، وتتطلب حرية تامة في ميل كل مرشح للوصول إلى رموزها وخفاياها، إنها تقوم على أنقى وأطهر قواعد التقوى والفضيلة، إنها تتمتع بامتيازات عظيمة لا تقدر بثمن، ومن أجل تأمين تلك الامتيازات لمن يستحقها من الأشخاص ـ وإننا نعهد بها إلى الأشخاص الجديرين بها حقيقة ـ فإن إيمان الإخلاص والولاء مطلوبة. ولكن دعني أؤكد لك أنه لا يوجد في تلك الإيمان وأنواع القسم اللازمة أي شيء يتناقض واجباتك المدنية أو الأخلاقية أو الدينية، فهل أنت تبعاً لذلك مستعد لأداء قسم مقدس، قائم على المبادىء التي ذكرتها آنفاً، وأن تحافظ على عدم إفشاء أسرار ورموز وخفايا المنظمة؟

المرشح: إنني على استعداد تام لذلك.

الأستاذ الموقر: إذن فإنك ستركع على ركبتك اليسرى، وقدمك اليمنى تشكل زاوية قائمة، وتعطيني يدك اليمنى التي سأضعها على كتاب القوانين المقدسة بينما تقوم يدك اليسرى بدعم هذه الفرجارات، وتوجيه أحد أطرافها المدببة نحو ثديك الأيسر العاري.

(يساعد الشماس الكبير في القيام بهذه الأعمال، تكون نهايتا الفرجار مفتوحتين في زاوية قائمة، النهاية العلوية مصوبة نحو ثدي المرشح المكشوف، يطرق الأستاذ الموقر طرقة واحدة، يعيدها وراءه القيمان، ينهض الإخوان ويقفون بانتظام وإجلال مع أداء إشارة الدرجة يمر الشماسان بصولجاناتهما على يد المرشح، رافعيها بأيديهم اليسرى محتفظين بالإشارة باليمنى).

الأستاذ الموقر: أعد اسمك بطوله وقل ورائي:

المرشح: أنا ايه. بي. في حضرة الباني العظيم للكون، ومحفل الماسونيين الأحرار المقبولين، المجاز والجدير بالثقة والتوقير والإجلال، والتي يجتمع بصورة منتظمة وتم تكريسه حسب الأصول، أقوم بمحض حريتي واختياري (يلمس الأستاذ الموقر يد المرشح اليمنى بيده اليسرى) في هذا المقام (يلمس الأستاذ الموقر الكتاب المقدس بيده اليسرى) بالوعد بكل تقديس واحترام وأقسم بأني سوف أقوم دائماً بإخفاء وحجب وعدم كشف النقاب إطلاقاً عن أي جزء أو أجزاء نقطة أو نقاط الأسرار أو الرموز أو ما يخص الماسونيين الأحرار المقبولين في الماسونية، التي كنت قد اطلعت عليها، أو التي سيتم نقلها لي الآن أو في أية فترة في المستقبل إلا إلى أخ صحيح وشرعي أو إخوان صحيحين مشروعين، بل ولا حتى إليه أو إليهم، إلا بعد أداء الطقوس اللازمة والامتحانات الصارمة، أو المعلومات الأكيدة من قبل أخ مشهور تشهد بأنه أو إنهم جديرون بالثقة، أو هيئة محفل الماسونيين القديمين العادل الصحيح الكامل المنتظم. كما إنني أعد بتقدير وإكبار بأنني سوف لا أكتب تلك الأسرار، أو أنظم في قالب شعري أو رسمي، أو أنقش، أو أعلم، أو أحفر تلك الأسرار أو أقوم بطريقة أخرى بوصفها أو تخطيطها أو أتسبب في جعل الآخرين يفعلون ذلك، إذا كان باستطاعتي فعل ذلك، على أي شيء ثابت أو متحرك، تحت قبة السماء بصورة تجعل أي حرف أو رمز أو شكل أو أقل أثر لحرف أو رمز أو شكل واضحاً ومقروءاً أو واضحاً بالنسبة لنفسي أو أي إنسان في العالم، بحيث تصبح مبادئنا السرية ورموزنا الخفية، بصورة غير صحيحة ولا مناسبة معروفة بسبب عدم جدارتي وكفاءتي. إنني أقسم بإجلال أن أراعي هذه النقاط العديدة، بدون تملص أو مراوغة أو مواربة أو تحفظات عقلية من أي نوع تحت عقوبة بسبب إفشاء أي منها، لا تقل عن قطع حنجرتي عرضاً واقتلاع لساني من أصوله ودفني في رمال البحار تحت أدنى مستوى للماء، أو على بعد طول كبلي من الشاطىء حيث تتم عملية المد والجزر بانتظام كل أربع وعشرين ساعة، أو

بعقاب أكثر فعالية بأن يتم وصمي بشخص حانث بالقسم مع سبق الإصرار، ومجرد من كل القيم الأخلاقية وليس أهلاً إطلاقاً ليقبل في هذا المحفل الموقر أو أي محفل رسمي آخر أو جمعية مؤلفة من أشخاص يقدرون الشرف والفضيلة ويضعونها فوق الامتيازات الخارجية السطحية من جاه وثروة. لذلك ساعدني يا الله واجعلني ملتزماً بقوة بقسمي وواجبي المقدس لمبتدىء متمرن داخل في الماسونية.

(الجميع ينهون الإشارة، وينزل الشمامسة الصولجانات، ويزيل الأستاذ الموقر الفرجار من يد المرشح).

الأستاذ الموقر: إن ما كررته قد يعتبر مجرد وعد جدي، كتعهد بالالتزام بولائك وإخلاصك، ولكن من أجل أن تحوله إلى قسم مقدس فإنك ستختمه بشفاهك على كتاب القانون المقدس (يفعل المرشح ذلك).

الأستاذ الموقر: أما وقد كنت في ظلام دامس لفترة من الزمان لا يستهان بها. فما هي الرغبة العارمة التي تطغى على فؤادك في حالتك الراهنة؟

المرشح: النور؟

الأستاذ الموقر: أيها الأخ الشماس الصغير، دع تلك البركة تعود إلى المرشح.

(يقوم الأستاذ الموقر بالتلويح بمطرقته ذات اليسار وذات اليمين ثم يضعها على القاعدة. يقوم الإخوان في نفس الوقت بالتصفيق بأيديهم، ويقوم الشماس الصغير بإزاحة الغماء، ويحجب عيني المرشح بحيث يوجههما مباشرة نحو الكتاب المقدس الموضوع أمامه. وبعد ذلك يزيل حبل السحب ـ المرسة).

الأستاذ الموقر: أما وقد عدت إلى نعمة وبركة النور المادي، دعني ألفت انتباهك إلى ما نعتبره الأنوار الثلاثة الكبرى، بالرغم من أنها أنوار رمزية، وهي كتاب القانون المقدس، والمثلث والفرجار، فالكتابات المقدسة لتحكم إيماننا، والمثلث لتنظيم أعمالنا، والفرجار للإبقاء علينا ضمن حدود الواجبات الماسونية

(يأخذ يد المرشح اليمنى بيده) ويقول انهض أيها الأخ الملتزم بقسمك حديثاً بين الماسونيين. إنك الآن قادر على اكتشاف الأنوار الثلاثة الأصغر، إنها موضوعة في الشرق والجنوب والغرب وقد قصد بها أن تمثل الشمس والقمر وأستاذ المحفل؛ فالشمس لتحكيم النهار. والقمر ليحكم الليل، والأستاذ ليحكم ويوجه محفله. أيها الأخ إيه. بي. إنك بسلوكك المتواضع النزيه والصريح في هذا المساء، نجوت من خطرين كبيرين، ولكن يوجد هناك خطر ثالث ينتظرك حتى آخر لحظة في وجودك، أما الأخطار التي نجوت منها فهي تلك التي تطعن وتخنق، لأنه لدى دخولك في المحفل كان هذا الخنجر (يخرجه من قرابة ويعرضه على المرشح) مصوباً إلى ثديك الأيسر العاري بحيث إنك لو حاولت بصورة طائشة الاندفاع إلى الأمام فإنك عندها ستكون قد سعيت إلى حتفك بظلفك حيث ستكون قد طعنت، حيث يبقى الأخ الذي يحمل الخنجر ثابتاً مكانه ويؤدي واجبه. كذلك كان هناك هذا الحبل الملفوف حول عنقك لسحبك (يعرضه عليه) والذي سيحول أية محاولة من جانبك لجراح مميتة كذلك. ولكن الخطر الذي سيتنظرك حتى آخر ساعات حياتك، فهو عقاب وجزاء الحنث بالقسم، حيث يحز حلقومك إلى الأعماق فيما لو أفشيت أسرار الماسونية بصورة غير مناسبة.

أما وقد أديت القسم العظيم المقدس للماسونية، فإن باستطاعتي الآن إبلاغك بأنه يوجد هناك عدة درجات في الماسونية، ولكنها تمنح للمرشحين حسب جدارتهم وقدراتهم. لذلك فإنني سأمضي قدماً بأن أعهد إليك بأسرار هذه الدرجة، أو بتلك العلامات التي يتعرف الواحد منا على الآخر، وتمزينا عن بقية العالم، ولكن ينبغي من أجل معلوماتك العامة أن يكون معلوماً لديك، بأن كافة المثلثات وموازين البنائين، والخطوط العمودية هي إشارات صحيحة ومناسبة لتتعرف بها على الماسوني. لذلك فإن من المتوقع بأن تقف منتصب القامة تماماً، وقدماك تشكلان مثلثاً، ولذلك فإن جسمك بهذه الصورة يعتبر رمزاً لعقلك، وأقدامك باستقامتها إشارة إلى أعمالك المستقيمة التي لا عوج فيها.

إنك ستقوم الآن باتخاذ خطوة نحوي بقدمك الأيسر، واضعاً الكعب الأيمن في تجويفه. تلك هي الخطوة الأولى المنتظمة في الماسونية، وهي بهذا الوضع تعني بأن أسرار الدرجة قد تم توصيلها إنها تتألف من إشارة ورمز وكلمة.

ضع يدك في هذا الوضع بحيث يمتد الإبهام على شكل مثلث إلى يسار القصبة الهوائية. يتم إعطاء الإشارة عن طريق إفراد اليد بصورة سريعة مارة بالحنجرة ثم إنزالها إلى الجنب. (يقوم بتوضيح الإشارة عن طريق التمثيل حيث يقلده المرشح في ذلك) وهذا تلميح إلى قسمك الجزائي، الذي يعني ضمناً بأنك كرجل شريف وماسوني حقيقي، على استعداد لتقبل قطع حنجرتك عرضاً (مرة ثانية يوضح الإشارة بتمثيلها فعلاً) إذا قمت بصورة غير مناسبة بإفشاء الأسرار التي عهد بها إليك.

أما المصافحة أو الرمز فتتم بإعطاء ضغطة متميزة بالإبهام على المفصل الأول في اليد، (يبين ذلك عمليات مع المرشح) وهذا العمل، عندما يتم إعطاؤه وتلقيه بصورة منتظمة، فإنه يصلح لتمييز الأخ الماسوني في الليل وفي النهار كذلك وتتطلب هذه المصافحة أو العلامة كلمة، لها قيمتها القيمة بين الماسونيين لحارس لامتيازاتهم. لذلك فإن الحذر البالغ الشدة لا يمكن ملاحظته في نقلها، وينبغي أن لا تعطى بصورة مطولة، بل يجب القيام بها دائماً عن طريق الأحرف أو الرموز، من أجل تمكينك من فعل ما سأبلغك به أولاً ألا وهو ما هي تلك الكلمة، إنها كلمة «بوعز».

(يعيد المرشح الكلمة وراءه، ثم يهجيها الأستاذ الموقر، الأمر الذي يعيده المرشح وراءه).

الأستاذ الموقر: بما أنه في سياق المراسم تسأل عن هذه الكلمة، فإن الشماس الصغير سيملي عليك الآن الإجابات التي عليك أن تجيب بها.

المرشح: (الذي يقوم الشماس الصغير بتلقينه هذه الأجوبة) هذه مصافحة أو علامة لدخول المبتدىء في الماسونية.

الأستاذ الموقر: ماذا تتطلب؟

المرشح: كلمة.

الأستاذ الموقر: أعطني تلك الكلمة.

المرشح: لقد تعلمت لدى إدخالي في العضوية أن أكون حذراً، لذلك فإنني سأكتب حروفها أو أشاطرك فيها.

الأستاذ الموقر: بالطريقة التي تعجبك، ابدأ.

المرشح: (ما زال الشماس يلقنه) بو.

الأستاذ الموقر: عز.

المرشح: بوعز.

الأستاذ الموقر: إن هذه الكلمة مقتبسة من العمود الأول الأيسر في طريق المدخل أو مدخل هيكل الملك سليمان، الذي سمي على اسم بوعز، أبو جد داود، أمير وحاكم في إسرائيل، إن معنى الكلمة هو «بقوة» لقد نجحت، بوعز.

(يقود الشماس الصغير المرشح إلى قاعدة القيم الصغير، ويرشده كيف يذرع أرض المحفل، على الزاوية الجنوبية الشرقية .**الشماس الصغير**: (يخطو وإشارة. أيها الأخ القيم الصغير أقدم لك الأخ ايه. بي. لدى انتسابه للعضوية الماسونية).

القيم الصغير: سأكون شاكراً للأخ ايه.بي. لو تقدم مني كماسوني (يخطو المرشح ويعطي الإشارة). هل لديك شيء تود نقله لي؟

المرشح: نعم، لدي (يعطي المصافحة، يساعده في ذلك الشماس الصغير).

القيم الصغير: ما هذا؟

المرشح: المصافحة أو إعلان دخول المبتدىء في الماسونية.

القيم الصغير: ماذا تتطلب هذه المصافحة أو العلامة؟

المرشح: كلمة.

القيم الصغير: أعطني تلك الكلمة.

المرشح: لدى انتسابي إلى العضوية كنت قد تعلمت أن أكون حذراً، ولذلك فإنني سأتهجى حروفها أو أقتسمها معك.

القيم الصغير: كما يعجبك، ابدأ.

المرشح: بـ.

القيم الصغير: و.

المرشح: ع.

القيم الصغير: ز.

المرشح: بو.

القيم الصغير: عز.

المرشح: بوعز.

القيم الصغير: نجحت ـ اجتز ـ بوعز.

(يقود الشماس الصغير المرشح، يذرع المحفل من الزاوية إلى قاعدة القيم الكبير، حيث يخط ويؤدي الإشارة).

الشماس الصغير: أيها الأخ القيم الكبير، إنني أقدم لك الأخ ايه. بي. لدى انتسابه للعضوية (ينهي الإشارة).

القيم الصغير: سأكون شاكراً للأخ ايه. بي. لو تكرم بالتقدم مني كماسوني (يخطو المرشح) ما هذا؟

المرشح: الدرجة الأولى المنتظمة في الماسونية.

القيم الكبير: هل أتيت معكم بشيء آخر؟

المرشح: نعم (يعطي الإشارة).

القيم الكبير) ما هذا؟

المرشح: إشارة انتساب ماسوني مبتدىء.

القيم الكبير: إلى أي شيء تلمح؟

المرشح: إنها تشير إلى قسمي الجزائي، تعني، إنني كرجل شريف وماسوني، سأفضل أن يقطع حلقومي عرضاً (يعطي الإشارة ثانية) بدلاً من إفشاء الأسرار التي عهد بها إلي بصورة غير لائقة ولا مناسبة.

القيم الكبير: هل لديك أي شيء تنقله؟

المرشح: لدي (يعطي المصافحة).

القيم الكبير: ما هذا؟

المرشح: المصافحة أو العلامة الخاصة بانتساب ماسوني مبتدىء.

القيم الكبير: ماذا تتطلب؟

المرشح: كلمة.

القيم الكبير: أعطني تلك الكلمة.

المرشح: إنني لدى انتسابي كنت قد تعلمت أن أكون حذراً لذلك فإنني سأتهجها حرفاً حرفاً أو أشاطرك فيها.

القيم الكبير: كما تشاء، ابدأ (تقسم الكلمة بالضبط كما تم مع الأستاذ الموقر).

القيم الكبير: من أي شيء اشتقت هذه الكلمة؟

المرشح: من العامود الأيسر في رواق المدخل أو مدخل هيكل سليمان، ولذلك فقد سمي على اسم بوعز أبي جد داود، أمير وحاكم لإسرائيل.

القيم الكبير: ما معنى الكلمة؟

المرشح: بالقوة.

القيم الكبير: نجحت، اجتز. بوعز.

(يقود الشماس الصغير المرشح إلى الأستاذ الموقر في الشرق).

القيم الكبير: (بخطوة وإشارة) أيها الأستاذ الموقر، إنني أقدم لك الأخ ايه. بي. في مراسم انتسابه لينال بعض رضاك.

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الكبير، إنني أفوضك بأن تخلع عليه الشارة المميزة للماسوني.

(يقوم القيم الكبير، بمساعدة الشماس الصغير بخلع شارة أو مئزر دخول المبتدىء على المرشح. إنها مكونة من جلد حمل أبيض طاهر، بدون أية تزيينات إطلاقاً من أي نوع كان يقوم القيم الكبير برفع الزاوية اليمنى السفلى من المئزر بيده اليمنى أثناء حديثه).

القيم الكبير: أيها الأخ ايه. بي. بأمر الأستاذ الموقر، أخلع عليك الشارة المميزة للماسوني. إنها أقدم من الجزة الصوفية الذهبية والنسر الروماني. وأعلى شرفاً من أي وسام أو وشاح أو أية مرتبة أخرى في الوجود، لكونها شارة البراءة ورباط الصداقة وإنني أحثك بشدة على أن ترتديها وتنظر إليها بهذا المنظار وتضعها في الاعتبار، كما إنني أبلغك بأنك إذا لم تستهن بهذه الشارة أو تحط من شأنها هنا يقوم القيم الكبير بضرب مئزر المرشحين بيده اليمنى) فإنها سوف لا تحط من شأنك أو مقامك إطلاقاً.

الأستاذ الموقر: دعني أضيف إلى ملاحظات القيم الكبير، إنه ينبغي عليك أن لا ترتدي هذه الشارة إذا كنت على وشك القيام بزيارة محفل أنت فيه على خلاف أو تكن عداوة لأخ موجود هناك. ففي مثل هذه الحالات، من المتوقع أنك ستقوم بدعوته إلى الانسحاب، من أجل حل خلافاتكم بصورة ودية، والتي إذا تمت بصورة توحي بالسعادة والسرور، فإنك عندئذ تستطيع ارتداءها ثم تدخلوا المحفل، وتعملوا بتلك المحبة والانسجام التي ينبغي أن تميز دائماً الماسونيين. ولكن إذا كانت مع الأسف الشديد مشاكلكم ذات طبيعة غير قابلة

للتسوية والحل بصورة سهلة، فإن من الأفضل أن ينسحب أحدكما أو كلاكما بدلاً من تعكير صفو المحفل وحدوث الإزعاج فيه بسبب حضوركم.

أيها الأخ الشماس الصغير، إنك ستضع الأخ الداخل حديثاً في الجزء الشمالي الشرقي من المحفل (تم عمل ذلك، كلاهما يواجهان الجنوب).

الشماس الصغير: القدم اليسى إلى جانب المحفل والقدم اليمنى نحو المحفل، يقوم بأداء التحية للأستاذ الموقر.

الأستاذ الموقر: من المعتاد، لدى إقامة الصروح الفخمة الرسمية البالغة المهابة والروعة، أن يوضع حجر الأساس الأول في الزاوية الشمالية الشرقية من المبنى وأنت، لكونك قد أدخلت حديثاً في الماسونية، فقد وضعت في الجزء الشمالي الشرقي من المحفل، لترمز إلي وتمثل ذلك الحجر، ومن هذا الأساس الذي وضع هذا المساء، هل لك أن ترفع بناء فوقياً في أجزائه يكون كاملاً ومتقناً وجديراً باحترام البناء وتقديره.

إنك الآن تقف منتصباً، بكافة المظاهر الخارجية، كماسوني عادل مستقيم. كما إنني أوصيك بكل ما لدي من قوة أن تستمر في السير على هذا النهج.

الأستاذ الموقر: مما لا شك فيه سأقوم فوراً بوضع مبادئك، في بعض الإجراءات من أجل اختبارك، عن طريق دعوتك إلى ممارسة تلك الفضيلة التي قد يطلق عليها بحق الصفة المميزة لقلب الماسوني ـ أعني الإحسان أو البر. لا حاجة بي إلى الإسهاب في وصف امتيازات هذه الفضيلة، إذ إنه مما لا شك فيه أنك غالباً ما كنت تحس بها وتمارسها. ويكفي القول بأنها حازت على استحسان السماء والأرض، كما أنها، مثل أختها «الرحمة» تيار المعطي والمعطى إليه.

ففي جمعية واسعة الانتشار مثل الماسونية، التي تمد فروعها في كافة أرجاء الكرة الأرضية، لا يمكن إنكار أنه يوجد لدينا أعضاء كثيرون من ذوي

الوجاهة والثروة كما لا يمكن إخفاء أن هناك، من بين الآلاف المنضوين تحت راياتها (أي الماسونية) بعض الذين بسبب ظروفهم البائسة التعسة التي لا قبل لها بتجنبها، قد وقعوا في براثن أدنى مستويات البؤس والفاقة، فإن من عادتنا المتبعة إيقاظ مشاعر وأحاسيس كل أخ جديد عن طريق التشديد على بره وإحسانه على قدر ما تسمح به ظروف حياته. ولذلك فإنه مهما كانت المشاعر والأحاسيس التي تميل إليها فإن ما ستودعه لدى الشماس الصغير، سيستقبل بالشكر. والامتنان ويتم استخدامه بكل إخلاص وأمانة.

الشماس الصغير: (يقدم صحن الصدقات) هل يوجد لديك ما تدفعه لأعمال البر والإحسان؟

(يترك المرشح في نوع من الارتباك والذهول ليكون جوابه الخاص به، الأمر الذي قد يشير بكلماته الخاصة به بأن نقوده تركت وراءه في الغرفة الخارجية، وإنه لا يوجد معه شيء).

الشماس الصغير: هل جردت من كل شيء قيم في السابق لدى دخولك المحفل؟ (يترك المرشح ليجيب بالإيجاب). إذا لم تكن قد جردت من ذلك، فهل ستعطي بملء حريتك وإرادتك؟ (ومرة ثانية فإن جوابه بالإيجاب يكون متوقعاً، ولكن يجب عدم تلقينه؟

الشماس الصغير: (بخطوة وإشارة) أيها الأستاذ الموقر، إن أخانا الجديد يؤكد على أنه كان قد جرد من كل شيء قيم لدى دخوله في المحفل، وإلا فإنه كان سيدفع بسخاء.

الأستاذ الموقر: إنني أهنئك على المشاعر الشريفة النبيلة التي تدفع أعمالك، وكذلك على عدم القدرة التي منعتك في اللحظة الراهنة من عدم إشباع تلك المشاعر النبيلة، صدقني أن هذه الطقوس لم يتم القيام بها من أجل التلاعب بأحاسيسك ومشاعرك، حيث إننا بعيدين كل البعد عن القيام بمثل هذه الأفعال ولا توجد لدينا مثل هذه النوايا، بل تم القيام لأسباب خاصة ثلاثة ـ

أول، كما سبق ووعدتك، لوضع مبادئك على محك الاختبار، ثانياً لنثبت لإخوانك بأنه لا يوجد لديك أو في متناولك لا مال ولا مواد معدنية، حيث لو كان ذلك متوفر لديك، لكانت مراسيم انتسابك، في هذه الحالة، لا بد من إعادتها، ثالثاً، كتحذير لقلبك بأنه إذا وجدت في أي وقت في المستقبل أخاً ماسونياً في ظروف بائسة، يطلب ضارعاً مساعدتك وعونك، فإنك ستتذكر تلك اللحظة الخاصة المتميزة التي تم فيها إدخالك في الماسونية، حيث كنت فقيراً معدماً واعتنقك بكل غبطة وابتهاج ممارسة تلك الفضيلة التي كنت قد أقررت بأنك ستحترمها وتجلها وأنك معجب بها.

(يضع الشماس الصغير المرشح أمام الأستاذ الموقر، ويضع القيم الكبير صندوق العدة على القاعدة إذا لم تكن هذه الأدوات هناك من السابق).

الأستاذ الموقر: إنني الآن سأعرض عليك أدوات العمل الخاصة بالماسوني المبتدىء الداخل في العضوية: إنها مقياس ٢٤ إنش فهو لقياس عملنا، والمطرقة العادية فهي لطرق وإزالة العقد السطحية والزوائد بينما الأزاميل فللمزيد من الصقل وإعداد الحجر وجعله مناسباً لأيدي العامل الأكثر مهارة. ولكن بما أننا لسن كلنا بنائين محترفين، بل إننا بدلاً من ذلك أحرار ومقبولين ومتأملين، فإننا سنطبق هذه الأدوات على أخلاقنا. وبهذا المعنى، فإن مقاس ٢٤ إنش يمثل الأربع وعشرين ساعة لليوم يقضى جزء منها في الصلوات لله العلي الأعلى وجزء في العمل والراحة من الغناء، وجزء في مساعدة صديق أو أخ في وقت الحاجة، دون أي تردد لأنفسنا أو علاقاتنا. أما المطرقة العادية فتمثل قوة الضمير الذي يقوم بقمع كافة مظاهر العبث والعجب والخيلاء والأفكار غير اللائقة التي قد تبرز أثناء أي فترة من الفترات الآنفة الذكر، بحيث إن كلماتنا وأفعالنا تظل ظاهرة نقية إلى عرش ذي الجلال والإكرام. بينما يبين لنا الإزميل أو المنقاش فوائد ومزايا التعليم، والذي بواسطته فقط نصبح أعضاء مناسبين لجمعية منظمة بصورة منتظمة.

وكما تم في مراسم المساء فإنه سيطلب منك دفع بعض الرسوم لانتسابك

إلى العضوية، ولذلك فإن من المناسب أن تكون على علم بأي صلاحية أو سلطة نعمل. إن هذا هو ميثاقنا أو التفويض الذي منح لنا من المحفل العظيم في إنجلترا (يفتح ويعرض الميثاق) والذي تحت تصرفك وخاضع لفحصك في هذا المساء أو أي مساء في المستقبل. إنه كتاب الدساتير (يقدم نسخة للمرشح) وهذه قوانيننا الداخلية (يقدم نسخة) التي سيرشدك أحدهما ويعلمك الواجبات التي عليك أن تؤديها للأخوية الماسونية بصورة عامة. بينما يعلمك الثاني الواجبات التي يجب أن تؤديها إلى هذا المحفل بصورة خاصة.

أما الآن فإن لك حرية الاختلاء بنفسك، من أجل أن تعيد نفسك إلى راحتك الشخصية، ولدى عودتك إلى المحفل سألفت انتباهك إلى تكليف، مبني على امتيازات الانتساب إلى الماسونية ومؤهلات عضويتها.

(يقود الشماس الصغير المرشح إلى يسار القيم الكبير ويطلب منه أداء التحية للأستاذ الموقر كماسوني بخطوة وإشارة. ثم يتراجع المرشح ويرتدي ثيابه العادية بما في ذلك مئزره. وعندما يصبح مستعداً يقوم الحارس الخارجي بأداء طرقات الدرجة الأولى).

الحارس الداخلي: (بخطوة وإشارة) أيها الأخ القيم الصغير، يوجد تقرير.

(يعطي القيم الصغير طرقة، فيفتح الحارس الخارجي الباب).

الحارس الخارجي: إن المرشح عائد.

الحارس الداخلي: (بخطوة وإشارة) أيها الأستاذ الموقر، إن المرشح عائد.

الأستاذ الموقر: أدخله (ينهي الحارس الداخلي الإشارة، يذهب الشماس الصغير إلى الباب ويدخل المرشح آخذاً بيده. ثم يأمره مرة ثانية بأداء التحية للأستاذ الموقر كماسوني، ويقوده إلى شمال قاعدة القيم الكبير بينما يتم إعطاء التكليف ويقوم بذلك الأستاذ الموقر، أو أستاذ سابق، أو قيم.

التكليف بعد الانتساب:

أيها الأخ ايه. بي.، أما وقد اجتزت مراسم انتسابك، دعني أهنئك لكونك قبلت عضواً في مؤسساتنا القديمة الجديدة بالاحترام والتبجيل. فهي دون ريب قديمة عريقة، لأنها وجدت منذ زمن لا يمكن تذكره وهي جديرة بالاحترام ويجب الاعتراف بذلك، لأنها بميلها الطبيعي تفضي إلى جعل أولئك الذين يطيعون مفاهيمها وأفكارها، يكنون لها كل تقدير واحترام، مما لا شك فيه أنه لا يوجد هناك أي مؤسسة تستطيع أن تفخر بأساس أكثر قوة من ذلك الأساس الذي ترتكز عليه الماسونية، ألا وهو ممارسة كل فضيلة أخلاقية واجتماعية. وقد تم رفع مقامها إلى هذه المكانة البارزة بحيث إنه في كل عصر من العصور كان الملوك أنفسهم من المروجين لمبادئها ولم يروا أنه يحط من شأنهم أو ينال من مكانتهم استبدال الصولجان بالمالج كما أنهم رعوا أسرارنا ورموزنا واشتركوا في جمعياتنا.

وكماسوني، دعني أوصيك بأن تتأمل بمنتهى الجدية في كتاب القانون المقدس وتفكر فيه ملياً، كما أعهد إليك بأن تعتبره مقياساً معيارياً لا يخطىء للحقيقة والعدل وأن تنظم أفعالك بموجب المفاهيم الإلهية المقدسة الواردة فيه. ففيه ستتعلم الواجبات الهامة التي عليك أن تؤديها لله، ولجيرانك، ولنفسك. أما بالنسبة لله، بأن لا تذكر اسمه إطلاقاً إلا بكل رهبة وتجلة واحترام وتواضع المخلوق تجاه الخالق، وذلك بالتماس عونه في كل ما تقوم به من أعمال مشروعة، وبالتطلع إليه في كافة الملمات للدعم والتأييد وإراحتنا من العناء، أما بالنسبة للجار بأن تعمل معه باستقامة وأمانة، وذلك عن طريق تقديم كل ما يتطلبه العدل أو الرحمة، وتفريج كربته وتخفيف آلامه ومواساته في مصائبه وأحزانه وأن تعامله بمثل ما تحب أن يعاملك به في مثل هذه الحالات. وفيما يتعلق بنفسك، فيتم بمثل بانتهاج سبيل الحكمة والروية والنظام والعقلية تؤدي وظائفها بكامل طاقتها، وبذلك تمكنك من استخدام تلك المواهب التي حباك الله بها لتمجيد خالقك ولخير إخوانك من المخلوقات.

وكمواطن من مواطني هذا العالم فإنني آمرك بأن تكون نموذجاً يحتذى في قيامك بأداء واجباتك المدنية عن طريق الاقتراح أو الإيحاء أو تشجيع أو تأييد أي عمل قد يؤدي إلى الإخلال بأمن وسلام وحسن تنظيم المجتمع. وذلك عن طريق تقديم واجب الطاعة لقوانين أي دولة تكون في وقت من الأوقات مكان إقامتك أو توفر لك حمايتها، وفوق كل شيء، وبدون أن تفقد للحظة واحدة ولاءك وإخلاصك لمن له السيادة في بلدك ومسقط رأسك، يجب عليك أن تتذكر دائماً بأن الطبيعة قد أودعت في قلبك تعلقاً وميلاً مقدساً سرمدياً لا فكاك منه نحو تلك البلاد التي أمدتك بولادتك وطبيعتك في الطفولة والتي منها نشأت.

وكفرد عادي، دعني أوصيك بعمل كل فضيلة محلية أو عامة: دع الحكمة تقودك، والاعتدال يطهرك ويزيد العفة، والثبات والجلد يقوي عزيمتك، والعدالة هي التي توجه كافة أفعالك. كن في منتهى الاحتراس والعناية بالمحافظة على تلك المفاخر الماسونية الصحيحة التي يتحلى بها الماسوني في كامل بهائها وروعتها والتي تم إيضاحها لك بصورة دقيقة وواسعة ألا وهي فضائل البر والإحسان.

وكماسوني، لا يزال هناك امتيازات أخرى في السلوك والأخلاق ألفت انتباهك إليها بصورة خاصة وقوية. من بين أقدم هذه الفضائل السلوكية السرية، والإخلاص والطاعة. فالسرية تتكون من الولاء والالتزام الذي لا انفكاك منه بالقسم الذي أديته لدى دخولك في العضوية بأن لا تقوم إطلاقاً بإفشاء أي من تلك الأسرار الماسونية والتي عهد بها إليك الآن أو في أية فترة زمنية في المستقبل، وأن تتجنب ببالغ الحذر كافة المناسبات التي قد تؤدي إلى عكس ذلك وتقودك إلى إفشائها أو الحنث بها. أما إخلاصك فينبغي أن يتمثل في المراعاة الدقيقة لدساتير الأخوية الماسونية. وذلك عن طريق الولاء والإخلاص لمعالم الطريق العريقة التي تسير عليها المنظمة. وذلك بعدم محاولة انتزاع أو الحصول بطريقة أخرى على أسرار درجة أعلى، والامتناع عن الطلب من أي

شخص المشاركة في أسرارنا ما لم يكن لديك أسباب قوية متينة تدعوك إلى الاعتقاد بأنه بإخلاص وولاء مماثل، سوف يثبت أنه جدير بثقتك به ودليل على حسن اختيارك له. كذلك يجب أن تثبت طاعتك بالمراعاة الدقيقة لقوانيننا وأنظمتنا، بتوجيه انتباه شديد لكافة الإشارات والاستدعاءات، وبالسلوك المتواضع الصحيح في المحفل، وبالامتناع عن أي موضوع سياسي أو مناقشة دينية، وبالقبول الفوري والإذعان لكافة أنواع التصويت والاقتراع والقرارات التي يجيزها أكثرية الإخوان حسب الأصول، وبالخضوع التام للأستاذ وقيميه أثناء قيامهم بأداء الوظائف والأعمال المناطة بهم كل فيما يخصه.

وكآخر وصية عامة، دعني أحثك على أن تكرس نفسك لمثل هذه الممارسات التي سرعان ما تمكنك من الحصول على حياة محترمة مفيدة ونافعة للجنس البشري وتكون زينة للجمعية التي أصبحت اليوم عضواً فيها، كما أحثك بصورة خاصة على المزيد من دراسة مثل هذه الفنون الليبرالية والعلوم التي يمكنك التوصل إليها، وبدون إهمال الواجبات العادية اللازمة لوضعك مع محاولة تقدمات يومية في المعرفة الماسونية.

استناداً إلى الانتباه الجدير بالثناء الذي يبدو أنك منحته لهذا التكليف ولهذه الوصايا والأوامر، فإن الأمل يحدوني بأنك ستقدر كما ينبغي قيمة الماسونية وستطبع بصورة لا تنمحي في قلبك الوصايا والأوامر المقدسة للحقيقة والشرف والفضيلة.

شرح لوحة المتابعة الخاصة بالدرجة الأولى:

إن الاستخدامات والعادات المنتشرة بين الماسونيين كانت دائماً ذات صلة وثيقة بتلك التي كانت موجودة لدى المصريين القديمين، ففلاسفتهم لعدم رغبتهم في الكشف عن رموزهم وأسرارهم لعيون العامة والسوقة، صاغوا أنظمة تعليمهم وأنظمة حكمهم وسياستهم بإشارات ورموز هيروغليفية والتي كانت تنقل إلى كبار كهنتهم أو «الماجي» وحدهم، والذين كانوا ملزمين بقسم مقدس

بأن لا يفشوها ويبقوها طي الكتمان. لذلك فإن نظام فيثاغورس تم تأسيسه على مبادىء مماثلة، كما هي الحال بالنسبة لعديدين آخرين في أوقات متأخرة. ومع ذلك، فإن الماسونية ليست أقدم بل أكثر جمعية جديرة بالاحترام والتقديم سبق أن وجدت. وذلك لأنه لا يوجد هناك حرف أو رمز أو إشارة تم وضعها، إلا وهي تصلح لنقل وغرس مبادىء وقواعد الورع والتقوى والفضيلة بين كافة الأساتذة الحقيقيين الأصليين. دعني أولاً ألفت انتباهك إلى شكل المحفل، الذي هو شكل متوازي الأضلاع في الطول من الشرق إلى الغرب، وفي العرض بين الشمال والجنوب، وفي العمق من سطح الأرض إلى الوسط، بل إنه يصل في ارتفاعه إلى عنان السماء، والسبب الذي دعا محفل الماسونيين إلى أن يوصف بهذا الشكل الواسع هو لإظهار عمومية وشمولية العلم كما أن تصرفات الماسوني يجب أن لا تعرف حدوداً ما عدا حدود الحكمة والتعقل.

إن محفلنا يقوم على أساس مقدس، لأن المحفل الأول كان قد تم تقديسه على أساس ثلاث تقديمات عظيمة قوبلت بالاستحسان من الله. أولاً خضوع إبراهيم لمشيئة الله في عدم رفضه تقديم ابنه إسحاق كضحية وقربان للإحراق[1]، عندما سر العلي القدير استبداله بضحية أكثر قبولاً وانسجاماً. ثانياً، الصلوات الورعة وأدعية التقوى وابتهالات وترانيم داود التي تخفف فعلاً غضب الله ومنعت الطاعون الذي كان آنذاك منتشراً بين أفراد شعبه، بسبب إهماله إحصائهم عدداً. ثالثاً، صلوات الشكر العديدة وأنواع الطهارة والوضوء، وإحراق القرابين والأضاحي، والقرابين الباهظة الثمن التي قدمها سليمان، ملك إسرائيل لدى إنجاز وتقديس وتكريس هيكل أورشليم لخدمة الله وأداء الصلوات له، فهذه الأسس الثلاثة كانت وهي الآن، وأنا على تمام الثقة بأنها ستجعل دائماً أسس الماسونية إلهية ومقدسة.

إن محافلنا أقيمت في وضع ممتد بين الشرق والغرب لأن كافة أماكن

---

(١) لم يقدم إبراهيم عليه الصلاة والسلام ابنه للأحراق.

العبادة المقدسة وكذلك النظام الماسوني المتظم الحسنة التشكيل والتي تضم محافلنا هي بل ينبغي أن تكون بهذا الوضع: والتي خصصنا لها أسباباً ثلاثة: أولاً: الشمس مجد الله تبزغ من الشرق وتغرب في الغرب، ثانياً: العلم تأصل في الشرق ومن هناك انتشر تأثيره الحميد اللطيف إلى الغرب، أما الثالث، السبب الأخير، والذي يصعب الدخول فيه الآن لطوله، قد تم شرحه في سياق محاضرات، والتي أتمنى أن تتاح لكم فرص سماعها.

إن محافلنا تقوم على ثلاثة أعمدة كبيرة، إنها تدعي الحكمة والقوة والجمال: فالحكمة الاختراع والاستنباط، والقوة الدعم. والجمال الزينة. وعلى هذا فالحكمة لتقودنا في كافة أفعالنا والقوة لتعيننا على التغلب على كافة الصعاب التي تواجهنا، والجمال لتزيين داخل الإنسان. إن الكون هو هيكل الله الذي نعبده، والقوة والجمال تحف بعرشه كأعمدة لأعماله، وذلك لأن حكمته لا تحد، وقوته هي القوة الكلية، كما أن الجمال يشع في كافة مخلوقاته باتساق وانتظام. وقد رفع السماوات كقبة، وبسط الأرض كموطىء قدم، كما توّج هيكله بالنجوم وكأنها مرصعة باللآلىء، وبيده يبسط قوته ومجده على الكون. والشمس والقمر رسل مشيئته، كما أن كافة قوانينه متنافسة متناغمة والأعمدة الثلاثة الكبرى التي يدعم محفل الماسونيين هي رموز وإشارات صفاته الإلهية، كما أنها تمثل الملك سليمان ملك إسرائيل وحيرام ملك صور، وحيرام أبيف، فسليمان ملك إسرائيل لحكمته في بناء وإتمام وتكريس هيكل أورشليم لعبادة الله. وحيرام ملك صور لقوته لإمداده له بالرجال والمواد، وحيرام أبيف لبراعته وتملكه ناصية الدقة المصنعية في تجميل وتزيين الهيكل، ولكن بما أنه لا يوجد لدينا بناء معروف باسم الحكمة والقوة والجمال، فإننا نحيلها إلى أشهر الطرازات الثلاثة، الأيوبي والدوري والكورينثي.

أما غطاء محفل الماسونيين فهو قبة سماوية بألوان مختلفة، بل السماوات نفسها. والوسيلة التي نأمل بها، كماسونيين أن نصل إلى هناك هي السُّلم الذي يدعوه الكتاب المقدس سُلّم يعقوب. إنه مؤلف من درجات أو مراق عديدة

والتي تشير إلى الفضائل الأخلاقية العديدة، ما هي إلا المبادى الرئيسية الثلاثة: الإيمان بباني الكون العظيم، والأمل في الخلاص، وأن تكون براً بالناس كافة إنها تصل إلى عنان السماء، وتقوم على كتاب القانون المقدس، لأنه بسبب القواعد والتعاليم التي يحتويها ذلك الكتاب المقدس، فإننا تعلمنا الاعتقاد بشرائع وتعاليم العناية الإلهية ذلك الاعتقاد الذي يقوي إيماننا ويمكننا من أن نرقى الدرجة الأولى، والوعود الواردة فيه، ذلك الأمل الذي يمكننا من ارتقاء الدرجة الثانية، ولكن الدرجة الثالثة والأخيرة، لكونها البر والإحسان فهي تشمل الكل، والماسوني الذي يتحلى بهذه الفضيلة في أحلى معانيها فإنه لا محالة واصل إلى قمة إيمانه، وإذا أردنا التكلم بصورة مجازية، فإن الماسوني الأثيري محجوب عن العيون الفانية بالقبة الزرقاء المرصعة بالنجوم، والتي وصفت هنا بصورة رمزية بسبع نجوم والتي يلمح إليها على أنها الماسونيون المنتظمون، والتي بدون معرفة عددها لا يمكن لأي محفل أن يكون تاماً كاملاً، ولا يمكن لأي مرشح أن يدخل بصورة مشروعة في المنظمة.

أما داخل محفل الماسونيين فيتألف من زينات وأثاث وجواهر. فزينات المحفل هي الأرضية المبلطة، والنجمة المتلألئة، والحواف المفرضة أو المكونة من مربعات أو على شكل فسيفساء. فالسطح الفسيفسائي هو تلك الأرضية الجميلة للمحفل، والنجمة المتلألئة تتوهج بمجدها في الوسط، والحاشية المفرضة أو ذات المربعات هي الحواف الموجودة حول الأرضية. وعلى هذا فقد يعتبر السطح الفسيفسائي وبحق الأرضية الجميلة لمحفل الماسونيين، وذلك لكونها متنوعة الأشكال ومرقطة على شكل مربعات، ويشير هذا إلى تنوع الأشياء التي تجمل وتزين المخلوقات، وإلى بعث الحياة في الأجزاء غير الحية فيها. أما النجمة المتلألئة أو المجد الموجود في الوسط، فهي تحيلنا إلى الشمس التي تنير الأرض، وبتأثير اللطيف تنشر بركاتها ونعمها على الكائنات البشرية قاطبة، بينما تحيلنا الحواشي المفرضة أو الفسيفسائية وذات الأشكال المربعة إلى الكواكب، والتي بدوراتها المختلفة تشكل حواف أو حواش جميلة

حول ذلك النجم العظيم، ألا وهو الشمس، كما يفعل الآخرون حول محفل الماسونيين. ويتألف أثاث المحفل من كتاب القانون المقدس، والفرجار والمثلث، فالكتابات المقدسة هي للتنظيم والتحكم بإيماننا وعقيدتنا، وعليه يؤدي المرشح قسم الانتساب إلى الماسونية، كذلك الفرجار والمثلث عندما تجمع معاً لتنظيم حياتنا وأفعالنا. والكتاب المقدس مستمد من الله للإنسان عموماً، والفرجار يخص الأستاذ العظيم ذاته، بينما المثلث فيعود إلى أعضاء الأخوية كافة.

أما جواهر المحفل فهي ثلاث ثابتة، فالمتنقلة هي المثلث، وميزان البناء، والفادن، فالمثل كما هو معروف بين البنائين المحترفين هو لقياس أو تضبيط الزوايا القائمة في المباني، والمساعدة على تحويل المادة الخام إلى الشكل المطلوب، والميزان لوضع المستويات والتأكد من المناسيب الأفقية. والفادن لقياس وتضبيط الأجزاء القائمة والرأسية. في أثناء وضعها على قواعدها الصحيحة. كما أن من المعروف بين الماسونيين الأحرار المقبولين، أن المثلث يعلم الأخلاق والميزان يعلم المساواة، والفادن العدل والاستقامة في الحياة والأفعال. وقد دعيت جواهر متنقلة، لأنها تحمل من قبل الأستاذ والقيمين، كما أنها قابلة للتحويل والحمل من قبل من يخلفونهم في ليالي التنصيب والتعيين في المناصب. ويتميز الأستاذ بالمثلث، والقيم الكبير بالميزان، والقيم الصغير بالفادن. أما الجواهر الثابتة فهي لوحة المتابعة، والأحجار المربعة الخام والمنحوتة. أما لوحة المتابعة فهي للأستاذ ليضع عليها الخطوط ويرسم التصاميم، والحجر المربع الخام فهو للمبتدىء الداخل في العضوية ليعمل له أو يعلمه أو يفرضه، بينما الحجر المربع المنحوت التام فهو للعضو المتدرب ذي الخبرة ليقيس ويضبط الجواهر عليه. إنها تدعى جواهر ثابتة، لأنها موجودة ظاهرة للعيان وثابتة في المحفل ليقوم الإخوان بإضفاء الأخلاقية عليها.

ولما كانت لوحة المتابعة خاصة بالأستاذ ليضع عليها الخطوط ويرسم

التصاميم، فإن من الأفضل أن نمكن الإخوان من تنفيذ البناء المطلوب بانتظام ودقة وبصورة صحيحة بحيث يعتبر كتاب القانون المقدس ويحق هو لوحة المتابعة الروحية للباني العظيم للكون، والذي قد دُون فيه مثل تلك القوانين الإلهية، والمبادىء الأخلاقية التي اهتدينا إليها، والتي نتمسك بها، وأنه سيجعل منا ماسونيين أثيرين لسنا مصنوعين بأيد فانية، بل خالدين في جنان النعيم. أما الحجر المربع الخام فهو حجر خام غير منحوت كما تم أخذه من المحجر. إلى أن تتم نمذجته وتشكيله وتحويله إلى الشكل المطلوب ويصبح مناسباً للبناء المقصود.

وهذا الحجر يمثل الإنسان في طفولته أو في حالته البدائية خشناً وغير مصقول مثل ذلك الحجر، إلى أن يتم عن طريق العناية والرعاية الكريمة التي يبديها الوالدان أو الأوصياء نحوه، بإعطائه تعليماً ليبرالياً فاضلاً، جاعلاً عقله مثقفاً، ويصبح بذلك مناسباً لأن يكون عضواً في جمعية متحضرة، بينما الحجر المربع الصحيح والكامل فهو حجر في قالب أو شكل مناسب وجاهز لقياسه بالمثلث والفرجار. وهذا يمثل الإنسان وقد بلغ من الكبر عتياً، بعد أن قضى حياة منتظمة في أعمال التقوى والفضيلة، والتي لا يمكن أن تقاس أو أن تكون مقبولة إلا بمثلث كلمة الله وفرجار ضميره الذاتي المقنع البالغ الدقة.

ويوجد في كافة المحافل الدستورية المنتظمة نقطة داخل دائرة لا يمكن للإخوان الذين يدورون حولها أن يضلوا، وهذه الدائرة محصورة بين الشمال والجنوب بخطين كبيرين متوازيين، أحدهما يمثل موسى والثاني يمثل الملك سليمان. ويرتكز على الجزء العلوي لهذه الدائرة كتاب القانون المقدس، وسلم يعقوب الداعم، والذي يصل أعلاه إلى عنان السماء، والذي نحن كمطلعين على ما جاء في الكتاب المقدس، ومتمسكين بالمبادىء والتعاليم الواردة فيه مثل الخطين المتوازيين الآنفي الذكر، فإن ذلك سيدخلنا ذلك الذي لا يضلل ولا يخدع ولا يمكن أن يُخدع أن يُضلل. وفي أثناء سيرنا حول هذه الدائرة لا بد لنا بل ومن الضروري أن تمس كلاً من هذين الخطين المتوازيين، وكذلك أن نمس

الكتاب المقدس، وما دام الماسوني مبقياً على نفسه ضمن هذه الحدود، فإنه سوف لا يكون قادراً على ارتكاب الذنوب والوقع في الآثام.

أنا كملة «لويس» فتعني قوة، وقد وصفت هنا بواسطة قطع معدنية معينة عشقت في حجر، مكونة كلاباً وعندها يتم ربطها ببعض القوى الميكانيكية، مثل نظام البكرات، فإنها تمكن الماسوني العامل في التشغيل من رفع الأثقال الكبيرة إلى ارتفاعات معينة بقليل جداً من الجهد مع تثبيت هذه الأثقال في أماكنها الصحيحة، كذلك فإن «لويس» تعني ابن البنّاء وواجباته إزاء والديه تحمل حرارة وأعباء النهار، الذي ينبغي بسبب تقدم سنهم، أن يعفوا منه، وكذلك مساعدتهم في وقت الحاجة وبذلك يصيرون أواخر أيامهم ونهايات آجالهم سعيدة ومريحة، والميزة التي يحصل عليها بفعله هذا هو أن له حق الأولوية في أن يصبح ماسونياً قبل أي شحص آخر مهما علت منزلته.

ويتدلى من زوايا المحفل أربع إشارات، يقصد بها تذكيرنا بالفضائل الأربع الكبرى، وهي: الاعتدال، والجلد والحكمة والعدل. والتي هي جميعها، أبلغتنا عنها تعاليمنا التقليدية المتوارثة عن الأجيال، كانت تمارس من قبل الأكثرية الساحقة من إخواننا الأقدمين كذلك فإن الصفات المميزة للماسوني الصالح هي الفضيلة والشرف والرحمة وقد تكون موجودة دائماً وأبداً في قلب الماسوني.

مراسيم الاجتياز إلى الدرجة الثانية:

(يفتح المحفل بالدرجة الأولى ويتم فحص المرشح بالتقنيات التالية التي عليه أن يحفظها في ذاكرته بعد انتسابه للعضوية).

الأستاذ الموقر: أيها الإخوة، إن هذا المساء هو مساء اجتياز المرشح ايه. بي. إلى الدرجة الثانية، ولكن يطلب منه أولاً إثبات كفاءته في الدرجة السابقة، وعلى هذا فإنني سأتقدم بتوجيه الأسئلة الضرورية إليه: أين تم إعدادك أولاً لتكون ماسونياً؟

المرشح: في قلبي.

الأستاذ الموقر: ثم أين؟

المرشح: في غرفة مناسبة مجاورة للمحفل.

الأستاذ الموقر: صف الأسلوب الذي تم فيه إعدادك.

المرشح: لقد جردت من كافة القطع المعدنية أو النقود، ووضع غماء على عيني وعري ذراعي الأيمن وثديي الأيسر وركبتاي، ولبست في قدمي الأيمن خفاً ووضع حبل معقود حول عنقي.

الأستاذ الموقر: أي تم جعلك ماسونياً؟

المرشح: في هيئة محفل عادل وكامل ومنتظم.

الأستاذ الموقر: ومتى؟

المرشح: عندما كانت الشمس في كبد السماء.

الأستاذ الموقر: لقد جرت العادة في محافل الماسونيين في هذه البلاد أن تعقد في المساء. فكيف تعلل ما يبدو لأول وهلة لغزاً محيراً؟

المرشح: إن الأرض تدوربصورة ثابتة دائمة حول محورها في مدارها حول الشمس، وبما أن الماسونيين منتشرين في أنحائها فمن الضروري تبعاً لذلك أن تكون الشمس بصورة دائمة في أوجها وفي منتصف النهار بالنسبة للماسونية.

الأستاذ الموقر: ما هي الماسونية؟

المرشح: نظام من الأخلاق، يعلوها حجاب من الاستعارة والمجاز ويوضح عن طريق الرموز.

الأستاذ الموقر: اذكر أسماء القواعد الرئيسية التي أقيمت عليها المنظمة.

المرشح: المحبة الأخوية، والإغاثة والحقيقة.

الأستاذ الموقر: من هم الأشخاص المناسبون لأن يصبحوا ماسونيين؟

المرشح: الرجال المنصفون المستقيمون الأحرار، من ذوي الأعمال الناضجة والأحكام السليمة، والأخلاق الصارمة.

الأستاذ الموقر: كيف عرفت أنك قد أصبحت ماسونياً؟

المرشح: بانتظام انتسابي، والطقوس والاستحسانات المتكررة، والرغبة والإرادة الصادقة المتوفرة في كل الأوقات لتأدية الامتحان عندما يطلب مني حسب الأصول.

الأستاذ الموقر: كيف تثبت للآخرين أنك ماسوني؟

المرشح: بالإشارات والعلامات والمصافحات والنقاط الصحيحة لدخولي.

الأستاذ الموقر: هذه هي الأسئلة المعتادة، وسأضع أسئلة أخرى إذا رغب أي من الإخوان في ذلك. (ولكن هذا الحق قلما تمت ممارسته).

الأستاذ الموقر: هل تقسم بشرفك كرجل، وبإخلاصك وإيمانك كماسوني بأنك ستواظب بصورة ثابتة ودائمة من خلال مراسم اجتيازك إلى درجة زميل في الأخوية، على عهد بك إليك؟

المرشح: نعم، أقسم.

الأستاذ الموقر: كذلك هل تلزم نفسك، بمقتضى عقوبة قسمك، بأنك ستكتم ما سأنقله إليك بنفس الحذر الصارم مثل كافة الأسرار الأخرى في الماسونية.

المرشح: نعم، أفعل.

الأستاذ الموقر: إذن سأعهد إليك باختيار الاستحقاق والجدار، والذي هو مصافحة الاجتياز وكلمة السر التي توصل إلى الدرجة التي تسعى للدخول فيها. إن كلمة السر هذه تعطى عن طريق الضغط المباشر بالإبهام بين المفصل الأول

والثاني في اليد. وتتطلب هذه المصافحة كلمة السر التي هي «شيبوليث».

الرئيس الموقر: إن كلمة شيبوليث تعني الوفرة، ،ويعبر عنها عادة في محافلنا بواسطة سنبلة حنطة قرب شلال ماء. وينبغي عليك أن تتذكر هذه الكلمة بكل دقة وعناية، لأنه بدونها لا يسمح لك بالدخول في محفل أعلى درجة. كلمة السر ـ شيبوليث.

(يوصل الشماس الصغير المرشح إلى الباب، يأمره بأداء التحية للأستاذ الموقر كماسوني. يتراجع ليصبح مستعداً، وفي نفس الوقت يكون المحفل قد افتتح أو استأنف مراسم الدرجة الثانية. لا يتم تجريد المرشح ثانية من نقوده وقطعه المعدنية ولا يغمى ولا يوقف. يكشف عن ثديه الأيسر كما تم من قبل، ولكن الأعضاء الآخرين يتم إرجاعهم إلى الوراء، ويعرى ذراعه الأيسر وركبته اليمنى، ويلبس خفاً في قدمه اليسرى، يلبس مئزر الدرجة الأولى مع الحاشية الثلاثية مثنية إلى أعلى. وعندما يكون المرشح مستعداً يعطي الحارس الخارجي طرقات الدرجة الأولى على الباب).

الحارس الداخلي: (بخطوة وإشارة الدرجة الثانية) أيها القيم الصغير، يوجد تقرير يراد إبلاغه.

القيم الصغير: (بخطوة وإشارة) أيها الأستاذ الموقر، يوجد ما يراد إبلاغه.

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الصغير، استعلم من يريد الدخول.

القيم الصغير: (ينهي الإشارة ويفتح الباب) من يوجد لديكم هناك؟

الحارس الخارجي: الأخ ايه. بي. الذي كان قد انتسب بصورة منتظمة إلى الماسونية وحقق من التقدم ما يأمل معه بأن سيوصي بترفيعه إلى درجة زمالة في الأخوية، والذي هو الآن مستعد لمراسمها.

الحارس الداخلي: كيف يأمل في الحصول على امتيازات الدرجة الثانية؟

الحارث الخارجي: بعون الله، وبمساعدة المثلث، وبفضل كلمة السر.

الحارس الداخلي: هل لديه كلمة السر؟

الحارس الخارجي: هل ستجربه؟

(يقوم الحارس الداخلي بمد يده اليمنى ويعطيه المرشح مصافحة وكلمة السر أو الاجتياز).

الحارس الداخلي: توقف، إلى أن يبلغ الأستاذ الموقر. (يغلق الباب ويخطو ويعطي الإشارة) أيها الأستاذ الموقر، الأخ ايه. بي. الذي سبق وإن تم انتسابه إلى الماسونية وحقق من التقدم ما يأمل معه بأن يوصى بترفيعه إلى درجة زمالة الأخوية والتي تم إعداده لها حسب الأصول.

الأستاذ الموقر: إننا نعترف بصحة الوسيلة التي يسعى بواسطتها للدخول في هذه الزمالة. فهل قمت، أيها الأخ الحارس الداخلي بالتأكد من أن لديه كلمة السر؟

الحارس الداخلي: أيها الأستاذ الموقر، لقد تأكدت.

الأستاذ الموقر: إذن دعه يدخل بالشكل الواجب اتباعه (ينهي الحارس الداخلي الإشارة) أيها الإخوان الشمامسة.

(يقوم الشمامسة والحارس الداخلي باستقبال المرشح على الباب، يقوم الحارس الداخلي بوضع المثلث على صدر المرشح، ويرفعه عالياً بصورة تظهر أنه فعل ذلك، ثم يقوم الشماس الكبير المرشح إلى كرسي الركوع إلى يسار القيم الكبير، ويوجهه للتقدم كماسوني، وعندها يؤدي الخطوة وإشارة الدرجة الأولى).

الأستاذ الموقر: دع المرشح يركع، بينما نلتمس من السماء أن تغدق بركاتها على ما نحن فاعلون.

(يتبع ذلك طرقة يؤديها القيمون. يقف الإخوان بانتظام مع أداء إشارة

التوقير ويقوم الشماسون بجعل صولجاناتهم تتقاطع فوق رأس المرشح).

الأستاذ الموقر أو القسيس: يا الله الرحمن الرحيم إننا نضرع إليك لمواصلة عونك، بالأصالة عن أنفسنا وبالنيابة عن من هو راكع أمامك، لعل العمل يبدأ باسمك، ويستمر بمجدك وأن تلهمنا دائماً وأبداً الطاعة لأوامرك.

القيم الكبير: لعل الله يستجيب. (ينزل الشماسان صولجاناتهما وينهي الجميع الإشارة).

الأستاذ الموقر: دعوا المرشح ينهض.

(يسحب الشماس الكبير كرسي الركوع جانباً ويضعه في مكان أمام قاعدة الأستاذ. ثم يقود الشماس الكبير المرشح حول المحفل موجهاً له مباشرة إلى الزوايا طالباً منه أداء التحية للأستاذ كماسوني لدى مروره عبر الشرق. بعد ذلك يقوده إلى قاعدة القيم الكبير).

الشماس الكبير: تقدم إلى القيم الكير على هذا النحو، مظهراً الإشارة ومؤدياً العلامة والكلامة (يتخذ المرشح الخطوة ويؤدي الإشارة).

القيم الصغير: هل لديك ما توصله؟

المرشح: نعم. لدي (يؤدي مصافحة الدرجة الأولى).

القيم الصغير: ما هذا؟

المرشح: مصافحة أو علامة ماسوني مبتدىء داخل في العضوية.

القيم الصغير: أعطني تلك الكلمة بحرية وبصورة مطولة.

المرشح: بوعز.

القيم الصغير: بوعز (كلمة السر).

(يواصل الشماس الكبير سيره مع المرشح حول المحفل، ويتوقف أمام القيم الكبير، ويطلب من المرشح أداء التحية كماسوني كما فعل سابقاً).

الأستاذ الموقر: (يؤدي طرقة واحدة، يعيدها وراءه القيمون) سيأخذ الإخوان علماً بأن الأخ ايه. بي. الذي كان قد تم إدخاله بصورة منتظمة في الماسونية، هو على وشك أن يمر أمام أعينهم ليبين أنه هو المرشح الذي تم إعداده حسب الأصول للاجتياز إلى درجة زمالة الأخوية الماسونية، (يقود الشماس الكبير ثانية المرشح حول المحفل، طالباً منه أن يؤدي التحية للأستاذ الموقر وللقيم الصغير على التعاقب لدى مروره أمامهم. وبعد ذلك يقوده نحو يمن القيم الكبير).

الشماس الكبير: تقدم نحو القيم الكبير على هذا النحو. مظهراً العلامة وناقلاً مصافحة الاجتياز وكلمة السر التي تلقيتها سابقاً من الأستاذ الموقر لدى مغادرتك المحفل (يعطي المرشح خطوة وعلامة الدرجة الأولى وينهيها).

القيم الكبير: هل لديك ما تنقله؟

المرشح: نعم لدي (يعطي مصافحة الاجتياز).

القيم الكبير: ما هذا؟

المرشح: مصافحة الاجتياز التي تقود من الدرجة الأولى إلى الدرجة الثانية.

القيم الكبير: ماذا تتطلب مصافحة الاجتياز هذه؟

المرشح: كلمة السر.

القيم الكبير: أعطني كلمة السر تلك.

المرشح: شيبوليث.

القيم الكبير: ماذا تعني كلمة شيبوليث؟

المرشح: الوفرة.

القيم الكبير: كيف توصف عادة في محافلنا؟

المرشح: بسنبلة حنطة بالقرب من شلال ماء.

القيم الكبير: اجتز شيبوليث.

(يقود الشماس الكبير المرشح إلى يسار القيم الكبير، حيث يواجهان الشرق).

القيم الكبير: (بإشارة الإخلاص) أيها الأستاذ الموقر، أقدم إليك الأخ ايه. بي. مرشح تم إعداده حسب الأصول ليجتاز إلى الدرجة الثانية.

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الكبير، ستوجه الشماس الكبير لإصدار تعليماته إلى المرشح للتقدم نحو الشرق حسب الأسلوب الواجب اتباعه.

القيم الكبير: (ينهي الإشارة) أيها الشماس الكبير إن الأستاذ الموقر يأمر بأن تصدر تعليماتك إلى المرشح للتقدم نحو الشرق حسب الأصول.

الشماس الكبير: (يضع المرشح في الشمال) إن أسلوب التقدم من الغرب إلى الشرق في هذه الدرجة يتم بخمس خطوات، وكأنه صعود درج. ومن أجل أن تكون على علم بذلك فأقوم بأداء هذه الخطوات وستحذو حذوي فيما بعد.

(يوضح الشماس الكبير الخطوات، والتي تبدأ بالقدم اليمنى مشيرة إلى القيم الكبير، والقدم اليسرى مشيرة إلى القيم الصغير، يتقدم يخطواته بادئاً بالقدم اليسرى، رافعاً القدم وكأنه يصعد درجاً. ثم تأخذ خطوات خمس على شكل محيط ربع دائرة نحو قاعدة الأستاذ الموقر).

الأستاذ الموقر: كما هو الأمر في كل حالة فإن الدرجات في الماسونية يبقى عليها منفصلة ومتميزة، وسيطلب منك الآن أداء قسم ثان، في كثير من النواحي مماثل للسابق، فهل أنت على استعداد لأدائه؟

المرشح: إنني مستعد لأدائه.

الأستاذ الموقر: إذن ستركع على ركبتك اليمنى، وقدمك اليسرى تشكل مثلثاً، ضع يدك اليمنى على كتاب القانون المقدس، بينما ذراعك اليسرى ستكون مدعومة بزاوية المثلث (يعطي طرقة واحدة، يجيب عليها الشماسان.

يقف الإخوان إجلالاً للمنظمة بإشارة الإخلاص والولاء ويقوم الشماسون بجعل صولجاناتهم تتقاطع فوق رأس المرشح).

الأستاذ الموقر: أعد اسمك مطولاً، وقل ورائي:

= القسم =

المرشح: إنني أنا ايه. بي. في حضرة مهندس الكون العظيم وماسونيي زمالة الأخوية في هذا المحفل الموقر الجدير بالاحترام، الذي يعقد ويجتمع ويكرس بانتظام، أعلن بمحض حريتي واختياري بأنني بهذا (يلمس الأستاذ الموقر يد المرشح اليمنى بيده اليسرى) ومن الآن فصاعداً (يلمس الأستاذ الموقر الكتاب المقدس بيده اليسرى) بأنني أعد بمنتهى الإجلال والقداسة وأقسم بأنني سأكتم وأخفي ولن أبوح أو أكشف النقاب عن أي من الأسرار أو الرموز التي تخص الدرجة الثانية في الماسونية أو أذكر أسماء زملائي في الأخوية، لذلك الشخص المبتدىء، ولا لأولئك الذين لم يتلقوا التعليمات والإشارات ولا لعامة الناس في العالم والذي هم غير ماسونيين، كذلك إنني ألزم نفسي أن أعمل كماسوني حقيقي مخلص، وأجيب على الإشارات، وأطيع الاستدعاءات، وأحافظ على القواعد والمبادىء التي تلقيتها في الدرجة السابقة، وإنني أقسم بكل تقديس وإجلال أن أراعي هذه النقاط العديدة المختلفة، دون مواربة أو مراوغة أو تحفظات عقلية من أي نوع متقبلاً عقوبة في حالة إفشاء أي منها لا تقل عن شق الجانب الأيسر من صدري وانتزاع قلبي ممزقاً من داخله، وإعطائه إلى الطيور الجارحة التي تحلق في الفضاء أو حيوانات البراري المفترسة. لذلك ساعدني أيها العلي القدير وأبقني متمسكاً بشدة بقسمي المقدس هذا الذي يؤديه ماسوني زميل في الأخوية الماسونية.

الأستاذ الموقر: وكقسم أديته بإيمان وأخلاق، ولجعل هذا قسماً مقدساً، والذي قد يعتبر من ناحية أخرى مجرد وعد يسري، فإنك ستختمه بشفاهك مرتين على كتاب القانون المقدس (يفعل المرشح ذلك). إن سيرك قدماً في

الماسونية يدل عليه وضع المثلث والفرجار. فعندما تم جعلك ماسونياً مبتدئاً حديث الدخول في العضوية، كان كلا رأسي الفرجار مخفيين، أما في هذه الدرجة فأحدهما مكشوف، الأمر الذي يعني إنك الآن في منتصف طريق الماسونية، أعلى من الماسوني المبتدىء الحديث العضوية، ولكن أدنى من تلك الدرجة التي أنا الآن على تمام الثقة بأنك من الآن فصاعداً ستحصل عليها.

والآن، انهض، أيها الماسوني الزميل في الأخوية الملتزم حديثاً بهذا القسم.

الأستاذ الموقر: أما وقد أديت القسم المقدس لزمالة الأخوية الماسونية، فإنني سأتقدم بأن أعهد إليك بأسرار الدرجة. ولذلك فإنك ستتقدم نحوي وكأنك تقوم بالانتساب إلى العضوية. (يؤدي المرشح خطوة وإشارة الدرجة الأولى). إنك ستتخذ الآن خطوة قصيرة أخرى نحوي بقدمك اليسرى، واضعاً الكعب الأيمن في تجويفه كما فعلت في المرة السابقة، تلك هي الخطوة الثانية المنتظمة في الماسونية، وهي في هذا الوضع تشير إلى أن أسرار الدرجة قد تم نقلها. إنها تتألف، كما هي في الحالة السابقة، من إشارة، وعلامة (مصافحة) وكلمة مع هذا الفارق، وهو أنه في هذه الدرجة تكون الإشارة ذات طبيعة ثلاثية. فالجزء الأول من هذه الإشارة الثلاثية يدعى إشارة الإخلاص، ويؤدى عن طريق وضع اليد اليمنى على الجانب الأيسر من الصدر والإبهام ممدود على شكل مثلث يضع الأستاذ الموقر هذه الإشارات ويدعو المرشح إلى أن يقلده ذلك)، الأمر يعني بصورة رمزية إلى ضرورة حماية مستودع أسرارك ووقايته من هجمات الغادر الماكر. ويدعى الجزء الثاني إشارة التحية، أو إشارة المثابرة والدأب، وتؤدى برفع اليد اليسرى (أفقياً من الكتف إلى الكوع، وعامودياً من الكوع إلى أطراف الأصابع) ومستوى الإبهام ممدود على شكل مثلث، وقد ظهرت هذه الإشارة في الوقت الذي كان فيه جوشوا ـ يخوض معاركه في سبيل الله، حيث إنه عندما كان في هذا الموقف يضرع بحماس للعلي الأعلى إلى أن يستمر ضياء النهار، ليتمكن من التغلب على أعدائه. أما الجزء الثالث فهو إشارة الجزاء،

وتؤدى عن طريق إنزال اليد اليسرى وإمرار اليمنى بسرعة على محاذاة الصدر ثم إنزالها إلى الجنب. وتشير هذه إلى عقوبة أو جزاء قسمك، وتعني ضمناً أنك كرجل شريف وماسوني تتمتع زمالة الأخوة الماسونية ستفضل أن ينتزع قلبك ممزقاً من صدرك على أن تبوح بأسرار استودعتها. ويتم إعطاء العلامة أو المصافحة بضغطة متميزة بالإبهام على المفصل الثاني لليد (يوضحها له) وتتطلب هذه العلامة أو المصافحة كلمة، كلمة يتم أداؤها بنفس الحذر البالغ الشدة كما تم في الدرجة السابقة. أي ليس بصورة مطولة إطلاقاً بل دائماً عن طريق نطق الأحرف أو المقاطع، من أجل تمكينك من فعل ذلك، ينبغي علي أن أخبرك بأن تلك الكلمة هي «جاتشين» (يعيد الشماس الكبير الكلمة وراءه يتبعه في ذلك المرشح. ثم ينطق بها الأستاذ الموقر يتبعه في ذلك الشماس الصغير والمرشح).

ولما كان سيطلب منك في سياق هذه المراسم ذكر هذه الكلمة، فإن الشماس الكبير سيملي عليك الآن الجواب الذي عليك أن تعطيه ما هذا؟

المرشح: (يلقنه الشماس الكبير الجواب الذي عليه أن يعطيه). علامة أو مصافحة ماسوني زميل في الأخوية الماسونية.

الأستاذ الموقر: ماذا تتطلب؟

المرشح: كلمة.

الأستاذ الموقر: أعطني تلك الكلمة.

المرشح: لقد تعلمت أن أكون حذراً في هذه الدرجة وكذلك في الدرجة السابقة، ولذلك فسأنطقها بالحرف، أو أشاطرك نطقها.

الأستاذ الموقر: كما تشاء ـ ابدأ.

(يتم تقسيم الكلمة إلى نصفين بالضبط كما يتم في الدرجة الأولى).

الأستاذ الموقر: إن هذه الكلمة مستمدة من العمود الأيمن في مقدمة

مدخل أو مدخل هيكل الملك سليمان. ولذلك فقد سمي على اسم جاتشين الكاهن الأعلى المساعد الذي أشرف رسمياً على تكريسه، وتعني الكلمة يؤسس أو يقيم، وإذا ما جمعت مع تلك الموجودة في الدرجة السابقة فتعني الثبات. حيث تقول اللذة «إنني بقوة أقيم «بيتي» ليقوم بثبات ورسوخ إلى الأبد».

الأستاذ الموقر: اجتز، جاتشين.

(يقود الشماس المرشح إلى يمين القيم الصغير ويدور حول المحفل من كافة زواياه).

الشماس الكبير: (بخطوة وإشارة) أيها الأخ القيم الصغير، إنني أقدم لك الأخ ايه. بي. لكونه قد اجتاز إلى الدرجة الثانية (ينهي الإشارة).

القيم الصغير: سأكون شاكراً لك أيها الأخ ايه. بي. لو تقدم إلي كأحد رفاق الأخوية.

(يتخذ المرشح خطوة ويؤدي إشارات الدرجة الثانية) هل لديك شيء توصله؟

المرشح: نعم لدي (يؤدي المصافحة).

القيم الصغير: ما هذا؟

المرشح: مصافحة أو علامة ماسوني زميل في الأخوية.

القيم الصغير: ماذا تتطلب؟

المرشح: كلمة.

القيم الصغير: أعطني تلك الكلمة.

المرشح: لقد تعلمت في هذه الدرجة أن أكون حذراً وكذلك في الدرجة السابقة.

لذلك سأنطقها حرفاً حرفاً أو أشاطرك نطقها.

القيم الصغير: أيها تشاء ابدأ.

(وهنا يتم نطق الكلمة حرفاً حرفاً كما تتم مشاطرتها كما تم في الدرجة الأولى.

القيم الصغير: اجتز، جاتشين.

(يدور الشماس الكبير حول المحفل ويقود المرشح إلى القيم الكبير).

الشماس الكبير: (بخطوة وإشارة) أيها الأخ القيم الكبير، أقدم لك الأخ ايه بي لدى اجتيازه إلى الدرجة الثانية (ينهي الإشارة).

القيم الكبير: سأكون شاكراً أيها الأخ ايه بي، لو تقدمت إلي كزميل في الأخوية الماسونية، أولاً كمبتدىء في العضوية (يتخذ المرشح خطوة ويعطي إشارة الدرجة الأولى، ثم يتخذ الخطوة الثانية). ما هذا.

المرشح: الخطوة الثانية المنتظمة في الماسونية.

القيم الكبير: هل أحضرت شيئاً آخر؟

المرشح: نعم (يعطي إشارة الإخلاص).

القيم الكبير: ما هذا؟

المرشح: إشارة الإخلاص، لتحمي بصورة رمزية مستودع الأسرار من هجمات الغادر الماكر.

القيم الكبير: هل أحضرت معك شيئاً آخر؟

المرشح: نعم (يعطي إشارة التحية).

المرشح: إشارة التحية، أو إشارة المثابرة والدأب.

القيم الكبير: متى بدأت هذه الإشارة في الظهور إلى حيز الوجود.

المرشح: في الوقت الذي كان جوشوا يخوض فيه معركته في سبيل الله، حيث عندما كان في هذا الوضع تضرع بحماس للعلي الأعلى أن يستمر نور النهار، ليتمكن من التغلب على أعدائه.

القيم الكبير: هل أتيت بشيء آخر؟

المرشح: نعم (يعطي إشارة الجزاء).

القيم الكبير: ما هو ذلك الشيء.

المرشح: إشارة الجزاء.

القيم الكبير: إلى أي شيء تشير؟

المرشح: إن عقوبة قسمي، تعني بأنني كرجل شريف وماسوني عضو في الأخوية، سأفضل أن ينتزع قلبي ممزقاً من صدري على أن أفشي بطريقة غير مناسبة الأسرار التي عهد بها إلي.

القيم الكبير: هل لديك ما توصله؟

المرشح: نعم (يؤدي المصافحة).

القيم الكبير: ما هذا؟

المرشح: مصافحة أو إشارة ماسوني زميل في الأخوية.

القيم الكبير: ماذا تتطلب هذه الإشارة.

المرشح: كلمة.

القيم الكبير: أعطني تلك الكلمة.

المرشح: لقد تعلمت ذلك في هذه الدرجة أن أكون حذراً كما تعلمت ذلك في الدرجة السابقة. لذلك سأنطق بها حرفاً حرفاً أو أقسمها مناصفة بيني وبينك.

القيم الكبير: كما تشاء، ابدأ (هنا تقسم الكلمة إلى شطرين كما تم في الدرجة الأولى) من أين استمدت هذه الكلمة؟

المرشح: من العمود الأيمن في المدخل المسقوف أو مدخل هيكل الملك سليمان، ولذلك فقد سمي على اسم جانشين، الكاهن الأعلى المساعد الذي أشرف رسمياً على تكريسه.

القيم الكبير: ما معنى هذه الكلمة؟

المرشح: التأسيس.

القيم الكبير: فإذا ما جمعت مع كلمة الدرجة السابقة؟

المرشح: الثبات حيث قال الله: «سأقيم بكل قوة بيتي هذا ليبقى قائماً إلى الأبد».

القيم الكبير: اجتز، جاتشين (تعطي إشارة الإخلاص) أيها الأستاذ الموقر، إنني أقدم لك الأخ ايه بي، لكونه قد اجتاز إلى الدرجة الثانية لإشارة أخرى من فضلك.

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الكبير، إني أفوض في أن تخلع عليه الشارة المميزة لماسوني زميل في الأخوية الماسونية.

القيم الكبير: (ينهي الإشارة، ويخلع على المرشح مئزر عضوية الأخوية. والتي هي نفس الشيء مثل تلك الخاصة بالدرجة الأولى مع إضافة وردتين زرقاوين في الزوايا السفلى). أيها الأخ ايه. بي. بأمر الأستاذ الموقر أخلع عليك الشارة المميزة لماسوني عضو في الأخوية الماسونية لأشير بذلك إلى التقدم الذي حصلت عليه في العلم.

الأستاذ الموقر: دعني أضيف إلى ما ذكره القيم الكبير من أن الشارة التي خلعت عليك الآن يشير إلى أنك، كحرفي، يتوقف منك أن تجعل الفنون العقلية والعلوم هدف دراستك المستقبلية، بحيث تكون قادراً على أداء واجباتك بصورة أفضل كماسوني، وتقدر كل التقدير أعمال العلي القدير المدهشة. أيها الأخ الشماس، ستضع أخانا في الجزء الجنوبي الشرقي من المحفل (يقوم الشماس الكبير بعمل ما طلب منه).

الشماس الكبير: يقوم بأداء التحية للأستاذ الموقر، وقدمه اليمنى مقابل المحفل وقدمه اليسرى مقابل الجزء الشمالي الشرقي من المحفل، لإظهار أنك قد أدخلت العضوية حديثاً، وقد وضعت الآن في الجزء الجنوبي الشرقي إشارة

إلى التقدم الذي حققته في مجال العلم، إنك الآن تمثل من ناحية كافة المظاهر الخارجية عضواً ماسونياً عادلاً ومستقيماً وإنني لأوصيك بأقوى العبارات بأن تستمر دائماً في السير على هذا المنهج، كما أنني على تمام الثقة بأن معنى التكليف السابق سوف لا ولن ينمحي من ذاكرتك، وسأقنع نفسي بملاحظة ذلك، وكما سبق لك وأن أطلعت نفسك على مبادىء الحقيقة والفضيلة الأخلاقية في الدرجة الأولى، فإنه الآن مباح لك توسيع نطاق أبحاثك إلى أعماق وخفايا الطبيعة والعلم.

(يقود الشماس الكبير المرشح إلى قاعدة الأستاذ الموقر).

الأستاذ الموقر: إنني الآن أقدمك إلى وسائل عمل الزميل الماسوني، إنها عبارة عن المثلث وميزان البنّاء والفادن. أما المثلث فلقياس وتضبيط الزوايا المستقيمة والقائمة في المباني كما يساعد على تحويل المادة الخام إلى الشكل اللازم. بينما يستعمل ميزان البناء لتدقيق المستويات والتأكد من السطوح الأفقية. كما يستخدم الفادن لقياس وتضبيط القوائم لدى إقامتها على قواعدها الصحيحة المناسبة. ولكن بما أننا لسنا جميعاً بنائين محترفين، بل أقرب إلى أن نكون متأملين أحراراً ومقبولين، فإننا نطبق هذه الأدوات والوسائل على أخلاقنا. وبهذا المعنى، يعلمنا المثلث الأخلاق، والميزان والمساواة، والفادن العدالة والاستقامة في الحياة وفي الأعمال. وعلى هذا فإن بالسلوك القويم، والخطوات المستوية واستقامة وحسن النوايا، نأمل في أن تصعد إلى تلك الصروح التي ينبثق منها كل الخير والصلاح.

لك الآن حريتك في التراجع بانتظام إلى الوراء لتخلو بنفسك وتخلد إلى راحتك الشخصية، ولدى عودتك إلى المحفل سألفت انتباهك إلى شرح وتأويل اللوحة المتبعة التي ينسج على منوالها.

الشماس الكبير: يؤدي التحية للأستاذ الموقر لماسوني في الأخوية، أولاً كمبتدىء.

(يؤدي المرشح الخطوة ويعطي إشارة الدرجة الأولى. ينهيها، ويتخذ الخطوة الثانية، ويعطي إشارة الدرجة الثانية، يقوده الشماس الكبير إلى الباب، حيث يعود المرشح لارتداء ثيابه غير ناسي مئزره وعندما يصبح مستعداً، يطرق الحارس الخارجي طرقات الدرجة الثانية).

الحارس الداخلي: (بخطوة وإشارة) أيها الأخ، القيم الصغير، هناك بلاغ (يطرق القيم الصغير طرقة واحدة ويفتح الحارس الداخلي الباب).

الحارس الخارجي: المرشح في طريق عودته.

الحارس الداخلي: (يغلق الباب ويعطي خطوة وإشارة) أيها الأستاذ الموقر، إن المرشح عائد.

الأستاذ الموقر: أدخله.

(ينهي الحارس الداخلي الإشارة ويفتح الباب. يقود الشماس الكبير المرشح إلى شمال قاعدة القيم الكبير، ويواجه كلاهما الشرق، يأمر المرشح بأداء التحية كاملة، يغادر الأستاذ الموقر قاعدته ويذهب إلى لوحة المتابعة، يستعير صولجان (عصا) الشماس الصغير ليشير بها إلى التفاصيل أثناء قيامه بالشرح.

محاضرة لوحة المتابعة، الدرجة الثانية:

عندما تم بناء الهيكل في أورشليم من قبل الملك سليمان أصبحت نفاسته وضخامته موضع إعجاب الشعوب المجاورة، كما أن شهرته طبقت الآفاق في العالم المعروف آنذك. إلا أنه لم يكن هناك أي شيء في ما يتعلق بفخامته وروعته وعظمته أكثر روعة أو أكثر لفتاً للانتباه من العمودين القائمين في ردهته الأمامية أو مدخله. فذلك العمود الواقع على اليسار كان يدعى بوعز، الذي يعني القوة، والذي على اليمين جاتشين، الذي يعني التأسيس، فإذا ما جمعتا معاً أصبح المعنى الثبات والاستقرار، حيث قال الله: بعزيمة صادقة سأقيم بيتي هذا ليبقى ثابتاً راسخاً إلى الأبد. وكان ارتفاع هذين العمودين سبعة عشر ذراعاً

ونصف لكل منهما، ومحيطهما اثني عشر ذراعاً وقطرهما أربعة أذرع. وبما أنهما كانا أجوفين فإن الحافة أو القشرة الخارجية كانت أربعة إنشات أو بسماكة شبر. وكانا مصنوعين من النحاس المذاب وتم صبهما في سهول الأردن. في الأرض الطينية بين ساكوث وزيريداثا، حيث أمر الملك سليمان أن يتم صب أدواته ووسائله المقدسة هذه وقولبتها في ذلك المكان. وكان المشرف على عملية الصب والقولبة حيرام أبيف. وقد زين هذان العامودان بتاجين ارتفاع كل واحد منهما خمسة أذرع، كما تمت زخرفة التاجين بشبكة وزنابق ورمان أما الشبكة فمأخوذة تشابكها الأمر الذي يعني الوحدة والتماسك بينما الأشكال الزنبقية فمن بياضها، والرمان من وفرة حبيباته. وكان هناك صفان من الرمان في كل تاج، مع حبة في كل صف. كما زين هذان العمودان بكرتين دائرتين رسم عليهما الخرائط السماوية والأرضية للكرة الأرضية، إشارة إلى «البناء الكوني» وكانا يعتبران منتهيين تامين عندما تنصب عليهما الشبكة أو القبة.

وكان قد أقيم كتذكرة لأبناء إسرائيل تخليداً لذكرى أعمدة النار والسحاب العجيبة المعجزة، والتي كان لها تأثير مذهل وعجيب. فالنار أنارت السبل لبني إسرائيل أثناء فرارهم ونجاتهم من العبودية المصرية، والغيوم الداكنة أطبقت الظلام على فرعون وشيعته عندما حاولوا تعقبهم والظفر بهم. ولذلك فإن الملك سليمان أمر بإقامتهما على مدخل الهيكل كأنسب وأروع مكان لبني إسرائيل لتكون المناسبة السعيدة لخلاص أجدادهم أمام أعينهم بصورة مستمرة، لدى ذهابهم وإيابهم من أداء صلواتهم وعباداتهم المقدسة.

وقد عين لبناء هيكل الملك سليمان أعداد هائلة من البنائين، وكانوا يتألفون من المبتدئين وممن هم أعضاء في الأخوية المهنية. وكان المبتدئون والداخلون في المهنة حديثاً يأخذون أجورهم على شكل حنطة وخمر وزيت. بينما الزملاء المهنيون فكانت أجورهم تدفع نقداً كانوا يذهبون لاستلامها في الغرفة الوسطى في الهيكل. وكانوا يدخلون إليها عن طريق الردهة الأمامية أو المدخل المسقوف في الجهة الجنوبية. وبعد دخول إخواننا القديميين المدخل

المسقوف يصلون إلى أسفل درج ملتف، يقود إلى الغرفة الوسطى. وكان صعودهم الدرج يوقفه القيم الصغير، الذي كان يطلب منه أداء مصافحة المرور وكلمة السر أو التعريف التي توصل من الدرجة الأولى إلى الثانية.

أما مصافحة المرور أو علامة الاجتياز فهي موجودة لديكم جميعاً ولكن كلمة السر فاعتقد أنكم تتذكرونها، وهي شيبوليث، وشيبوليث تعني الوفرة، ويشار إليها هنا عن طريق سنبلة حنطة بالقرب من شلال مياه. ويرجع تاريخ أصل كلمة شيبوليث إلى الوقت الذي عبر فيه جينس الأفراميين نهر الأردن بصورة معادية «لجيفثا» القائد الجيليديشي الشهير، وكان السبب الذي تذرعوا به للقيام بهذه الزيارة المعادية هو أنهم لم يكونوا قد دعوا للمشاركة في الاحتفالات التي أقيمت تكريماً للحرب العمونية. ولكن هدفهم الحقيقي كان المشاركة في الغنائم الوفيرة التي كان جيفثا وجيشه قد غنمها نتيجة لحربه مع العمونيين. وكان الأفراميون ينظر إليهم دائماً على أنهم شعب دائم التذمر والصخب والاضطراب، ولكن ذلك الموقف انفجر فيما بعد في شكل عنف صريح وواضح، ولكن بعد ذلك صدرت عدة توبيخات ساخرة إلى الجليديين عموماً بالتهديد بتدمير قائدهم الظافر وبيته بإحراقه بالنار. أما «جيفثا» فقد حاول، من جانبه بكافة الوسائل السليمة الكيسة تخفيف عداوتهم، ولكنه لدى اكتشافه عدم جدواها التجأ إلى الإجراءات والوسائل العنيفة. ولذلك قام بقيادة جيشه وخاض معركة ضد الأفراميين، وغلبهم وأسلمهم إلى الفرار، ومن أجل أن يجعل انتصاره حاسماً ولتأمين نفسه ضد أية أضرار أو إزعاجات في المستقبل، أرسل فصائله وكتائبه لتأمين معابر نهر الأردن الذي كان يعرف أنه سيهب منها محاولاً العصيان والتمرد، من أجل استعادة أرضهم، كما أعطى حرسه أوامر صارمة بأن أي آبق أو هارب يأتي من هذه المعابر ويكون من الأفراميين، يجب أن يذبح فوراً، ولكن إذا راوغ أو أنكر أنه إفرامي، فيختبر عن طريق الطلب منه النطق بكلمة شيبوليث، لأنهم بسبب وجود عيب خاص في نطقهم ولهجتهم، لا يستطيعون نطقها بصورة صحيحة، حيث ينطقونها سيبوليث، وهذا الاختلاف الطفيف في

النطق (بين الشين والسين) يتم اكتشاف بلدهم وأصلهم ويكلفهم ذلك حياتهم، كذلك فإن الكتاب المقدس يخبرنا أنه وقع في ذلك اليوم، في ميدان المعركة وعلى ضفاف الأردن اثنان وأربعين ألف افرامي، ولما كانت كلمة شيبوليث كلمة السر والاختبار التي تميز الصديق من العدو، فإن الملك سليمان فيما بعد طلب أن تستعمل ككلمة سر لدى محفل الزملاء في الأخوية لمنع أي شخص غير مخول ولا مؤهل من صعود الدرج الملتف الذي يوصل إلى الغرفة الوسطى في المحفل.

بعد أن أعطى إخواننا السالفون تلك البراهين القاطعة للقيم الصغير قال (اجتازوا، شيبوليث) عندها مروا صاعدين الدرج، المؤلف من ثلاث، أو خمس، أو سبع درجات أو أكثر. ثلاث تحكم محفلاً وخمس تدعم محفلاً، وسبع أو أكثر تجعله كاملاً، فالثلاثة الذين يحكمون المحفل هم الأستاذ وقيماه، والذين يدعمونه ويثبتونه هم الأستاذ وقيمان وعضوان في الأخوية. أما السبعة الذين يجعلونه كاملاً تاماً فهم اثنان مبتدئان في العضوية مضافان الخمسة السابقين، فالثلاثة يحكمون محفلاً لأنه يوجد هناك فقط ثلاثة أساتذة عظام لهم حق التحكم والسيطرة على مبنى الهيكل الأول في أورشليم، وهم الملك سليمان ملك إسرائيل، وحيرام ملك صور، وحيرام أبيف. أما الخمسة الذي يدعمون ويثبتون المحفل، فهو تلميح إلى الطرازات المعمارية النبيلة الخمسة، وهي: الطراز التوسكاني، والدوري، والأيوني، والكورنيتي، والمركب. بينما سبع يجعلون المحفل كاملاً تاماً، لأن الملك سليمان قضى ما يزيد على سبعة أعوام في بناء وإتمام وتكريس الهيكل في أورشليم لخدمة الله والصلاة له. كما أنها تلميح إلى المهارات العقلية والعلمية السبع، وهي، قواعد اللغة، والبلاغة، والمنطق، والرياضيات، والهندسة، والموسيقى، والفلك.

وبعد أن احتل إخواننا السالفون ذروة الدرج الملتف ووصلوا إلى باب الغرفة الوسطى، الذي وجدوه مفتوحاً ولكنها محروسة ضد أولئك الذين ما زالوا في دور التخرج والحصول على الاجتياز لزمالة الأخوية من قبل القيم الكبير،

الذي طلب منهم الإشارة والعلامة والكلمة الخاصة بالعضوية. وبعد أن يكونوا قد أعطوه تلك البراهين المقنعة يقول: «مروا، جاتشين» ثم يعبرون إلى داخل الغرفة الوسطى للهيكل حيث يكونوا قد ذهبوا لاستلام أجورهم، دون أن تعتريهم أية شكوك أو اختلافات، فبدون شكوك لأنهم على تمام المعرفة بأنهم يأخذون حقوقهم كاملة غير منقوصة ولم تبخس أجورهم شيئاً، وبدون اختلاف بسبب الاعتماد المطلق والثقة التامة بعدالة واستقامة أصحاب الأعمال الذين يعملون لديهم.

وعندما كان إخواننا الأقدمون قد أصبحوا في الغرفة الوسطى من الهيكل فإن انتباههم كان يوجه بصورة خاصة نحو بعض الأحرف العبرية، والتي يمثلها هنا حرف «جي» (يقوم الأستاذ السابق المباشر بإعطاء طرقة واحدة يعيدها وراءه القيمان) التي تعني «الله» (يقف الجميع بإجلال للمنظمة مع أداء إشارة الاحترام) المهندس الأعظم للكون التي يجب علينا أن نطيعه ونسلم أمرنا إليه ونعبده ضارعين إليه طالبين عفوه ورحمته.

مراسم الترفيع إلى درجة الثالثة:

(يفتتح المحفل في الدرجة ويتم فحص المرشح في مبادىء العقيدة على شكل سؤال وجواب والتي من المفروض أن يكون قد حفظها عن ظهر قلب).

الأستاذ الموقر: أيها الإخوان، إن الأخ ايه بي، في هذا المساء هو مرشح للترفيع إلى الدرجة الثالثة، ولكن من المطلوب أولاً أن يعطي الأدلة والبراهين التي تثبت كفاءته في الدرجة الثانية، لذلك فإنني سأتقدم بوضع الأسئلة الضرورية. كيف كنت مستعداً للترفيع إلى الدرجة الثانية؟

المرشح: بطريقة مماثلة نوعاً ما للدرجة السابقة، ما عدا أنه في هذه الدرجة لم يوضع غماء على عيني. وكان ذراعي الأيسر، وصدري وركبتي اليمنى عارية مكشوفة كما كنت أرتدي حقاً في قدمي اليسرى.

الأستاذ الموقر: على أي شيء تم إدخالك؟

المرشح: المثلث؟

الأستاذ الموقر: ما هو المثلث؟

المرشح: زاوية تسعين درجة، أو الجزء الرابع من أجزاء الدائرة.

الأستاذ الموقر: ما هي الأشياء الخاصة بالبحث في هذه الدرجة .**المرشح**: الرموز الخفية في الطبيعة والعلم.

الأستاذ الموقر: لما كان الأمل هو أن يأخذ العامل أجره قبل أن يجف عرقه، فأين كان إخواننا الأسبقون يذهبون لاستلام أجورهم؟

المرشح: إلى داخل الغرفة الوسطى من هيكل الملك سليمان.

الأستاذ الموقر: كيف كانوا يستلمونها؟

المرشح: دون أن تراودهم أية شكوك أو اختلافات.

الأستاذ الموقر: لماذا بهذا الطريقة الخاصة المتميزة؟

المرشح: تمام المعرفة بأنهم يستحقونها وأنهم سوف لا يبخسون منها شيئاً، وبدون خلافات بسبب ثقتهم التامة في استقامة وأمانة أصحاب العمل الذين يعملون لديهم في تلك الأيام.

الأستاذ الموقر: ما هي أسماء العمودين الكبيرين الموجودين في المدخل الأمامي المسقوف أو مدخل هيكل الملك سليمان؟

المرشح: ذلك الذي على اليسار كان يدعى بوعز، والذي على اليمين جاتشين.

الأستاذ الموقر: ما هي معانيهما المستقلة والمشتركة؟

المرشح: السابق يعني القوة واللاحق التأسيس. وإذا جمعا معاً فالثبات والاستقرار، لأن الله يقول «بكل عزيمة قوية سأقيم بيتي هذا ليبقى مستقراً وثابتاً إلى الأبد».

الأستاذ الموقر: هذه هي الأسئلة المعتادة. وإنني سأضع أية أسئلة أخرى يريدها أي أخ (إلا أن هذا الحق قلما طبق).

الأستاذ الموقر: هل تقسم بشرفكم كرجل وبإيمانك وإخلاصك كعضو في الأخوية بأنك ستحافظ بثبات على ما التزمت به في قسمك الذي رفعك إلى الدرجة الرفيعة للأستاذ الماسوني؟

المرشح: نعم أقسم وأتعهد بذلك.

الأستاذ الموقر: إذن الآن سأعهد إليك باختبار الاستحقاق، والذي هو عبارة عن مصافحة الاجتياز وكلمة السر التي توصلك إلى الدرجة التي تسعى للوصول إليها والدخول في عضويتها. فكلمة الاجتياز أو العبور تتم بإعطاء ضغطة متميزة بالإبهام بين المفصل الثاني والثالث لليد، وتتطلب مصافحة الاجتياز هذه كلمة السر والتي هي «تيوبال كان» ولقد كان تيوبال كان الصانع البارع الأول في صناعة المعادن، ومعنى الكلمة الممتلكات الدنيوية أو عرض الدنيا. وينبغي عليك أن تتذكر هذه الكلمة بصورة خاصة، لأنه بدونها لا يمكنك أن تدخل في عضوية أي محفل أعلى كلمة الاجتياز «تيوبال كان».

(ويقود الشماس الكبير المرشح إلى الباب، ويأمره بأداء التحية للأستاذ الموقر بإشارات الدرجتين الأوليين، ثم يتراجع ليتم إعداده للدرجة الثالثة. يعرى الذراعان والثديان والركبتان، ويرتدي خفان على كلا القدمين ثم يلبي مئزر عضوية الأخوية، وفي نفس الوقت يفتح المحفل في الدرجة الثالثة. يضع الشمامسة لوحة على طول خط الوسط للمحفل على بعد حوالي خمسة أقدام من قاعدة الأستاذ الموقر: وقد رسم على هذه اللوحة صورة قبر مفتوح، محاط بجماجم وعظام متقاطعة. وفي قليل من المحافل يوجد شرك قبر فعلي في الأرضية. أما ممارسة استخدام تابوت فعلي فتكاد أن تكون مندثرة وإن لم تندثر تماماً. فأحياناً تستعمل إشارات فناء حقيقية أو بلاستيكية. وعندما يصبح كل شيء معداً كما ينبغي يعطى الحارس الخارجي طرقات الدرجة الثالثة.

الحارث الداخلي: (بخطوة وإشارة جزاء الدرجة الثالثة). أيها القيم الصغير، يوجد بلاغ.

القيم الصغير: (بخطوة وإشارة) أيها الأستاذ الموقر، يوجد تقرير يراد إبلاغه.

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الصغير. استعلم من يريد الدخول.

القيم الصغير: (يقطع الإشارة) أيها الحارس الداخلي، انظر من يريد الدخول.

الحارس الداخلي: (ينهي الإشارة ويفتح الباب) من لديك؟

الحارس الخارجي: الأخ ايه بي الذي كان قد أدخل في الماسونية حسب الأصول، واجتياز إلى درجة عضو في الأخوية وحقق مزيدا من التقدم (بحيث يأمل في أن يؤهله ذلك للترفيع إلى درجة الماسوني الأستاذ العليا، والتي تم إعداده لمراسيمها حسب الأصول).

الحارس الداخلي: كيف يأمل في الحصول على امتيازات الدرجة الثالثة؟

الحارث الخارجي: بعون الله والمساعدة المشتركة للمثلث والفرجار وبفائدة كلمة السر.

الحارس الداخلي: هل لديه كلمة السر؟

الحارث الخارجي: هل لك أن تجربه؟ (يمد الحارس الداخلي يده اليمنى ويستلم مصافحة الاجتياز وكلمة السر من المرشح).

الحارث الداخلي: توقف، لبينما أبلغ الأستاذ الموقر. (يغلق الباب. ويؤدي الخطوة ويعطي الإشارة) أيها الأستاذ الموقر، الأخ ايه بي، الذي كان قد انتسب إلى الماسونية حسب الأصول، واجتاز إلى درجة الزمالة في الأخوية وحقق تقدماً يأمل معه في أن يرفع لدرجة الأستاذية الماسونية الرفيعة، والتي تم إعداده لأداء مراسمها حسب الأصول.

الأستاذ الموقر: كيف يأمل في الحصول على امتيازات الدرجة الثالثة؟

الحارس الداخلي: بعون الله، والمساعدة المشتركة للمثلث والفرجار وبفضل كلمة السر.

الأستاذ الموقر: إننا نعترف بقوة المساعدة التي يسعى بواسطتها للدخول. فهل لك أيها الأخ الحارس الداخلي أن تتأكد من أن لديه كلمة السر؟

الحارس الداخلي: نعم أيها الأستاذ الموقر. لقد فعلت.

الأستاذ الموقر: إذن دعه يدخل حسب الأسلوب المتبع. أيها الإخوان الشمامسة.

(في هذه اللحظة يتم إطفاء كافة الأنوار في المحفل ما عدا الشمعة الموضوعة على قاعدة الأستاذ الموقر. يضع الشماس الصغير كرسي الركوع في موضعه المعين، ويتقدم كلا الشماسين إلى الباب. يفتحه الحارس الداخلي ويوجه رأسي الفرجار المدببين نحو صدر المرشح، ويرفع الفرجار فوق رأسه ليظهر أنه فعل ذلك. ثم يقوم الشماس الكبير بقيادة المرشح إلى كرسي الركوع).

الشماس الكبير: تقدم كعضو في الأخوية. أولاً كمبتدىء داخل في العضوية.

(يتخذ المرشح خطوة ويعطي إشارة الدرجة الأولى ثم يتخذ خطوة أخرى وإشارة الدرجة الثانية).

الأستاذ الموقر: دع المرشح يركع في الوقت الذي نتوسل إلى السماء أن تبارك ما نحن فاعلون.

(يطرق الأستاذ الموقر طرقة واحدة، يكررها وراءه القيمان ويقف الجميع مع أداء تحية الاحترام والتوقير، ويجعل الشماسون صولجاناتهم تتقاطع فوق رأس المرشح).

الأستاذ الموقر أو القسيس المسؤول: يا الله العلي الأعلى الأبدي باني وحاكم الكون، الذي إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، إننا نحن الضعفاء مخلوقات عنايتك الإلهية نتضرع إليك بذلة وخضوع أن تسبغ على المجمع المجتمع باسمك المقدس رحمتك وبركاتك ونعمك وخاصة نتوسل إليك أن تتم نعمتك على عبدك هذا، الذي يقدم نفسه كمرشح لمشاركتنا في الأسرار الخفية لماسوني أستاذ، أمنحه القوة والحصانة بحيث لا يخيب رجاه في المحن، بل أن يجتاز بأمان تحت حمايتك ورحمتك الوادي الذي يظلله الموت، لعله ينهض في النهاية من ضريح الآثام والذنوب ليشع كالنجوم دائماً وأبداً.

القيم الكبير: استجب يا الله (ينزل الشماسان صولجاناتهما وينهي الإخوان إشارتهم).

الأستاذ الموقر: دعوا المرشح ينهض. (ينهض، ثم يزال كرسي الركوع ويوضع أمام قاعدة الأستاذ الموقر. يأخذ الشماس الكبير المرشح من يده اليمنى ويبدأ بالطواف في المحفل موجهاً له بالسير على زوايا المحفل. يتم توقف أمام القاعدة الموجودة في الشرق، كما يقوم الشماس الكبير بأمر المرشح بأداء التحية للأستاذ الموقر كماسوني، ثم يتقدمان إلى قاعدة القيم الصغير في الجنوب.

الشماس الكبير: تقدم إلى القيم الصغير على النحو التالي، مؤدياً الإشارة والعلامة والكلمة.

(يتخذ المرشح الخطوة ويعطي إشارة الدرجة الأولى).

القيم الصغير: هل لديك ما تنقله؟

المرشح: نعم لدي (يعطي مصافحة الدرجة الأولى).

القيم الصغير: ما هذا؟

المرشح: مصافحة وعلامة ماسوني مبتدىء في العضوية.

القيم الصغير: ماذا تتطلب؟

المرشح: كلمة.

القيم الصغير: أعطني تلك الكلمة، بحرية وبكاملها.

المرشح: بوعز.

القيم الصغير: كلمة السر ـ بوعز.

(يواصل الشماس الكبير الطواف حول المحفل مع المرشح، ويتوقف أمام القيم الكبير الذي يطلب من المرشح أن يؤدي إليه التحية كماسوني باتخاذ خطوة وإشارة الدرجة الأولى. ويواصل الطواف حول المحفل مروراً بالزوايا ويوجه المرشح بأداء التحية للأستاذ الموقر كزميل في الأخوية، التي يؤديها بخطوة وإشارة الدرجة الثانية. وبمواصلته الطواف حول المحفل، يؤدي التحية بعد ذلك للقيم الصغير كزميل في الأخوية وللقيم الكبير مرة ثانية).

الشماس الكبير: تقدم إلى القيم الكبير على النحو التالي، ويريه الإشارة والعلامة والكلمة الخاصة بتلك الدرجة [يؤدي المرشح الخطوة والإشارة].

القيم الكبير: هل لديك ما توصله؟

المرشح: نعم لدي (يعطي المصافحة).

القيم الكبير: ما هذا؟

المرشح: مصافحة أو علامة ماسوني زميل في الأخوية.

القيم الكبير: ماذا تتطلب؟

المرشح: كلمة.

القيم الكبير: أعطني تلك الكلمة كاملة تامة.

المرشح: جاتشين.

الأستاذ الموقر: (يعطي طرقة واحدة يعيدها وراءه القيمان). الإخوان سيلاحظون أن الأخ ايه بي، الذي كان قدم انتسابه حسب الأصول إلى

الماسونية، ونجح إلى درجة زمالة الأخوية، هو على وشك المرور أمامكم، ليبين أنه المرشح الذي تم إعداده حسب الأصول للترفيع إلى الدرجة السامية للماسوني الأستاذ.

(يقود الشماس الكبير المرشح حول المحفل للمرة الثالثة، يتبعه الشماس الصغير. يتوقفون أمام قاعدة (منصة) الأستاذ الموقر، حيث يطلب الشماس الكبير من المرشح أداء التحية كزميل في الأخوية، ثم يستمروا في سيرهم نحو القيم الصغير. والذي تؤدي له نفس التحية. ثم يتقدمون نحو يمين القيم الكبير).

الشماس الكبير: تقدم نحو القيم الكبير على النحو التالي، مؤدياً إشارة الاتصال ومصافحة تلقيتها من الأستاذ الموقر سابقاً لتغادر المحفل. (يؤدي المرشح خطوة وإشارة زمالة الأخوية).

القيم الكبير: هل لديك ما تنقله؟

المرشح: نعم لدي (يعطي مصافحة الاجتياز الخاصة بالدرجة الثالثة).

القيم الكبير: ما هذا؟

المرشح: مصافحة الاجتياز التي تقوم من الدرجة الثانية إلى الدرجة الثالثة.

القيم الكبير: ماذا تتطلب مصافحة الاجتياز هذه؟

المرشح: كلمة السر.

القيم الكبير: أعطني تلك الكلمة.

المرشح: تيوبال كان.

القيم الكبير: ماذا كان تيوبال كان؟

المرشح: كان أول صانع ماهر في صناعة المعادن.

القيم الكبير: معنى الكلمة؟

المرشح: المقتنيات الدنيوية، أو عرض الدنيا الزائل.

القيم الكبير: تيوبال كان. اجتز (يتخذ القيم الكبير خطوة ويعطي الإشارة الجزائية الخاصة بالدرجة الثالثة).

أيها الأستاذ الموقر. إنني أقدم الأخ ايه بي، المرشح الذي تم إعداده حسب الأصول ليرفع إلى الدرجة الثالثة.

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الكبير، إنك ستوجه لشماسين لإبلاغ المرشح بالتقدم نحو الشرق بموجب الخطوات الصحيحة المطلوبة.

القيم الكبير: أيها الإخوة، الشماسين، بأمر الأستاذ الموقر يطلب منكم إبلاغ المرشح بالتقدم إلى الشرق بموجب الخطوات الصحيحة المطلوبة.

الشماس الكبير: إن أسلوب التقدم من الغرب إلى الشرق في هذه الدرجة يتم بسبع خطوات، الثلاث الأولى تتم وكأنها خطوة فوق قبر. ومن أجل اطلاعك على ذلك فإنني سأطبقها أمامك، ثم عليك أن تحذو حذوي (إن الأسلوب الصحيح لاتخاذ هذه الخطوات، إذا ما طبقت حرفياً، في غاية الصعوبة لتحقيقه بصورة رشيقة وجميلة، فيكفي القول بأنها تؤخذ بصورة مائلة إلى الوراء وإلى الأمام. تبدأ من الغرب أو من رأس القبر لما هو مبين في اللوحة المرسومة، ويتم اتخاذ الخطوة الأولى في اتجاه شمال شرقي. والثانية جنوب شرقي بينما الثالثة توصل المرشح إلى نهاية القبر، مواجهاً الشرق مباشرة، وبعد القيام بكل خطوة على انفراد يجمع الكعبان معاً والقدمان على شكل زاوية قائمة. أربع خطوات مشي عادي، الموصوفة في بعض المؤلفات على أنها «خطوات مشي واثقة» تؤخذ نحو الشرق مباشرة، جاعلة المرشح في مكان أمام قاعدة الأستاذ الموقر).

الأستاذ الموقر: إن لمن الإنصاف إبلاغك أن في انتظارك أكثر التجارب أهمية في استقامتك وإخلاصك وأمانتك وقسمك الأكثر قداسة ومهابة، فهل إنك على استعداد للقيام بها كما ينبغي؟

المرشح: نعم، وإنني على أتم الاستعداد لذلك.

الأستاذ الموقر: ، إذن، إنك ستركع على ركبتيك، واضعاً كلتا يديك على كتاب القانون المقدس (يفعل المرشح ذلك، يطرق الأستاذ الموقر طرقة واحدة، يتبعه في ذلك القيمون، ويقف الإخوان إجلالاً وتعظيماً مع أداء الإشارة الجزائية

للدرجة الثالثة، والشماسون يرفعون صولجاناتهم متصالبة فوق رأس المرشح).
كرر اسمك ورائي كاملاً مطولاً وقل ورائي:

= القسم =

المرشح: إنني أنا ايه. بي، في حضرة العلي القدير ومحفل الماسونيين الأساتذة الموقر والجدير بالثقة والاحترام، الذي تم تشكيله كما ينبغي، وتجميعه بصورة منتظمة وكرس حسب الأصول، أعد بمحض حريتي واختياري، بموجب هذه الوثيقة (يلمس الأستاذ الموقر يدي المرشح بيده اليسرى) وعلى هذا الكتاب (يلمس الأستاذ الموقر الكتاب المقدس بيده اليسرى) أعد وأقسم بمنتهى التقديس والإجلال بأنني سأخفي وأكتم دائماً وأن لا أفشي إطلاقاً أي من أو كل من الأسرار أو الرموز الخاصة بدرجة الماسوني الأستاذ لأي إنسان في العالم، إلا له أو لهم تعود هذه الأسرار والرموز بصورة مشروعة، ولا حتى له أو لهم إلا بعد الاختبار والتجربة اللازمة والفحص الدقيق أو الاقتناع التام بأنه أو إنهم جديرون بتلك الثقة، أو في محفل الماسونيين الأساتذة الذي افتتح حسب الأصول في المركز. لما إنني ألزم نفسي بالتمسك الشديد بمبادىء المثلث والفرجار، وأجيب وأطيع الإشارات القانونية المشروعة والاستدعاءات المرسلة إلي للحضور إلى محفل الماسونيين الأساتذة، إذا كانت ضمن طول حبل الربقة الموجودة حول عنقي، وأن لا أتذرع بأية ذريعة ما عدا المرض أو الحالات الطارئة القاهرة الخاصة بمهنتي الخاصة أو ارتباطاتي العامة.

وكذلك فإنني ألزم نفسي بالمحافظة على ودعم النقاط الخمس الخاصة بالزمالة قولاً وعملاً، بحيث إن يدي المعطاة للأستاذ الموقر ستكون الالتزام الأكيد بالأخوية، وأن أقدامي ستخوط الأخطار والصعاب ستتحد مع أقدامه وخطواته في سبيل تشكيل صف من الدفاعات المشتركة والدعم والتأييد، وأن اتجاه تأملاتي اليومية ستذكرني بحاجاته كما أوجه قلبي إلى إعانة ضعفه وتفريج كربته وتلبية حاجاته، بقدر استطاعتي دون أن أدع مجالاً لتردي نفسي أو إفساد علاقاتي. كذلك فإن صدري سيكون المستودع المقدس لأسراره عندما يعهد بها إلي ـ القتل،

والخيانة، والجناية، والجريمة وكافة المخالفات الأخرى المعارضة لقوانين الله وشرائعه وأنظمة العالم والتي هي متوقعة بصورة خاصة في كافة الأوقات.

وأخيراً، سأحافظ على شرف الماسوني الأستاذ وأتمسك به على أنه ملكي وخاصتي، كما أنني سوف لا أسيء إليه أو أؤذيه في نفسه، أو أن أتحمل عن علم، أن يؤذيه آخرون إذا كان باستطاعتي منع ذلك، بل على العكس، إنني سأصد وأقاوم بكل شجاعة وقوة بصد ومقاومة كل من يريد التشهير باسمه وسمعته، وأن أقدم أقصى غايات الاحترام لعفة وطهارة أقرب الناس وأعزهم لديه، في شخص زوجته وأخته وأولاده.

وإنني أقسم بأن أراعي كافة هذه النقاط بتقديس وإجلال، بدون مراوغة أو مواربة أو أية تحفظات عقلية من أي نوع، تحت طائلة عقوبة، بسبب إفشاء أو انتهاك أي منها، لا تقل عن أقطع إلى نصفين، وتحرق أحشائي حتى تتحول إلى رماد يذري رمادها على وجه البسيطة وتسفيها رياح السماء الأربع الرئيسية العاتية، بحيث لا يبقى أثر وما يذكر بمثل ذلك الفاسد الحقير الشرير بين الرجال وخاصة بين الماسونيين الأساتذة.

لذلك أعني يا الله العلي القدير واجعلني متمسكاً بقوة وثبات وملتزماً بقسمي المقدس هذا الخاص بالماسوني الأستاذ.

الأستاذ الموقر: كتعهد بإخلاصك وأمانتك ولجعل هذا التعهد ملزماً كقسم مقدس مهيب تراعيه بدقة طالما أنت حي، فإنك ستختمه بشفاهك ثلاث مرات على كتاب القانون المقدس (يفعل المرشح ذلك) والآن دعني ألفت انتباهك مرة ثانية إلى وضع المثلث والفرجار، عندما أدخلت مبتدئاً في العضوية، كان كلا رأس الفرجار مخفيين، وقد كشف النقاب عن واحد منهما في الدرجة الثانية، أما في هذه الدرجة فيكشف النقاب عن الكل، الأمر الذي يعني أنك الآن مطلق الحرية للعمل بكلا الرأسين لتجعل دائرة واجباتك الماسونية تامة. انهض، أيها الملتزم الماسوني مجدداً. (يخطو كل من الشماسين والمرشح راجعين إلى نهاية القبر).

أما وقد أديت القسم المقدس الخاص بالأستاذ الماسوني، فإن لك الآن حق المطالبة بإجراء آخر وأعظم اختبار، الذي بواسطته فقط يمكن إدخالك للمشاركة في أسرار هذه الدرجة. ولكن من واجبي أولاً أن ألفت انتباهك لمراجعة تلك الدرجات في الماسونية التي سبق لك وأن اجتزتها، من أن تكون قادراً بصورة أفضل على تمييز وتقدير العلاقة التي تربط منظمتنا بأكملها والاعتماد والترابط النسبي بين الأجزاء المتعددة.

إن دخولك بين الماسونيين في حالة من العوز والعجز والضعف كان تمثيلاً رمزياً لدخول كافة الأشخاص على هذا الأساس، أي إشارة إلى وجودهم الفاني. إنه يغرس في الأذهان المساواة الطبيعية والاعتماد المتبادل. إنه بالمبادىء الفعالة للبر والإحسان الكوني الشامل يعلمك أن تسعى إلى تلطيف ما يلم بك من ملمات عن طريق مد يد الغوث والعون والسلوى لإخوانك من المخلوقات في ساعة كربتهم، وفوق كل شيء، إنه يعلمك كيف تنحني بذلة وخضوع واستسلام «الباني الكون العظيم» وأن تكرس قلبك، الذي بهذه الطريقة قد تم تطهيره من كل عاطفة حقودة نزاعة للشر آثمة، وأصبح لا يتقبل إلا الحقيقة والحكمة وفصل الخطاب فقط، أن تكرسه لذي الجلال والإكرام وسعادة إخوانك الفانين.

وبسيرك قدماً وأنت لا تزال تهتدي بمبادىء الحقيقة الأخلاقية، فقد تمت قيادتك كفي الدرجة الثانية إلى تأمل القوة العقلية، وتتبعها ابتداء من تطورها عبر طرق العلوم السماوية، إلى أن تصل إلى عرش ذي الجلال والإكرام الله ذاته. إذن، لقد كانت أسرار الطبيعة ومبادىء الحقيقة العقلية قد وضعت أمام ناظريك واضحة جلية. لذلك فإنه بالنسبة لعقلك الذي تمت صياغته بهذه الصورة بواسطة الفضيلة والعلم، فإن الطبيعة تمثل درساً آخر نافعاً وعظيماً. فهي تعدك عن طريق التأمل وإمعان الفكر للساعة الختامية لوجودك، وعندما تكون عن طريق التأمل قد قادتك وهدت خطاك عبر التواءات ودروب هذه الحياة الفانية المعقدة، فإنها في النهاية ترشدك وتعلمك كيف تموت.

كذلك يا أخي، هي المواضيع والأشياء الخاصة بالدرجة الثالثة في الماسونية، إنها تدعوه إلى التأمل في هذا الموضوع الهائل وتعلمك أن تشعر، بأن الموت، بالنسبة للإنسان المنصف الفاضل، لا يوجد فيه من المخاوف ما يساوي أن توصم بالزيف وتلطخ سمعتك بالعار والشنار. وبهذه الحقيقة الكبرى نجد أن تواريخ الماسونية وسجلاتها تشكل نموذجاً يحتذى وقدوة في منتهى الروعة والسمو في الإيمان الذي لا يتزعزع والموت البالغ النبل الذي يمثله أستاذنا حيرام أبيف، الذي ذبح مباشرة قبل انتهاء العمل في هيكل الملك سليمان، والذي، كما تعلمون كان أثناء بناء الهيكل بلا شك ولا أدنى ريب، هو الباني الرئيسي.

لقد كان أسلوب موته، أيها الإخوان القيمين، على النحو التالي:

(يأتي القيمان ويقفان على جانبي المرشح، الذي يؤمر بجعل رجله اليمنى تتقاطع فوق اليسرى).

الأستاذ الموقر: لقد قام خمسة عشر زميلاً من الإخوان المهنيين البارعين من تلك الطبقة العالية الذين كانوا قد عينوا للإشراف على الباقين، عندما وجدوا أن العمل كان على وشك الانتهاء ولم يكونوا قد حصلوا على أسرار الدرجة الثالثة، قاموا بالتآمر للحصول على تلك الأسرار بأية وسيلة حتى ولو باللجوء إلى العنف، إلا أنه في اللحظة التي كانوا فيها على وشك تنفيذ مؤامرتهم، تراجع اثنا عشر عضواً من الخمسة عشر نادمين شاجبين، ولكن ثلاثة ممن هم أكثر تصميماً ووحشية ونزوعاً إلى سفك الدماء، أصروا على المضي قدماً في مؤامرتهم الآثمة التي تتسم بالعقوق وعدم التقوى، وعلى هذا فإنهم من أجل مواصلة تنفيذ خطتهم، وضعوا أنفسهم على التوالي في المداخل الشرقية والشمالية والجنوبية للهيكل. حيث كان أستاذنا قد انتصب في محرابه لأداء صلواته للعلي الأعلى كعادته في الليل البهيم في تمام الساعة الثانية عشرة. وبعد فراغه من صلواته وأدعيته حاول الرجوع عبر المدخل الجنوبي حيث عارضه أول أولئك المتوحشين والذين كان بسبب عدم توفر سلاح آخر لديه، كان قد تسلم بمسطرة الفادن. وبأسلوب تهديدي طلب أسرار ماسوني أستاذ محذراً ومنذراً أن الموت سيكون

عاقبة رفضه ولكن أستاذنا، المخلص لواجبه وقسمه، أجاب أن تلك الأسرار لا يعرفها إلا ثلاثة في العالم أجمع، وأنه بدون موافقة الاثنين الآخرين وتعاونهما لا يستطيع ولا ينبغي له أن يفشيها، ولكنه ألمح بأن مما لا يشك فيه، بالصبر والمثابرة، فإنه في الوقت المناسب سيكون من حق الماسوني الموثوق المستحق لذلك الحق المشاركة في تلك الأسرار، أما من ناحيته هو نفسه، فإنه يفضل أن يموت على أن يفشي أو يخون أمانة استودعها أو سراً عهد به إليه.

ولكن هذا الجواب أثبت أنه لم يكن مرضياً، فوجه ذلك المتوحش ضربة عنيفة إلى رأس أستاذنا، ولكن بسبب كونه كان مذهولاً بثبات وعزيمة سلوكه وقوة شخصيته، أخطأ جبهته وبقي مصوباً نظره إلى صدغه الأيمن (وهنا مس القيم الصغير صدغ المرشح الأيمن بمسطرة الفادن) ولكن بقوة جعلته يتدحرج ويخر راكعاً على ركبته اليسرى (ركع المرشح على ركبته اليسرى). توجه نحو المدخل الشمالي، حيث بادره ثاني أولئك المتوحشين القساة الغلاظ، الذي أعطاه جواباً مماثلاً دون أن يفقد أي شيء من عزيمته وقوته وثباته، وإذا بذلك الوحشي المسلح بميزان البناء يضربه ضربة عنيفة على صدغه الأيسر. (يلمس القيم الكبير الصدغ الأيسر للمرشح بالميزان) بحيث جعلته يخر على الأرض على ركبته اليمنى (وهنا ركع المرشح على ركبته اليمنى، واستعاد توازنه). ولما وجد أن تراجعه كان قد قطع في هاتين النقطتين، أخذ يترنح ممتقعاً ينزف دماً متوجهاً نحو المدخل الشرقي، حيث كان الوحشي الثالث قد اتخذ مكانه، والذي تلقى جواباً مماثلاً على طلبه المتغطرس المهين (حيث إن أستاذنا في لحظة المحنة هذه بقي محتفظاً بثباته وصدق عزيمته التي لا تتزعزع). وعندها قام هذا الوغد النذل والمسلح بمطرقة خشبية بتوجيه ضربة عنيفة إلى جبهته (وهنا، بموجب ما تتطلبه أعمال المحاكاة، قام الأستاذ الموقر بإعطاء إيماءة فقط من مقعده بذبح المرشح بالمطرقة الخشبية، وقد ذكر في بعض المؤلفات أنه يغادر مكانه ويمس جبهة المرشح) الأمر الذي يجعله ملقى على قدميه بلا حياة. (عندها يسجى القيمون المرشح في داخل القبر ــ وإذا ما دفع قدمه المتقاطعة أي دفعة منهما كانت قليلة عن مكانها الذي

تتصالب فيه مع الأخرى، فإن ذلك هو كل ما يلزم لجعله يفقد توازنه، ولذلك فإنهم بكل دقة وعناية يكون باستطاعتهم دعمه من الخلف وإنزاله بكل لطف، وقد تستخدم أحياناً بعض التحسينات من أجل رفع مستوى قداسة ومهابة هذه الفترة، حيث تدق ساعة كبيرة أو جرس اثنتي عشرة دقة، وقد يقوم أخ عازف أورغون بعزف لحن مسيرة الموتى من سفر شاؤول[1]، وفي نفس الوقت قد تتلى آية «تذكر الآن الخالق» الواردة في سفر الكهان الثاني عشر.

الأستاذ الموقر: سيلاحظ الإخوان أن المراسم السابقة وكذلك في وضعه الحالي، فإن أخانا كان قد صبر ليمثل أحد ألمع الشخصيات المسجلة في تواريخ وسجلات الماسونية، ألا وهي شخصية حيرام أبيف، الذي فقد حياته في سبيل إيمانه الذي لا يتزعزع وإخلاصه للمحافظة على الأمانة المقدسة التي عهد بها إليه، وآمل أن هذا سيترك انطباعاً لا ينمحي أبداً في أذهانكم لتنسجوا على منواله فيما إذا وقعتم في محنة مماثلة.

أيها الأخ القيم الصغير، إنك ستحاول رفع ممثل أستاذنا وذلك بواسطة مصافحة العضو المنتسب المبتدىء.

(يرفع القيم الصغير ذراع المرشح الأيمن بذراعه الأيسر، معطياً مصافحة الدرجة الأولى بيده اليمنى ويدعها تسقط، ثم ينزل ذراع المرشح مرة ثانية).

القيم الصغير: (بخطوة وإشارة) أيها الأستاذ الموقر، لقد سقطت (ينهي الإشارة).

الأستاذ الموقر: أيها الإخوان القيمان، أما وقد فشلتما كلاكما في محاولاتكما، فقد بقي هناك أسلوب ثالث ويتم ذلك بإحكام الإمساك بأوتار اليد ورفعه على النقاط الخمس للزمالة، التي سأقوم بتجربتها بالتعاون معكم.

(يعاد الأستاذ الموقر كرسيه ويتقدم نحو أقدام المرشح، التي فك

---

(١) ذكر الهيكل وتكرار ذكر الكتاب المقدس ثم تلاوة سفر شاؤول يوضح أن الماسونية حركة سريه لخدمة الصهيونية وإعادة بناء الهيكل وهو تنظيم يهودي سري.

تقاطعها. ثم يأخذ يد المرشح اليمنى بمصاحفة الدرجة الثالثة، ويضع قدمه اليمنى إزاء قدم المرشح اليمنى، ومن ثم عندما يقوم القيمان برفع المرشح، يضع ركبته اليمنى إزاء الركبة اليمنى والصدر الأيمن إزاء الصدر الأيمن، واليد اليسرى على ظهر المرشح).

الأستاذ الموقر: (وهو ما زال يمسك بالنقاط الخمس للزمالة) وبهذه الطريقة يتم ترفيع كافة الماسونيين بزملائهم السابقين فيما يقوموا به من أعمال. أيها الإخوان القيمون عودوا إلى مجالسكم.

دعوني الآن أرجوكم ملاحظة أن نور الماسوني الأستاذ هو الضياء البادي للعيان أو السر المكشوف، يصلح فقط للتعبير عن ذلك الظلام الذي يرتكز على احتمالات المستقبل. إنه ذلك القناع الرمزي الغامض الذي لا يمكن للعين البشرية أن تخترق حجبه ما يعنيها ذلك النور الآتي من الأعلى.

ومع هذا، وحتى بواسطة هذا الشعاع الوهاج، فإنك قد تدرك بأنك تقف على حافة القبر الذي كنت لتوك قد نزلت فيه بصورة رمزية والذي عندما سيكون من المحتم لهذه الحياة الانتقالية أن تنتهي، فإنه سيعود لاستقبالك ثانية في أحضانه الباردة. لذلك دعوا إشارات وأمارات الفناء الواضحة أمام أعينك تقودكم إلى تأمل مصيركم المحتوم والتفكر فيه ملياً وأن تعود نحو ذلك الشيء الذي هو أهم بكثير من كافة الدراسات الإنسانية، ألا وهو معرفة نفوسكم.

كونوا في منتهى الانتباه للقيام بالمهمة المنوطة بكم والوقت لا يزال نهاراً، استمروا في الإصغاء إلى صوت الطبيعة، الذي يحمل شاهداً على أنه حتى في هذا الإطار الفاني يكمن مبدأ حيوي خالد يلهم ثقة مقدسة بأن رب الحياة سيمكننا من أن نسحق بأقدامنا ملك الخوف، والرعب، ونرفع أبصارنا إلى نجمة الصبح البراقة اللامعة، التي يأتي ظهورها بالسلام والخلاص للمؤمنين الطائعين من بني البشر.

(يتبادل الأستاذ الموقر الأماكن مع المرشح، حيث يكون الأستاذ في الشمال يواجه الجنوب، والمرشح في الجنوب يواجه الشمال).

الأستاذ الموقر: ليس باستطاعتي أن أجد أفضل من أن أجزىء وأكافىء الاهتمام والعناية التي أبديتها نحو تلك المواعظ والنصائح وما عهد به إليك من أسرار. بأن أعهد إليك بأسرار هذه الدرجات. لذلك فإنك ستتقدم نحوي كزميل في الأخوية، أولاً كعضو مبتدى (يتخذ المرشح خطوة ويؤدي إشارة الدرجة الأولى، ثم يؤدي خطوة وإشارة الدرجة الثانية). إنك الآن ستتخذ خطوة قصيرة أخرى في تجويفة كالسابق. وتلك هي الدرجة الثالثة النظامية في الماسونية وأنه في هذا الموضع يتم نقل أسرار الدرجة إنها تتكون من إشارات ومصافحة وكلمة.

أما بالنسبة للإشارات، فإن الأولى والثانية عرضية، بينما الثالثة فجزائية. وتدعى الإشارة الأولى العريضة إشارة الرعب ويؤديها الزملاء في الأخوية. حيث يقف من يؤديها كزميل في الأخوية وذلك بإنزال اليد اليمنى إلى هذا الوضع (إلى الأسفل وكف اليد متجهة إلى الخارج وكأنه يقي العنيني من شيء على الأرض) ومع رفع اليد اليمنى (وظهر اليد للوجه لوقاية العينين) والوجه ملتفت نحو الكتف الأيمن، وكأنه أصيب بالذعر والخوف لدى رؤيته مشهداً مخيفاً مرعباً يبعث على الحزن والأسى.

أما الإشارة الثانية فتدعى إشارة التعاطف وتعطى بحني الرأس إلى الأمام، مع التربيت على الجبهة باليد اليمنى.

ضع يدك في هذا الوقع (أي، والساعد في وضع مواز للأرض، متراصف مع السرة، والكف إلى الأسفل) والإبهام ممدود على شكل مثلث (أو زاوية البناء) رأس الإبهام يمس الجسم). ولكن الإشارة على محازاة الجسم مع إنزالها إلى الجنب، والرجوع إلى وضع الإبهام في اتجاه السرة. وهذا العمل يلمح إلى عقوبة الحنث بقسمك، كما يعني أنك كرجل شريف وماسوني أستاذ تفضل أن تقطع إلى نصفين على أن تقوم بصورة غير لائقة ولا مناسبة فإفشاء الأسرار التي استودعتها (ويبين الأستاذ الموقر في كل حالة تلك الإشارات ويحذو المرشح حذوه في ذلك).

أما بالنسبة للمصافحة أو العلامة فهي أولى النقاط الخمس الخاصة بالزمالة أو العضوية. إنها يد ليد وقدم لقدم وركبة لركبة وصدر لصدر، واليد وراء الظهر. (يوضع الأستاذ الموقر بالأمثلة مع المرشح، ووحده) ويمكن أن يتم شرحها باختصار (يقوم مرة ثانية بعمل كل نقطة مع المرشح وهو يقوم بشرحها).

يداً ليد، أحييك كأخ، قدماً لقدم سأدعمك في كل عمل نبوء به كأهلك، وركبة لركبة، إن اتجاه تضرعاتي وتوسلاتي اليومية سيذكرني بحاجاتك، وصدر لصدر، تعني أن أسرارك المشروعة عندما عهد بها إلي بهذه الطريقة فإنني سأحافظ عليها على أنها أسراري الخاصة، بينما وضع اليد وراء الظهر، فتبعني أنني سأحافظ على سمعتك وصيتك في غيبتك وحضورك، إنه في هذا الوضع، وفيه فقط، وبعد ذلك بالهمس فقط، ما عدا في المحافل المفتوحة، يتم إعطاء الكلمة، إنها كلمة (ما تشابين) أو (ماتشبينا).

لك الآن مطلق الحرية في الانسحاب لتستعيد نفسك وتخلد إلى الراحة، ولدى عودتك إلى المحفل فإن الإشارة والعلامة والكلمة ستحظى بالمزيد من الشرح والتفسير.

(يقود الشماس الكبير المرشح إلى الباب، يأمره بأداء التحية للأستاذ الموقر، بالدرجات الثلاث، وبالإشارة الجزائية فقط في الدرجة الثالثة يرتدي المرشح ثيابه، غير ناس مئزر العضوية الماسونية، وتكون الإنارة قد استعيدت بصورة كاملة في المحفل. وعندما يكون المرشح على قدم الاستعداد، يطرق الحارس الخارجي طرقات الدرجة الثالثة).

الحارس الداخلي: (بخطوة وإشارة) أيها الأخ، القيم الصغير إن هناك بلاغاً، (يطرق القيم الصغير طرقة، ويفتتح الحارس الداخلي الباب).

الحارس الخارجي: إن المرشح في طريق عودته إليكم (يغلق الحارس الداخلي الباب).

الحارس الداخلي: (بخطوة وإشارة) أيها الأستاذ الموقر. إن المرشح عائد.

الأستاذ الموقر: أدخله. (يفتح الحارس الداخلي الباب، يأخذ الشماس الكبير المرشح ويقوده إلى شمال القيم الكبير).

الشماس الكبير: يؤدي التحية للأستاذ الموقر بإشارات الدرجات الثلاث (والتي يؤديها المرشح، بكامل إشاراتها).

القيم الكبير: (بخطوة وإشارة) أيها الأستاذ الموقر إنني أقدم إليك الأخ ايه. بي. لكونه قد رفع للدرجة الثالثة لينال المزيد من معروفك.

الأستاذ الموقر: أيها الأخ القيم الكبير، إنني أفوضك في أن تخلع عليه بالشارة المميزة للماسوني الأستاذ. (ينهي القيم الكبير الإشارة، ويخلع على المرشح المئزر، الذي يقوم برفع زاوية اليمنى بيده اليسرى أثناء خطابه التالي).

القيم الكبير: أيها الأخ ايه بي، بأمر الأستاذ الموقر أخلع عليك الشارة المميزة للماسوني الأستاذ لتشير إلى المزيد من التقدم الذي حققته في العلم.

الأستاذ الموقر: ينبغي أن أبين أن الشارة التي خلعت عليك الآن لا تبين فقط مرتبتك كماسوني أستاذ، بل إنها تعني تذكيرك بتلك الواجبات العظيمة التي ألزمت نفسك للتو بمراعاتها بصورة مقدسة ومهيبة، وفي الوقت الذي تمثل فيه علوك وتشير إلى ارتفاع مكانتك، فإنها تدعوك إلى القيام بمساعدة وإرشاد الإخوان ممن هم في الدرجات الأدنى مرتبة.

لقد كنا قد توقفنا في ذلك الجزء من تاريخنا التقليدي الذي يذكر موت أستاذنا حيرام أبيف. ففقد في مثل أهمية الباني الرئيسي لا يمكن إلا أن يحس به بصورة عامة وبمنتهى الأسى واللوعة. فعدم وجود تلك المخططات والتصاميم التي كانت حتى الآن توفر لمختلف طبقات الشغيلة كانت الإشارة الأولى إلى أن نكبة فاجعة قد حلت بأستاذنا ومصيبة هائلة قد ألمت به. بحيث إن أولئك الخبراء الأوائل والذين بلغوا حد الكمال في اتقان أعمالهم، أو لنتحدث بلغة مألوفة وشائعة أكثر، أن أولئك المشرفين، انتدبوا بعض أبرز أعضائهم لإطلاع الملك سليمان على مدى الارتباك والغموض والتشويش الذي أوقعهم فيه غياب حيرام أبيف، وليعبروا عن مخاوفهم من أن بعض النكبات والكوارث المميتة

المهلكة لا بد أن نعزي إلى اختفائه المفاجيء الغامض الخفي. وسرعان ما أصدر الملك سليمان أوامره بتجميع كافة الشغيلة والعاملين في كافة المصالح والإدارات الحكومية، حيث لم يعثر على ثلاثة من نفس طبقة المشرفين. وفي نفس الوقت جاء الاثنا عشر مهني ممن كانوا أصلاً قد اشتركوا في المؤامرة، ومثلوا أمام الملك سليمان وقدموا اعترافاً طوعياً بكل ما كانوا يعرفون، من البداية إلى الوقت الذي سحبوا أنفسهم فيه من عداد المتآمرين من الطبيعي أن ذلك زاد مخاوف الملك سليمان إزاء سلامة فنانه الرئيسي، ورئيس الخبراء المبدعين لديه. لذلك فقد اختار خمسة عشر شخصاً من الزملاء الحرفيين الموثوقين، وأمرهم بإجراء بحث دؤوب دقيق سعياً وراء الوصول إلى أستاذنا، وللتأكد مما إذا كان لا يزال على قيد الحياة أم أنه قضي عليه في أثناء محاولة للانتزاع منه أسرار درجته السامية الرفيعة.

بناء على ذلك، وبعد أن تحدد يوم معين لعودتهم إلى أورشليم، فقد شكلوا أنفسهم إلى ثلاثة محافل أخوية، وخرجوا من مداخل الهيكل الثلاثة للبحث عن مصيره. انقضت أيام عديدة في البحث عبثاً بل في الحقيقة أن إحدى هذه المجموعات عادت دون أن تحقق اكتشافاً ذا أهمية. إلا أن مجموعة ثانية كانت أوفر حظاً، حيث إنها في مساء أحد الأيام، بعد أن عانت أعظم أنواع الحرمان وكافة أنواع العناء والنصب الشخصي، بينما كان أحد الإخوان يحاول دعم نفسه بالاتكاء على شيء يساعده على النهوض، امسك بشجيرة نامية بالقرب منه، ولكنها لدهشته خرجت من الأرض في يده بكل يسر وسهولة. ولدى قيامه بفحص أدق لهذا الوضع وجد أن الأرض قد بعثرت في الآونة الأخير. لذلك قام بتحية زملائه وبجهودهم المشتركة أعادوا فتح الأرض حيث وجدوا جثمان أستاذنا قد دفن هناك بمنتهى المهانة وعدم التوقير. غطوه ثانية بكل تجلة واحترام، ومن أجل تمييز الموقع زرعوا غصن شجرة أكاسيا على رأس القبر.

بعد ذلك أسرعوا راجعين إلى أورشليم لنقل النبأ العاجل للملك سليمان. وعندما خفت حدة انفعالات الحزم التي اعترته لأول وهلة، أمرهم بالرجوع ونقل

جثمان أستاذنا إلى ضريح يليق بمرتبته ومواهبه الرفيعة، كما أخبرهم في نفس الوقت أنه بموته المفاجىء الذي جاء في غير وقته فإن أسرار الماسوني الأستاذ قد فقدت ولذلك أوصاهم بأن يكونوا في منتهى الانتباه والعناية ليقوموا بملاحظة أية إشارة أو علامة أو كلمة قد تحدث أثناء قيامهم بأداء واجبات الإجلال والتقدير الحزينة المعبرة عن الاحترام للفقيد الذي هو أهل لكل تقدير وإجلال.

وقد قاموا بأداء مهمتهم بمنتهى الإخلاص والإيمان، وفي أثناء إعادة حفر الأرض والكشف عما في باطنها لاحظ أحد الإخوان وهو ينظر حوله أن بعض رفاقه في هذا الوضع (أظهر الأستاذ الموقر إشارة الفزع أو الرعب) وقد أصابهم الهلع لدى رؤيتهم ذلك المشهد الرهيب الفاجع. بينما كان آخرون وهم ينظرون إلى الجرح البشع الذي ما زال واضحاً للعيان في جبهته، يضربون جباههم تعاطفاً مع آلامه وأنواع المعاناة التي عاناها. (أظهر الأستاذ الموقر إشارة التعاطف). عندها قام اثنان من الإخوان بالنزول إلى القبر وحاولا رفعه بواسطة مصافحة العضو المبتدىء في الأخوية، والتي أثبتت أنها خطيئة ثم حاولا بواسطة مصافحة أو علامة زمالة الأخوية ولكنها أثبتت فضلها أيضاً. أما وقد فشلا في كلا محاولاتهما، فإن أحد الإخوان الغيورين الخبيرين أمسك بشدة أكثر بأوتار اليد، وقام بمعاونتهم برفعه على النقاط الخمس للزمالة، بينما كان آخرون يصرخون وقد عمهم النشاط والحيوية قائلين «ماتشابين» أو «ماتشبينا» والكلمتا تحملان نفس المعنى تقريباً، فإحداهما تعني موت الباني، والأخرى تعني الباني مصاب أو ميتلي.

لذلك فإن الملك سليمان أمر بأن تلك الإشارات العريضة وتلك العلامة والكلمة، ينبغي أن تشير إلى أو تدل على كافة الماسونيين الأساتذة في الكون قاطبة، إلى أن يستعيد الوقت أو الظروف الإشارات والعلامات والكلمات الأصلية.

بقي فقط أن نروي ماذا حصل بالنسبة للمجموعة التالية، الذي كانوا واصلوا أبحاثهم وتحرياتهم في اتجاه «جوبا» والذي أثناء تفكيرهم في العودة إلى

أورشليم، إذا بهم، أثناء مرورهم أمام فوهة كهف، سمعوا أصوات نحيب عميق وأسى فاجع. ولدى دخولهم الكهف، للتأكد من سبب ذلك الحزن والأسى، وجدوا ثلاثة رجال تنطبق عليهم أوصاف الرجال الثلاثة المفقودين. الذين لدى اتهامهم بالقتل ووجدوا أن كافة سبل النجاة أو الهرب قد سدت في وجوههم أدوا اعترافاً كاملاً بذنبهم وما جنت أيديهم. عندها تم تقييدهم بالأغلال وأخذوا إلى أورشليم حيث أصدر الملك سليمان عليهم حكم الموت جزاء وفاقاً لشناعة جرمهم وهول ما ارتكبت أيديهم (أما بقية التاريخ التقليدي فقد ذكرت في لوحة المتابعة).

بعد ذلك أمر بإعادة دفن أستاذنا بالقرب من «قدس الأقداس» بموجب ما تسمح به القوانين الإسرائيلية. هناك في قبر، يمتد من الوسط ثلاثة أقدام شرقاً وثلاثة أقدام غرباً، وثلاثة أقدام بين الجنوب والشمال. وبخمسة أقدام أو أكثر عمودياً. لم يدفن في قدس الأقداس، لأنه لم يكن ليسمح لأي شيء عادي شائع أو غير طاهر أن يدفن هناك، ولا حتى الكاهن الأعلى، إلا مرة واحدة في السنة، ولا حتى في ذلك الوقت إلا القيام بالكثير من أعمال الغسل والتطهير إعداداً لذلك اليوم العظيم يوم تكفير الذنوب، لأنه بحسب القانون الإسرائيلي، تعتبر كافة أنواع اللحم غير طاهرة. وعلى هذا فإن نفس زملاء الأخوية الخمسة عشر الموثوقين أمروا بحضور الجنازة لابسين المئزر الأبيض والقفازات كشارات تدل على براءتهم.

الأستاذ الموقر: لقد سبق لكم وإن أبلغتم بأن أدوات العمل التي كان أستاذ ناقد ذبح أو قتل بها أستاذنا كانت مسطرة الفادن، وميزان البناء والمطرقة الخشبية الثقيلة، وإن أدوات زينة محفل الماسونيين الأساتذة هي المدخل المسقوف، والروشن، والرصيف أو الأرضية المربعة. فالمدخل المسقوف. فهو مدخل مقدس الأقداس، والروش هو النافذة الناتئة التي تنيره، والرصيف المربع للكاهن الأعلى ليسير عليه.

وكانت وظيفة الكاهن الأعلى أن يسير عليه. كما أن وظيفة الكاهن الأعلى

حرق البخور على شرف ومجد العلي الأعلى، والتوسل بحماس وإخلال للقوي العزيز لمنح حكمته وخيره العميم، الذي سيكون في منتهى السعادة أن يسبغ الأمن والسلام على الشعب الإسرائيلي في السنة القادمة. بينما الضريح والجمجمة والعظام التصالبة، فلكونها آيات ودلائل الفناء، فهي تلمح إلى الموت المباغت لأستاذنا حيرام أبيف. حيث كان قد قتل بعد ثلاثة آلاف عام من خلق العالم.

(وهذا ينهي شرح وتفسير لوحة المتابعة).

وفي أثناء إجراء المراسم كنتم قد أبلغتم عن الإشارات الثلاث في هذه الدرجة. وكلها مجتمعة خمسة، تقابل في العدد النقاط الخمس الخاصة بالزمالة، إنها إشارة الرعب، وإشارة التعاطف والإشارة الجزائية، وإشارة الحزن والأسى، وإشارة الفرحة والابتهاج التي تدعى أيضاً الإشارة العظيمة أو الإشارة الملكية. ومن أجل الانتظام فإنني سأقوم بأدائها أمامكم مرة ثانية، وستقوموا بأدائها على غراري.

فهذه هي إشارة الرعب، وهذه إشارة العاطف، وهذه إشارة الجزاء. وتتم إشارة الحزن والأسى عن طريق إمرار اليد اليمنى أمام الوجه وإنزالها فوق الحاجب الأيسر على شكل مثلث (أو زاوية البناء). وقد بدأت هذه الإشارة في الظهور إلى حيز الوجود في الوقت الذي كان فيه أستاذنا يتخذ سبيله من الشمال إلى مدخل الهيكل الشرقي، عندما كان كربه في عنفوانه بحيث إن تفصيد العرق وقف على شكل قطرات كبيرة على جبهته، وقد استخدم هذه الإشارة (موضحاً ومظهراً لها مرة ثانية، والمرشح يقلده في ذلك) كتفريج مؤقت عن كربته وآلامه. وهذه هي إشارة الفرح والبهجة. (ترفع الأيدي فوق الرأس والأكف متقابلة).

وقد بدأت هذه الإشارة في الظهور في الوقت الذي كان فيه الهيكل قد تم إنجازه، وذهب الملك سليمان وأفراد أسرته من الأمراء لمشاهدته حيث ذهلوا لروعته وفخامته، مما جعلهم يصرخون في وقت واحد وبعاطفة ملتهبة واحدة «ما أروعكم أيها البناؤون».

أما في القارة الأوروبية، فإن إشارة الحزن والأسى فيتم أداؤها بطريقة مختلفة، وذلك عن طريق التصفيق بالأيدي ويرفعها مع الإبقاء على ظهرها إلى الجبهة. وهم يهتفون «تعالوا لمساعدتي يا أولاد الأرملة» على افتراض أن كافة الماسونيين الأساتذة إخوان لحيرام أبيف، الذي كان ابن أرملة. أما في اسكوتلندا والولايات المتحدة الأمريكية فإن إشارة الحزن والنكبة فتؤدى بطريقة مختلفة أيضاً وذلك عن طريق التطويح بالأيدي بينما الأكف متجهة نحو السماء ثم إنزالها بثلاث حركات متميزة، إلى الجانبين، مع الهتاف «يا الله إلهي، يا الله يا إلهي، يا الله يا إلهي، ألا يوجد من يعين ابن الأرملة؟».

(يقوم المرشح بتقليد هذه الإشارات لدى أدائها).

والآن أقدم إليكم أدوات العمل الخاصة بالماسوني الأستاذ، إنها الفادن والقلم والفرجار. أما الفادن فهو أداة تقوم على محور مركزي يسحب منه خط لتحديد رقعة الأرض ولأساسات البناء المقصود، وبالقلم يمكن للفنان الماهر تخطيط المبنى على رسم أو خريطة لإرشاد وقيادة العامل. بينما يمكنه الفرجار من أن يتحقق ويقرر بكل دقة الحدود والنسب القائمة بين أجزائها. ولكن بما أننا لسنا كلنا عاملين، بل أقرب إلى أن نكون خالي الذهن ومقبولين، أو متأملين فإننا نطبق هذه الأدوات على أخلاقنا وسلوكنا.

وبهذا المعنى، فإن الفادن يشير إلى أن خطاً مستقيماً لا عوج فيه لسلوكنا قد مد لنسير عليه ممثلاً في كتاب القانون المقدس. بينما القلم فيعلمنا أن أقوالنا وأفعالنا يراقبها ويسجلها الباني العلي الأعلى الذي هو أقرب إلينا من حبل الوريد والذي علينا أن نقدم له حساباً عن سلوكنا وأعمالنا طيلة حياتنا. أما الفرجار فيذكرنا بعدالته التي لا تخطىء ولا تميل، والذي بهدايتنا النجدين، طريق الخير وطريق الشر سيجزينا الجزاء الأوفى فمن يعمل مثال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، كل حسب موقفه إزاء أوامره ووصاياه الإلهية. وهكذا فأدوات عمل الماسوني الأستاذ ينبغي أن تحفظ في الذهن. وأن نعمل بهدى قوانين خالقنا ومبدعنا الإلهي، بحيث إننا عندما يدعونا الداعي من مقرنا الدنيوي

ومكان إقامتنا الزائلة، سيصعد إلى المحفل العظيم حيث يقيم باني الكون العظيم ويبسط سلطانه إلى أبد الآبدين.

تنصيب الأستاذ الموقر:

وصف المراسم

يفتتح المحفل في الدرجة الأولى، ثم يطلب من كافة المتسبين المبتدئين الانسحاب، وبعد ذلك يفتتح المحفل في الدرجة الثانية. فالأستاذ المنتخب، والذي هو عادة القيم الكبير، ويتم ترفيعه بحسب الأقدمية، فإنه يقدم من قبل أستاذ سابق ليقوم بتنصيب الأستاذ ولما كانت العادة قد جرت بأن يقوم كل أستاذ بتنصيب خلفه فإن هذا من المحتمل أنه سيكون الأستاذ الموقر الذي انتهت فترة وظيفته.

يتلو الأستاذ الذي يقوم بعملية التنصيب قائمة من المؤهلات التي تتطلبها الوظيفة، حيث ينبغي أن يكون الأستاذ ذا سمعة حسنة، ضليعاً في الماسونية، نموذجاً يحتذى في أخلاقه وسلوكه متمسكاً بثبات بمبادئه الخ.. بعد ذلك قرأت التكاليف والواجبات القديمة عليه، حيث كان الأستاذ المنتخب يبدي موافقته عليها وإعطائها الأهمية اللائقة بها عن طريق أدائه إشارة الإخلاص والإيمان. يقوم بعد ذلك الأستاذ الذي يجري تنصيبه بأداء قسمه على الكتاب المقدس، مقسماً بأنه سيؤدي واجباته بكل أمانة وإخلاص، كما أنه سيتمسك بشدة بتعاليم وحدود المنظمة والمعالم الرئيسية في طريقها، وهذا القسم، بالمصادفة، لا يحمل في طياته أية عقوبة.

بعد ذلك يخرج الزملاء في الأخوية ثم يرفع مستوى المحفل إلى الدرجة الثالثة، التي يطلب قبل عقدها من الأساتذة الذين لم يتم تنصيبهم بعد أن ينسحبوا. حيث، مما لا شك يتم خلع أسرار الكرسي في حضور الأساتذة الذين تم تنصيبهم فقط الأمر الذي يجعل الكرسي ماسوياً لدرجة مستقلة تقريباً.

تؤدى بعد ذلك الصلوات والأدعية الخاصة بالأستاذ المنتخب ويشرح له أن هناك قسماً ثانياً مطلوب من أجل المحافظة على الأسرار وعدم إفشائها. ويتم

أداء هذا القسم وهو راكع على ركبته، ويداه موضوعتان على الكتاب المقدس، والعقوبة هي أنه على استعداد بأن تبتر يده ويلقى بها بعيداً عن كتفه حيث تزبل وتذوي ويصيبها التلف والفساد وتصبح كالرميم.

توضع أنوار الماسونية الإشارة الرمزية الكتاب المقدس، والمثلث والفرجار في مجال رؤيته وملاحظته، ثم يرفع ركوعه بإمساك الأستاذ الذي ينصبه بكلتا يديه.

ولكن الأسرار يتم خلعها عليه في سياق قطعة أخرى من التاريخ التقليدي ـ فقد كان الملك سليمان (مصحوباً أحياناً بالملكة شيبا) يقوم بزيارة الهيكل بعد إتمامه والانتهاء من إقامته، ويومىء إلى «أدونيرام» الذي خلف حيرام أبيف كبان للهيكل، أن يدنو منه. وقد أصبحت هذه هي الإشارة، حركة إيمائية باليد اليمنى ثلاثاً من الكتف والتي غالباً (بالرغم من أنه غير منطقي بل ومن المحتمل أن يكون خطأ) ما يتم إعطاؤها إلى الجنب بدلاً من الأمام. وبينما كان «أدونيرام» على وشك الركوع أمام أستاذه الملكي، إذا بالملك سليمان يمنعه من الركوع ويرفعه بمصافحة الأستاذ الذي تم تنصيبه. وهذه هي الدرجة الثالثة أو مصافحة الأسد، حيث يضع كل منهما يده اليسرى على الكتف الأيسر للآخر، مع الإبقاء على الأذرع مستقيمة. ولدى قيام الملك سليمان بفعل ذلك، قال له انهض «جيبلوم». وهذه هي كلمة الأستاذ الذي يتم تنصيبه، وتهني بناء ممتاز، وعندما كانت المجموعة الملكية على وشك الانسحاب، أدى «أدونيرام» تحية متواضعة، منحنياً ومحيياً باليد اليمنى من الجبهة ثلاثاً، وهو يخطو إلى الوراء برجله اليمنى. وهذه هي إشارة التحية.

خلع الآن على الأستاذ الجديد ياقته وجوهرته (المثلث) وأجلس على الكرسي بمصافحة وكلمة الأساتذة منصبه الذي تم تعيينهم في مناصبهم، وقدمت له المطرقة وكان أول عمل له كأستاذ هو أن يخلع على سلفه جوهرة الأستاذ السابق، يتم بعدها تحيته ثلاث (أو خمس) مرات كأستاذ تم تنصيبه.

ويختتم هذا الإجراء الأعمال الداخلية الخاصة بمراسم التنصيب كما يتم

القيام بها عادة. ومع هذا، فإن هناك نسا أو ترجمات عديدة مطولة يمكن العثور عليها في بعض المحافل، يتم فيها افتتاح واختتام هيئة الأساتذة المعينين بكامل أعضائها. كما يعطي الأستاذ المنتخب كلمة السر «بابوني». وقد تضاف عقوبة أخرى إلى القسم، تنص على قطع اللسان إلى سقف الحلق كذلك فإن التاريخ التقليدي يعطى بتفاصيل أطول. فبالإضافة إلى إشارة الإيماء وإشارة التحية، تعطى إشارات ثلاث أخرى، هي إشارة خيط الفادن (شاقول البناء) والتي تكون فيها اليد اليمنى ممدودة، وكأنها تمسك بالشاقول، وإشارة السرية (وتتم بوضع السبابة على الشفاه والإبهام متجه عمودياً من تحت الفك) والإشارة الجزائية (توضع اليد اليسرى على رسغ اليد اليمنى، ومن ثم يتم القيام بحركة وكأنها إلقاء باليد اليمنى على الكتف الأيسر). وفي هذه المراسم المطولة هناك أدوات عمل خاصة بالأساتذة المعينين الذين تم تنصيبهم وهي المالج وخيط الفادن أو الشاقول، ومخطط العمل.

فإذا استخدم هذا الأسلوب الطويل، يجب أن يتم شرحه للأستاذ المعين حديثاً وذلك لأن هذه الإشارات والكلمات الإضافية ليست إجبارية، وليست مطلوبة من الأساتذة المعينين عموماً.

وعند اختتام جلسة هيئة الأساتذة المعينين، يتم استدعاء الماسونيين الأساتذة. يقومون بالطواف حول المحفل ويحيون الأستاذ الجديد الذي يبلغون أمر تنصيبه حسب الأصول. ثم تقدم أدوات العمل الخاصة بالدرجة الثالثة وبعد ذلك بخفض المحفل إلى الدرجة الثانية، حيث تتم إعادة المراسم مع زملاء الأخوية كما تقدم أدوات عمل الدرجة الثانية. وأخيراً يعاد هذا الإجراء في الدرجة الأولى، عندما يدخل الأعضاء المبتدئون ويتم اختتام المراسم بتقلد المناصب مصحوباً بكلمات مناسبة، لموظفي المحفل من قبل الأستاذ الموقر الذي تم تنصيبه حديثاً.

الفصل الثاني

أثاث مبنى القنطرة الملكية:

إن شكل مبنى القنطرة الملكية المقدسة، كما توضحه المحاضرة الرمزية، هو من الطراز الكاتيناري (ذو المنحنيات السلسلية) أي أن القنطرة مرتكزة على المنحنى بصورة مقلوبة أو معكوسة، مشكلة من سلسلة معلقة بصورة طليقة بين دعامتين. وتقع هذه القنطرة في الشرق، بينما تتكون أحجار العقد ومرتكزاته الرئيسية، إذا أردنا الحديث بهذه الطريقة تتكون من المرتكزات الرئيسية الثلاثة، صاحب المقام الأعلى «زيروبابل» في الوسط، وصاحب المعالي «جاجاي» على يمينه، وصاحب المعالي جوشوا على يساره. وبخلاف الموظفين في الأخوية، فإنه لا يوجد لهم قواعد، حيث لا تؤدى طرقاتهم بمطرقة على لوحة إظهار الصوت، بل بأطراف صولجاناتهم على الأرضية.

زيادة على ذلك فإن القنطرة مشكلة من خمسة أعلام العلم الأوسط أبيض ويحمل شعار المسطرة التاتية داخل مثلث، بينما الأعلام الأربعة الأخرى فهي الأعلام الدليلية الخاصة بالفرق الأربعة لجيش إسرائيل، الثور (إفرام)، والرجل (روبين) على اليسار بينما النسر (دان) والأسد (جودا) على اليمين.

أما الجوانب أو الأعمدة التي تقوم عليها القنطرة مكونة من الرفاق من

الناحية الشمالية والجنوبية، وقد رفع فوقهم بصورة مرتبة اثني عشر علماً آخر أو رايات تحمل شعارات القبائل الاثني عشرة. ويختلف ترتيب هذه الأعلام بعض الاختلاف، ولكن الترتيب المعتاد (الذي يتبعه مجلس الأخوية الأعلى) فهو من الشرق إلى الغرب من الجانب الشمالي، جودة ونافتالي، وعشير، ودان، وبنيامين ومناسيح. وعلى الجانب الجنوبي، عشتار وزابولون، وروبين، وسيميون، وجاد، وإفرام أما الكاتب عزرا، السكرتير، فقد اتخذ مقعده في الجانب الشمالي، والكاتب نيحيميا، الذي له نفس واجبات الحارس الداخلي في الأخوية، فإما أن يواجهه في الشمال، أو (الأمر الذي هو أقل صحة) يتخذ مقعده في الزاوية الشمالية الغربية عند الباب. بينما يجلس المقيمون إقامة مؤقتة فيجلسون في الغرب أما الفراس الذي يقابل الحارس الخارجي فيبقى في الغرفة المقابلة خارج الباب.

ويوجد أمام المرتكزات الرئيسية «المذبح» وهو عبارة عن مكعب مزدوج مساحة سطحه العلوي حوالي أربعة عشر إلى خمسة عشر إنشاً مربعاً. وقد نقش على الواجهة الغربية للمذبح الأحرف الأولية «أس كي آي» و«أتش كي تي» و«أتش إيه بي» التي تقابل سليمان ملك إسرائيل، وحيرام ملك صور، وحيرام أبيف. (الأستاذة العظام الثلاثة) في مبنى أول هيكل، كما نقش عليها أيضاً المسطرة التائية. ويوجد على السطح العلوي للمذبح لوحة نحاسية بمثلث بارز داخل دائرة. وقد رتبت حروف نحاسية تنطق بالكلمات المقدسة، «يهوه» على الدائرة، و«جاهبول أون» على الأضلاع الثلاثة للمثلث، مع الأحرف العبرية الثلاثة ألف، بيت، والحرف الثاني عشر (آي) على الأطراف الثلاثة للمثلث. ولدى نهاية المراسم يتم تحريك هذه الأحرف والرموز ومزجها. وقبل إعلان افتتاح المحفل وفي بعض النقاط في مراسم الترفيع، يغطى المذبح بغطاء من قماش الساتان أو الأطلس الأبيض. بينما يصطف شبه شمعدانات على جوانب المذبح على شكل مثلث متساوي الساقين، ورأس المثلث يشير إلى الشرق.

ويفرد على الأرضية غطاء القنطرة وغطاء الأرضية، ويكون عادة أحد عشر

في خمسة أقدام، ومع هذا فمن المعروف في بعض الحالات أن القنطرة نفسها تكون ممثلة بقنطرة خشبية حقيقية بثلاث مرتكزات متحركة، ويوجد قماش غطاء الأرضية إلى الغرب (أمام المقيم المؤقت الرئيسي) كتاب القانون المقدس موضوعاً على حاشيته، ومفتوحاً بحيث يمكن قراءته من الغرب. وفي الناحية الشمالية من الغطاء يوجد المثلث والفرجار، وفي الجنوب السيف الملقى على المالج، وفي أقصى غرب غطاء الأرضية رتبت أدوات العمل، المجرفة على اليسار، والمخل في الوسط والمعلول على اليمين. كما رتب في الزاوية الشمالية الغربية من الغطاء حبال السلامة جنوب غرب الحلية الدُرجية. وفي قليل من الأعمال (وخاصة المحفل الأعلى) فإن الأشكال المثالية المنتظمة المشروحة في المحاضرة الرمزية ينبغي أن تعرض متراصفة على قماش الأرضية، وهي المجسمات الرباعية السطوح والثمانية السطوح، والمكعبة، والعشرونية، والاثنا عشرية، أما كرسي الركوع فقد وضع في الغرب، خارج غطاء الأرضية مباشرة.

وتتألف شعارات ورموز القنطرة الملكية الخاصة بكافة الرفاق من المئزر والوشاح والجوهرة. أما المئزر فهو من جلد الجدي الأبيض، بحواف قرمزية أورجوانية لامعة، تتدلى منها شرابات معدنية قرمزية، والمسطرة التائية في مثلث على الحاشية الثلاثية الزوايا. كذلك فإن الوشاح قرمزي أرجواني مفرض، فيلبس فوق الكتف الأيسر ويربط تحت الذراع الأيمن، والمسطرة التائية والمثلث من الذهب، وفي الطرف أهداب ذهبية، وسنأتي على وصف الجوهرة فيما بعد.

ويرتدي المسؤولون الرئيسيون الثلاثة فوق الشارات الملكية الرداء الخاص بهم: زيروبابل القرمزي، وحاجاي الأرجواني، وجوشوا الأزرق. أما المسؤولون الآخرون فيلبسون المدارع (لباس كهنوتي أبيض) وللرئيسيين صولجانات بشارات مميزة، تاج لزيروبابل، والعين التي ترى كل شيء لحاجاي والمقياس لجوشوا. أما الموظفون في القنطرة الملكية، مثل أولئك الزملاء في الأخوية، فيرتدون جواهر مميزة لوظائفهم تتدلى من ياقاتهم.

إشارات وعلامات القنطرة الملكية:

هناك خمس إشارات في القنطرة الملكية. ومع ذلك فإن انعدام الانسجام والتناسق والذي هو أكثر مما موجود في محف الزمالة أو الأخوية، يجعل من الصعب وصفها بصورة دقيقة ومفصلة. ويقر بذلك ماسونيو القنطرة الملكية أنفسهم فقد كتب نيافة الأب أف دي بي كاستيل، على سبيل المثال، يقول: «إن لدينا شعوراً قوياً بأنه إذا لم يقيم المحفل العظيم الأعلى باستعادة المراسم القديمة، فينبغي على الأقل توحيد الإشارات وجعلها معيارية، بحيث يمكن أن تؤدى بنفس الطريقة في كل مكان». فقد ذكر في كتابه «التحليل التاريخي لطقوس القنطرة الملكية المقدسة.

١ ـ الإشارة الجزائية:

وهذه الإشارة ماثلة للإشارة الجزائية للمكتسب المبتدىء، وتتم فقط بوضع اليد اليسرى على الحنجرة. فمبوجب استخدامات المحفل الأعلى الخاص بالتحسين الذي يعلن أن الإبهام ينبغي إطلاقاً أن يكون ظاهراً للعيان في أية إشارة قنطرة ملكية، فإن الإبهام لا ينبغي أن يمد. ولدى إنهاء الإشارة لا تسحب اليد إلى محاذاة الحنجرة، بل تنزل مباشرة إلى الجنب. وأحياناً، ولكن أقل ضجة، فإن اليد اليسرى توضع وراء العنق بدلاً من هذه الإشارة.

٢ ـ إشارة الاحترام أو التحية:

الرأس منكس قليلاً، واليد اليسرى مرفوعة إلى الجبهة ليقي العينين مثل حافة القبعة الناتئة. ومن الشائع (ولكن ربما يكون مرة ثانية أقل صحة) أن تكون الجبهة بين الإبهام الممدود والسبابة. ثم في حركة ثانية ترفع اليد اليمنى إلى الصدر الأيسر كما هي الحال في إشارة الاحترام، بالرغم من أن الإبهام يكون ممتداً كذلك. وتنتهي الإشارة بإنزال اليدين في وقت واحد معاً. هذه هي الإشارة التي يستعملها الرفاق في مخاطبة المسؤولين الرئيسيين، أو عندما يدخلون أو يخرجون من المحفل وهو مفتوح.

٣ ـ إشارة التوبة أو التوسل والتضرع:

تنحني الركبتان، واليدان إما توضع الواحدة على الأخرى كما يفعل في الصلاة أو ممدودتان فوق الرأس والكفان متجهان إلى أعلى، وقد تكون الرجل اليمنى متقدمة.

٣ ـ إشارة المراقبة:

توضع اليدان على الردفين والإبهامان متجهان إلى الأمام. والكوعان ممدودان ليشكلا مثلثين.

٣ ـ الإشارة الإيمانية:

الأذرع ممدودة إلى الأمام واللفان يتواجهان الأسفل، لا تختلف عن عمل غواص على وشك الانطلاق. ومن المعتاد أن تكون الركبتان محنيتين قليلاً والرأس منكس إلى الأمام. وأحياناً يلقى بثقل الجسم على القدم اليسرى.

كلمات السر: أمي روحامان.

الكلمات: يهوه، جاهبول أون.

لا يوجد هناك مصافحة «قنطرة ملكية» بمعنى وضع اليد على الأخرى كما هو في الأخوية. والمعرف أحياناً على أنه مصافحة هو سلسلة من حركات يد فوق أخرى تستخدم لرفع المرشح من ركوعه(في القنطرة) والتي سيتم وصفها لاحقاً. كما أنه لا يوجد هناك «خطوة منتظمة» في أعمال القنطرة الملكية.

وسيتم وصف كلمات الشر، والكلمات والإشارات الخاصة بالمسؤولين الرئيسيين الثلاثة فيما بعد.

طقوس القنطرة الملكية:

بالرغم من أنها قد تكون آتية من مصادر أكثر حداثة من درجات الأخوية، إلا أن القنطرة الملكية لها أوصاف مختلفة جداً في أعمالها والمؤلفات الخاصة بها فبصرف النظر عن كشف كارلايل الذي ظهر في عام ١٨٢٥م، فإن الطقوس

التي سبقت الاتحاد والمسجلة والتي هي عبارة عن مخطوط واحد يحمل التاريخ ١٩٣٤م، والموجود في مكتبة المحفل العظيم. والذي يحتفظ بالخطوط العامة بما يعرف بالطقوس الأقدم، والأسبق من ناحية الترتيب الزمني. يشكل مع هذا نوعاً من الاختلافات والخروج عن الأصل. وعلى هذا فقد تم في عام ١٨٥٣م تشكيل «هيئة الإعلان والنشر» والتي قامت بعده محاولات (غير ناجحة إطلاقاً) لإقامة مستوى أعلى من الانتظام والتماثيل أو إيجاد نموذج موحد وذلك عن طريق نشر الطقوس كما تم تنقيحها من قبل الأب آدم براون عام ١٨٣٤م.

لذلك، كما هو الحال في الأخوية، فإن هناك العديد من الأعمال والطقوس مثل الأسلوب الروماني، الذي يدعى بأنه الأقدم، والالدرستيجي، والذي يتلوه مباشرة، والغرناطي، والهورنسي، والإكسفوردي، والمعياري أو القياسي، والسسكسي، والمرلاندي، والتأم، والكامل، والمطراني أو العاصمي. وكثير غيرها من الاستعمالات وسيتم شرح بعض هذه الاختلافات.

مراسم افتتاح محفل قنطرة ملكية:

«عندما يتخذ الرفاق مقاعدهم، ويفتح الكتاب المقدس على أسقيا ١٢، يدخل الرؤساء الثلاثة ويقفون في صف منتظم في الغرب ويقول زيروبابل: (النظام أيها الرفاق) فيخطون خطوة نحو الشرق بعد أداء إشارة الاحترام أو التحية، حيث يقول جوشوا (القدير)، يتقدمون خطوة أخرى، ويقول حاجاي (العليم)، وبعد ذلك تتخذ خطوة أخرى أيضاً ويقول زيروبابل (الموجود) في كل الوجود، ثم يقوم زيروبابل بأداء الدعاء التالي:

زيروبابل: يا الله القدير، الذي يعلم ما تضمر الأنفس وتخفي الصدور، والذي لا تخفى عليه خاصة، طهر ما تكنه قلوبنا بإلهام روح القدس، بحيث نكن لك المحبة الصادقة ونمجد ونعظم اسمك المقدس كما يليق به.

الجميع: استجب يا الله وتقبل دعاءنا.

زيروبابل وحاجاي وجوشوا: إننا نحن الثلاثة نلتقي ونتفق... بكل

محبة ووحدة. . . أن نحفظ كلمة السر. . . وأن لا نفشيها أبداً. . . ما لم يكن هناك ثلاثة. . . مثلنا. . . قد اجتمعوا واتفقوا. . . واتفقوا. . . واتفقوا. . . واتفقوا. . . واتفقوا، (ويتم قول هذا بالتناوب، فقرة فقرة أو عبارة عبارة يقودهم في ذلك زيروبابل).

(يقوم الرؤساء الثلاثة بتقبيل الكتاب المقدس بالتناوب، بينما يفعل زيروبابل ذلك مرتين، أي في الأول وفي الآخر، ثم يستأنفون أداء إشارة الاحترام أو التحية. وبعدها يتقدم زيروبابل إلى الشرق وحده، عن طريق الشمال، بسبع خطوات، متوقفاً ومنحنياً للمذبح بعد الخطوة الثالثة والخامسة والسابعة. ثم يعود ويواجه الغرب، وهو لا يزال مؤدياً الإشارة. ويقوم جوشوا وحاجاي بالتقدم نحو الشرق في نفس الوقت، جوشوا عن طريق الجنوب، وحاجاي عن طريق الشمال، كل منهما بسبع خطوات، متوقفاً ومنحنياً في الخطوة الثالثة والخامسة والسابعة. ويتم تشكيل المثلث الثلاثي (١) بالأقدام اليمنى (٢) بالأيدي اليسرى، كل واحد يأخذ يد رفيقه اليمنى برسغ اليسرى، و(٣) بالأيدي اليمنى، كل يأخذ اليد اليسرى لرفيقه بالرسغ الأيمن. أما الأيدي اليمنى فترفع لتشكيل قنطرة. وفي هذا الوضع تتم تلاوة الكلمات المقدسة مقطعاً إثر مقطع على النحو التالي، حيث يلفظ حرف جي كما يلفظ حرف أل واي: ـ

يـ هـ	وه
ـ ـ يـ	وه
وه ـ ـ	يَـ
هـ ـ وه	ـ
ياه ـ بول	اون
ـ ـ ياه	بول
اون ـ ـ	ياه
بول ـ اون	ـ

بعد ذلك يأخذ الرؤساء صولجاناتهم الجاهزة والموضوعة على كراسيهم، ويقبلونها مع أداء التحية، ويعيدون في أنفسهم كلمات مناصبهم، فكلمة زيروبابل «ياه»، وحاجاي «إل شاداي»، وكلمة جوشوا «إل أيلوهى إسرائيل». بعد ذلك يزيح حاجاي وجوشوا الغطاء على المذبح. ويتخذ الثلاثة مقاعدهم. تعطى أربع طرقات، على سرعات متساوية، بالصولجانات، أولاً زيروبابل، يتبعه الآخران، ثم يطرق زيروبابل الطرقة الأخيرة).

زيروبابل: أيها الرفاق باسم الله الحق الحي الذي لا يموت العلي القدير، أعلن افتتاح هذا المحفل القنطري الملكي حسب الأصول.

(تعاد الطرقات كالسابق).

مراسم اختتام المحفل القنطرية الملكي:

تطرق أربع طرقات كما تم في مراسم الافتتاح:

زيروبابل: أيها الرفاق، ساعدوني في اختتام المحفل.

(يغادر الرؤساء كراسيهم ويقفون بقرب المذبح، مواجهين الغرب، حاملين صولجاناتهم تحت أذرعهم اليسرى، يقف الرفاق بانتظام بإشارة الاحترام والتحية، يمرر الكتاب المقدس ويرفع كما تم في الافتتاح).

زيروبابل: النظام أيها الرفاق.

زيروبابل وحاجاي وجوشوا: إننا جميعاً نلتقي ونتفق.. في المحبة والوحدة الخ...

(كما تم في الافتتاح. ثم يؤدي الرؤساء التحية للكتاب المقدس، الذي يتم إغلاقه عندئذ ويناول للرفاق ليحييه كل واحد منهم بدوره. يشكل الرؤساء الثلاثة مثلثاً بصولجاناتهم).

زيروبابل: أيها الرفيق المقيم الرئيسي، أما وقد انتهت أعمال الاجتماع، فإنني آمرك باختتام المحفل.

المقيم الرئيسي: أيها الرفاق، باسم الله الحق الحي الذي لا يموت، العلي القدير، وبأمر بالغ الرفعة اختتم هذا المحفل حتى.. إلا للأحوال الطارئة، التي سيتلقى فيها كل رفيق إشعاراً بذلك حسب الأصول.

(يرفع الرؤساء أيديهم بالإشارة الإيمانية).

زيروبابل: المجد لله في الأعالي.

حاجاي: وعلى الأرض السلام.

جوشوا: وفي الناس المحبة.

(ينهي الرؤساء الإشارة الإيمانية بعدها يخطو زيروبابل إلى المذبح ويخلط الحروف والرموز).

المقيم المؤقت الرئيسي: أيها الرفاق، لم يبق شيء ولكن، بموجب العادة القديمة، علينا أن نستودع أسرارنا في حرز أمين، وأن نكون متحدين في متمسكين بالأمانة، الأمانة، الأمانة، الأمانة.

(يقوم الرفاق بضرب صدورهم بيدهم اليمنى، والأصابع مفرودة والإبهام مغلق، لدى كل إعادة لكلمة الإخلاص).

التكاليف التي تعطى عندما يختتم المحفل:

(ولكن قبل أن يتفرق الرفاق)

زيروبابل: إنكم على وشك مغادرة هذا المأوى للصداقة والفضيلة، لتعودوا إلى الاختلاط بالناس في هذه الدنيا. ففي خضم همومها ومشاغلها، لا تنسوا تلك الواجبات التي تلقيتموها بصورة قوية ومتكررة في اجتماعاتنا. لذلك يجب عليكم أن تكونوا مجتهدين، متبصرين حكماء معتدلين. كما يجب أن تتذكروا أنكم على مذبحنا هذا قد ألزمتم أنفسكم بصورة مقدسة ومهيبة أن تسارعوا إلى فعل الخير وتفريج كربة المكروب بقلوب عامرة بالإيمان الراسخ الذي لا يتزعزع بكل ما استطعتم وبما في وسعكم لكل أخ يكون في حاجة

إليكم، كما وعدتم بأن تذكروه بالتي هي أحسن بزلته وهفوته وتساعدوه على إصلاح نفسه وتهدوه صراطاً مستقيماً عندما يضل سواء السبيل وأن تهيئوا له أفضل وألطف وأيسر وأجمل السبل لإقالة عثرته وتقويم سلوكه حتى عندما يكون مستحقاً للوم والتأنيب، بحيث يدرك العالم أجمع ويلمس كما يحب الماسونيون بعضهم بعضاً ويتفانون الواحد في خدمة ومساعدة الآخر. وينبغي لهذه المبادىء الكريمة أن يمتد نطاقها إلى ما وراء حدود جمعيتنا الخاصة لتسجل كل كائن بشري يكون في حاجة إلى مساعينا الحميدة، كما نوصيكم بعمل الخير للجميع، وخاصة لأسر المؤمنين. وبالجد والمثابرة على أداء واجبات حرفكم وأعمالكم كل فيما يخصه، وبالبر العميم والإحسان والمحبة الغامرة وبالثبات والأمانة في صداقتكم، وبسلوككم العادل الودود الفاضل، نعهد إليكم بأن يظهروا الآثار الطيبة والصفات الحميدة التي تتمتع بها مؤسستنا الكريمة المحترمة، كما يجب أن لا تعتقدوا أيها الإخوان أن أعمالكم ستذهب عبثاً وجهودكم ضائعة، لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وإن إلى الله مرجعكم فيجازيكم بما كنتم تفعلون، وأخيراً أيها الإخوان كونوا بقلب واحد وفكر واحد، أحبوا بعضكم بعضاً وعيشوا بسلام آمنين، لعل الله يسبغ عليكم حبه وأمنه وسلامه ويتم نعمته عليكم ويهديكم صراطاً مستقيماً.

مراسم الترفيع:

(عندما يفتتح المحفل وتتم قراءة وتأكيد محاضر الجلسة، يتم التصويت بالاقتراع السري على الشخص الذي كان ماسونياً أستاذاً لفترة لا تقل عن أربعة أسابيع، ويتم هذا التصويت إذا لم يكن قد تم القيام به من قبل. فإذا كان التصويت في صالحه، فيتم السير قدماً في إجراء المراسم. ويكشف جوشوا وحاجاي الغطاء في المذبح).

زيروبابل: أيها الرفيق المؤقت الرئيسي، إنك ستنسحب الآن وتعهد إلى المرشح بما هو مطلوب منه.

(ينسحب المقيم المؤقت الرئيسي ويقوم بفحص المرشح في الغرفة المقابلة، وأحياناً يتخذ هذا الفحص شكل أسئلة اختبارية في الدرجة الثالثة ولكن من الشائع أن هذا الإجراء الأقصر هو المتبع).

المقيم المؤقت الرئيسي: أيها الأخ ايه بي، تقدم نحوي بالدرجات الثلاث للأخوية الماسونية، ناقلاً كلمات الماسوني الأستاذ في النقاط الخمس للزمالة (التي تم القيام بها).

المقيم المؤقت الرئيسي: هل تقسم بشرفك كرجل، وبأمانتك كماسوني، إنك كنت قد رفعت إلى الدرجة الرفيعة للماسوني الأستاذ منذ أربعة أسابيع فأكثر؟

المرشح: أقسم (ومما لا شك فيه أن عليه أن يبرز شهادة المحفل العظيم التي تقر بذلك).

المقيم المؤقت الرئيسي: كذلك هل تلزم نفسك بموجب كافة العقوبات التي تقتضيها أيمانك التي أقسمتها بأن تكتم وتخفي كافة ما سأنقله إليك بنفس الحرص الصارم مثل الأسرار الأخرى في الماسونية؟

المرشح: نعم أقسم.

المقيم المؤقت الرئيسي: إذن سأعهد إليك بكلمات السر الموصلة إلى هذه الدرجة العليا.

إنها أمي روهامة».

المقيم المؤقت الرئيسي: إن معنى الكلمات «لقد وجد شعبي الرحمة».

(يقوم الفراس بتحضير وإعداد المرشح. إن كل ما هو ضروري هو أن يتم وضع الغماء على عينيه، ولكن هذا الإجراء ما زال يمارس في بعض محافل إعداده، مثل ما يعد لمراسم ترفيعه إلى الدرجة الثالثة، أي أن كلا الصدرين وكلا الذراعين وكلا الركبتين كلها عارية مكشوفة وكلا القدمين متنعلتان، يلبس مئزر

الأستاذ الماسوني «وعندما يصبح كل شيء جاهزاً يطرق الفراش طرقاته».

نيحيميا: صاحب المقام الأعلى ـ هناك تقرير.

زيروبابل: أيها الرفيق الكاتب نيحيميا، انظر من يسعى إلى الدخول،
نيحيميا: (يفتح الباب للفراش) من لديك هناك؟

الحاجب: إنه الأخ ايه. بي الذي كان قد انتسب إلى الماسونية حسب الأصول والذي كان قد ترفع إلى درجة زمالة الأخوية الماسونية، وفي الوقت المناسب رفع كما ينبغي إلى الدرجة الرفيعة، درجة ماسوني أستاذ، والذي قام بصفته هذه بتدريب نفسه على مدى أربعة أسابيع فأكثر، وكمكافأة له على حسن صنيعه وجدته كان قد عهد إليه بكلمات السر التي توصل إلى الدرجة العليا التي يسعى للدخول إليها. والتي قد تم إعداده لمراسمها حسب الأصول.

نيحيميا: كيف يأمل في الحصول على امتيازات هذه الدرجة العليا؟

الحاجب: بعون الله الحي القيوم العلي الأعلى الحي الذي لا يموت والعون المشترك للدائرة والمثلث وبفضل كلمات السر.

نيحيميا: هل لديه كلمات السر؟.

الحاجب: سأسأله.

(مخاطباً المرشح) هل ستعطينا كلمات السر؟

المرشح: أمي روحاما.

الحاجب: ما معنى هذه الكلمات؟

المرشح: «لقد وجد شعبي الرحمة».

الحاجب: انتظر لأبلغ صاحب المقام الأعلى. (يغلق الباب) يا صاحب المقام الأعلى، إن الأخ ايه. بي، الذي كان قد انتسب الخ الخ الخ (نفس الشيء كما بلغه الحاجب) والذي تم إعداده لمراسمها حسب الأصول.

«**زيروبابل**: كيف يأمل في الحصول على امتيازات هذه الدرجة العليا.

الحاجب: بعون الخل الخ، وبفضل. . . . كلمات السر.

زيروبابل: هل لديه كلمات السر؟

الحاجب: نعم، يا صاحب المقام الأعلى.

زيروبابل: أدخله.

(يفتح نيحيميا الباب. يأخذ المقيم المؤقت الرئيسي يد المرشح اليمنى بيده اليسرى ويقوده إلى كرسي الركوع في الغرب، ويكون المقيم المؤقت المساعد على يسار المرشح).

زيروبابل: أيها الأخ ايه. بي، بما أنك تسعى إلى الترفيع في منظمتنا وقد عهد إليك بكلمات السر الموصلة إلى الدرجة العليا، ينبغي علينا أن نسألك فيما إذا كنت بمحض إرادتك واختيارك تقدم نفسك مرشحاً للماسونية القنطرة الملكية؟

المرشح: نعم. إنني كذلك.

زيروبابل: وهل زودت نفسك بالرغبة في التحسن في الماسونية، وأن يكون ذلك التحسن موجه لمجد الله ولخير الإنسان؟

المرشح: نعم. فعلت ذلك.

زيروبابل: هل تريد أداء القسم المقدس المهيب المخصص للدرجة العليا، وإذا قبلت فإنك لن تفشي طقوسنا السرية؟

المرشح: نعم، وأقسم.

زيروبابل: إذن ستركع، وتتلقى عون وفوائد صلاة الماسوني وأدعيته؟

(يطرق الرؤساء أربع طرقات، يركع المرشح، ويقف الرفاق بانتظام مع أداء تحية الاحترام).

زيروبابل: يا الله القوي العزيز، الذي انبثق العالم بأمره من العدم واللاتكون، وتمت ولادة كافة المخلوقات الطبيعية، إننا نتوسل إليك مهطعين أن

تحل بركاتك ونعمك الروحية على هذا الاجتماع وأن تمنح هذا الأخ الذي يسعى للمشاركة في نور أسرارنا قسطاً من روحك الإلهية المقدسة، لعله يدخل منظمتنا مستنيراً، وأن لا ينسحب منها مسرعاً، بل يتمسك بها بثبات وإصرار، وأن تجعله يتذكر دائماً أن هدف مؤسستنا هو سعادة إخواننا من المخلوقات، ولكن فوق كل شيء، شرف ومجد اسمك الأقدس.

الجميع: تقبل دعاءنا يا الله.

زيروبابل: أيها الأخ، ايه. بي، على من ستعتمد في كافة الملمات والأخطار التي قد تلم بك؟

المرشح: على الله الحق العلي الأعلى الحي الذي لا يموت.

زيروبابل: إننا سعداء أن نرى إيمانك مستمر على هذه القاعدة الراسخة. انهض واتبع مرشدك. (أربع طرقات، ينهض المرشح) أيها الرفاق، لاحظوا أن الأخ ايه. بي، الذي كان قد انتسب إلى الماسونية حسب الأصول، وترفع درجة زمالة الأخوية، وترفع في الوقت المناسب إلى درجة الماسوني الأستاذ الرفيعة، هو على وشك أن يمر أمام أعينكم، ليظهر أن مرشح قد أعد حسب الأصول ليرفع إلى الماسونية القنطرية الملكية.

(يقوم المقيم المؤقت الكبير، وقد مشى إلى الوراء، بقيادة المرشح للطواف حول قاعة المحفل متنهياً في الغرب، ومواجهاً الشرق. لا يوجد في القنطرة الملكية «زوايا قائمة».

«**زيروبابل**: أيها الأخ ايه. بي، بما أنك تسعى للمشاركة في نور أسرارنا، ينبغي أن ندعوك للتقدم نحو المشعر المقدس، الذي أودعت فيه تلك الأسرار بخطوات سبع، متوقفاً ومنحنياً إجلالاً في الثالثة والخامسة والسابعة، لأنك في كل خطوة ستصبح أقرب فأقرب إلى الاسم السري المقدس لله الحق العلي القدير الحي الذي لا يموت.

(يطلب المقيم المؤقت الكبير من المرشح باتخاذ ثلاث خطوات، مبتدئاً

بالقدم اليسرى، يتوقف وينحني إجلالاً، عندها يقف المقيم المؤقت الرئيسي على يمين المرشح، مواجهاً الشرق).

زيروبابل: لقد وصلت الآن إلى تاج الغرفة القنطرية، التي من الضروري أن تنزل إليها، ولذلك فإنك ستسحب إلى الأمام بصورة مجازية رمزية حجرين من أحجار القنطرة.

(يتناول المقيم المؤقت الرئيسي العتلة أو المخل من على كساء الأرضية ويضعه في يد المرشح، حيث يقوده أن يعمل به حركات المخل أو الإزاحة بالمخل، ثم يعود بعد ذلك إلى إعادة (العتلة هذه إلى كساء الأرضية).

زيروبابل: دع المرشح ينزل إلى القنطرة حسب الأصول، وأن يصغي بانتباه إلى جزء من كتابات أستاذنا العظيم الملك سليمان.

(يأمر المقيم المؤقت الرئيسي المرشح بالركوع على كرسي الركوع أمامه. يطرق الرؤساء ويقف الرفاق بانتظام مع أداء تحية الاحترام والإجلال ويقرأ جوشوا الحكم والأمثال ١١، ١ ـ ٩ و ٣ و ١٣ ـ ٢٠.

جوشوا: يا ابني، إذا تلقيت كلماتي، وحفظت وصاياي في صميمك، بحيث جعلت أذنك تميل إلى الحكمة، وقلبك يستوعبها فإنك إذا سعيت في طلب المعرفة، ورفعت صوتك طلباً للفهم، إذا سعيت للحصول عليها سعيك وراء الفضة وتبحث عنها لتضعها في خزائنك، فإنك عندئذ ستفهم مخافة الله وتقواه، وتصل إلى معرفة الله، لأن الله يمنح الحكمة، ومن فمه تأتي المعرفة ويتم الفهم. إنه يضع الحكمة السليمة في قلوب المستقيمين، إنه يحمي ويصون أولئك الذين يسيرون على صراط مستقيم.

إنه يحافظ على سبل الاجتهاد وتحكيم العقل ويهدي القديسين سواء السبيل.

عندها ستفهم الحكمة وفصل الخطاب والعدل والمساواة، وتسير في كافة سبل الخير».

«مات أسعد الإنسان الذي يعثر على الحكمة ويصل إلى المعرفة والفهم. لأن تجارتها لن تبور وهي أفضل من تجارة الفضة، وكسبها أفضل من الذهب النقي، إنها أثمن من اليواقيت، وكافة الأشياء التي تطمح إليها وتتشهاها لا تضاهيها ولا تقارن معها. لأن أعنة الأيام في يمينها وفي يسارها الثروات والشرف والغنى الذي لا يضاهيه غنى.

إن سبلها هي سبل السعادة، وكافة طرقها هي طرق الأمن والسلام.

إنها شجرة حياة المتمسكين بها، وما أسعد من يحتفظ بها ويجعلها نبراساً له.

لقد أوجد الله الأرض بالحكمة وبالفهم والمعرفة برأ السماوات.

بمعرفته يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بسحب لواقح عبر قطرات الندى».

زيروبابل: الآن يجب عليك أن تحاول العثور على شيء ما في القنطرة.

(يقود المقيم المؤقت الرئيسي يد المرشح اليمنى للبحث في قماش غطاء الأرضية بجانب كرسي الركوع، ويضع في يده درجاً (لفيفة). ثم يلقن المرشح الأخوية التالية).

المرشح: لقد وجدته.

زيروبابل: ما الذي وجدته؟

المرشح: شيء كالدرج لكتاب أو مخطوط رقية.

زيروبابل: ما هي محتوياتها؟

المرشح: نظراً لعدم توفر النور فإنني عاجز عن اكتشاف ما فيها.

(يضع المقيم المؤقت الرئيسي الدرج حضن المرشح).

زيروبابل: دع انعدام النور يذكرك بأن الإنسان بطبيعته هو من الجهل والخطأ، وكان سيبقى دائماً في غياهب الظلمة والجهل، لولا أن الله العلي

الأعلى دعاه إلى النور عن طريق وحيه بإرادته المقدسة وكلماته التامة. انهض واسحب الحجر الرئيسي إلى الأمام وتهيأ لتلقي نور الكلمة المقدسة.

(يساعد المقيم المؤقت الرئيسي المرشح على النهوض، ويضع العتلة في يده ويقوده ليحرك بالعتلة).

زيروبابل: دعوا المرشح مرة ثانية ينزل إلى القبو ويصغي باهتمام إلى جزء من كتابات النبي حاجاي.

(يأمر المقيم المؤقت الرئيسي المرشح بالركوع ويقف الرفاق بانتظام مع أداء إشارة الاحترام. يطرق الرؤساء أربع طرقات ويقرأ حاجاي، الآيات ١ ـ ٩ من السفر الثاني لحاجاي.

حاجاي: «في الشهر الثامن، في اليوم الحادي والعشرين من الشهر، جاءت كلمة الله على لسان النبي حاجاي تقول:

قل الآن لزويروبابل، بن شيلتيل، حاكم يهوداً، ولجوشوا بن جوزيديك، الكاهن الأعلى، ولعامة الناس.

قل لهم من بقي بينكم ممن شاهد هذا البيت في مجده الأول؟

كيف ترونه الآن؟ أليس في نظركم بالنسبة له لا شيء؟ ومع هذا فإن الله يقول، يازيروبابل، كن قوياً الآن وكن قوياً يا جوشوا بن جوسيديك الكاهن الأعلى، وكونوا أقوياء يا سكان هذه الأرض هكذا يقول الله. كما يقول رب الأرباب اعملوا فإنني سأرى عملكم وأنا أقرب إليكم من حبل الوريد.

فمبوجب الكلمة التي عهدت بها إليكم عندما خرجتم من مصر كذلك فإن روحي باقية بينكم فلا تخشوا شيئاً ولا تخافوا.

لذلك فإن رب الأرباب يقول: «ما هي إلا لحظة كلمح البصر، وإذا بي سأهز السماوات وأزلزل الأرض وأجعل البحار ترتج والأرض الجافة تمور ويقول رب الأرباب إنني سأهز كافة الأمم.

= القسم =

المرشح: أنا ايه بي، في حضرة الله الحق العلي الأعلى الحي الذي لا يموت، وفي رحاب هذا المحفل القنطري الملكي المقدس، الذي تم تشكيله وتكريسه وتجميعه حسب الأصول، أعد بمحض حريتي وإرادتي بموجب هذا القسم وعلى هذا الكتاب، (يضع المقيم المؤقت الرئيسي يده اليسرى على يد المرشح اليمنى وعلى الكتاب المقدس) وأقسم بأن أكتم وأخفي ولن أفشي أبداً أياً من الأسرار أو الرموز الخاصة بهذه الدرجة العليا، المسماة قنطرة أورشليم الملكية المقدسة، لأي شخص في العالم، ما لم يكن رفيقاً صحيحاً صادقاً من أعضاء المنظمة الشرعيين الذي قد اجتمع به بعد فحص في منتهى الدقة. كما أعد بكل إجلال وتوفير بأنني لن أتفوه بذلك الاسم المقدس السري الذي قد ينقل إلى الآن لأول مرة، إلا بحضور ومساعدة اثنين أو أكثر من رفاق القنطرة الملكية، أو في شخص زميل في محفل قنطري ملكي تم تشكيله بصورة مشروعة، ويعمل كرئيس أول. إنني أقسم بأن أراعي كافة هذه النقاط دون مواربة أو مراوغة أو أي تحفظ عقلي من أي نوع، وأن أكون تحت طائلة عقوبة الحنث بأي منها لا تقل عن أن أفقد حياتي بقطع رأسي. لذلك أعني يا الله الحق العلي الحي الذي لا يموت وأبقني متمسكاً بثبات هذا القسم القسم المقدسي الموقر الخاص بماسوني منتم إلى القنطرة الملكية.

زيروبابل: التزم بأمانتك وإخلاصك،، ولتجعل ما أعدت قوله قسماً مقدساً ملزماً لك طيلة حياتك، فإنك ستختمه بوضع شفاهك أربع مرات على كتاب القانون المقدس (الأمر الذي فعله المرشح)، أيها المقيم المؤقت الرئيسي، إنك ستنهض المرشح حسب الأصول بواسطة مصافحة ماسوني قنطري ملكي.

(ينهض المقيم المؤقت الرئيسي المرشح في حركات أربع أثناء أدائه الخطاب التالي).

المقيم المؤقت الرئيسي: (آخذاً يد المرشح اليمنى بيده) أيها الأخ ايه.

بي. الآن (يضع يده اليسرى، والكف إلى أعلى، على خارج الذراع الأيمن للمرشح عند الرسغ) أيها الرفيق (يضع المقيم المؤقت الرئيسي يده اليمنى، والكف إلى الداخل، فوق يده اليسرى، مع وضعها في داخل ذراع المرشح) في منظمتنا (يضع يده اليسرى، والكف إلى الداخل، فوق يده اليمنى، مع وضعها خارج ذراع المرشح مباشرة فوق الكوع). انهض. (يضع يده اليمنى، والكف إلى الداخل وإلى الأعلى، تحت إبط المرشح، وينهضه).

زيروبابل: أما وقت أبقيت في الظلام لمدة لا يستهان بها، فما هي الرغبة العارمة الموجودة لديك في وضعك الحالي، والتي تحتل صميم فؤادك؟

المرشح: النور.

(يرفع الرفاق الشارات الخاصة بهم إلى الأمام على كلا الجانبين، ليشكلوا قنطرة، والتي سينظر من خلالها عندما تتم إعادته إلى النور. وفي نهاية هذه القنطرة يرفع الرؤساء الثلاثة صولجاناتهم على شكل مثلث، كإطار حول زيروبابل).

زيروبابل: أيها الرفيق المقيم المؤقت الكبير. دع تلك الركه تعود إلى المرشح. (يزيل المقيم المؤقت الكبير الغماء عن عيني المرشح).

زيروبابل: إننا نهنئك على دخولك في نور منظمتنا، كما يسعدنا أن نعبر عن ثقتنا في أن سلوكك المستقبلي سيبرر بصورة تامة ميلنا إلى ترفيعك إلى هذه الدرجة العليا. التي تشكل بحق جوهر الماسونية. إنك الآن ستقوم بقراءة الدرج الذي أحضرته معك من القبو.

(إذا لم يكن المرشح قد حصل على الدرج مضموماً إلى صدره، فإن المقيم المؤقت الكبير يناوله له.

وعندها يقرأ منه ـ سفر التكوين ـ ١ ـ الآيات (١ ـ ٣).

المرشح: في البدء خلق الله السماء والأرض.

وكانت الأرض خواء لا رسم لها ولا شكل، والظلمات تملأ الفراغ. وروح الله على وجه المياه.

عندها قال الله ليكن هناك نور، وكان هناك نور وضياء.

زيروبابل: هكذا يا رفيقي المرفع حديثاً، كانت كلمات ذلك الكتاب المقدس، التي تحتوي إرادة الله التي أوحى بها. لذلك لنسبح ونمجد اسمه المقدس على ما آتانا من نعمة المعرفة، وجعلنا ننعم بالنور المشرق حولنا والذي يعمنا بضيائه.

والآن لك ملء الحرية في الانسحاب بانتظام لتخلد إلى الراحة الشخصية، وعند عودتك إلى قاعة المحفل سنسير قدماً في إتمام المراسم.

(يرافق المقيمون المؤقتون المرشح إلى الباب، وينزل الرؤساء صولجاناتهم، ويعود المقيمون المؤقتون، ويخلعون الياقات والمدارع والشعارات والألبسة الخاصة بمراكزهم التي يضعوها على كراسيهم وينسحبوا محيين بإشارة الاحترام والتحية. وفي الغرفة المقابلة يستعيد المرشح ثيابه (إذا كان قد أعد للترفيع) ويلبس هؤلاء المقيمون المؤقتون مآزر الماسونيين الأساتذة. وعندما يكونوا مستعدين يطرق الحاجب طرقات الدرجة الثالثة.

نيحيميا: ما صاحب المقام الأعلى، هناك بلاغ.

زيروبابل: أيها الرفيق الكاتب نيحيميا، انظر من يطلب الدخول.

نيحيميا: (يفتح الباب) من يوجد لديك هناك؟

الحاجب: ثلاثة ماسونيين أساتذة من بابل، وقد سمعوا بأنكم على وشك إعادة بناء الهيكل على شرف ومجد العلي الأعلى، ولذلك فإنهم في منتهى الشوق ليقيموا مؤقتاً معنا، وليقدموا مساعدتهم في ذلك المشروع العظيم المجيد.

نيحيميا: انتظر لبينما أبلغ صاحب المقام الأعلى.. (يغلق الباب) يا

صاحب المقام الأعلى، ثلاثة ماسونيين أساتذة من بابل، كانوا قد سمعوا الخ الخ (تماماً كما أبلغ بذلك الحاجب).

زيروبابل: أدخلهم (يدخل القيمان الكبيران والمرشح، ويقفون في صف في الغرب مواجهين الشرق).

أيها الغرباء، من أين أتيتم؟

المقيم المؤقت الرئيسي: من بابل، يا صاحب المقام الأعلى.

زيروبابل: ما هو طلبكم؟

المقيم المؤقت الرئيسي: أما وقد سمعنا بأنكم على وشك إعادة بناء الهيكل على شرف ومجد العلي الأعلى فإننا في منتهى الشوق للإقامة المؤقتة بينكم وأن نقدم المساعدة في ذلك المشروع العظيم المجيد.

زيروبابل: بما أنه لا يسمح للأجانب في ذلك العمل المقدس، لذلك يجب علينا أولاً أن نسأل من أنتم؟

المقيم المؤقت الرئيسي: يا صاحب المقام الأعلى، إننا إخوان من أهلكم وعشائركم.

زيروبابل: ولكن هل أنتم منحدرين من أولئك الذين فروا من المدينة والهيكل المقدس عندما عمهم الظلم والإذلال، أم إنكم من أولئك الذين أبقى عليهم الجنرال البابلي من أجل فلاحة الأرض؟

المقيم المؤقت الرئيسي: إننا سنكون في منتهى الحطة والدناءة لو كنا قد انحدرنا من أولئك الذين فروا من المدينة عندما حل بهم الظلم والإذلال، أو انحدرنا من أولئك الذين أبقى عليهم الجنرال البابلي ليقوموا بفلاحة الأرض، بل إننا من أصل نبيل وأرومة أصيلة، ونحن مثلكم انحدرنا من سلالة البطاركة والملوك، حيث إن أجدادهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ إننا في منتهى السمو وأصالة المحتد، إننا من السلالة الملكية لداود والعشيرة الرئيسية في اليهودية،

الذين بسبب خطاياهم وذنوبهم ساقهم إلى الأسر مع ملكهم جيهوياقهم، نبوخذ نصر ملك بابل، حيث بقوا في الأسر البابلي سبعين عاماً كما أنبأ بذلك النبي جيريميا. وقد انتهت فترة أسرنا في السنة الأولى من حكم سيروس، ملك الفرس. عندما ألهم الله العلي القدير ذلك النبيل أن يصدر الإعلان التالي:

«هكذا يقول سيروس، ملك فارس. لتعلم كافة الممالك على وجه الأرض أن الله إله السماوات قد منحني وعهد إليَّ بأن أبني له بيتاً في أورشليم والتي هي في اليهودية. فمن هو هناك من بينكم من كافة أفراد شعبه سيكون الله ربه معه يحرسه ويرعاه». وعلى هذا فقد انتهزنا هذه الفرصة وعدنا إلى بلدنا ومسقط رأسنا وأرض آبائنا وأجدادنا، وجئنا لنقيم بينكم ونقدم مساعدتنا في إعادة بناء الهيكل على شرف ومجد العلي القدير، الذي وعد على لسان نبيه المقدس بأن يرشح اسمه إلى الأبد وأن ينشر السلام على كافة بقاع الأرض.

زيروبابل: إننا نعترف نبيل محتدكم، ونبتهج بإدخالكم أعضاء في أهلنا وعشيرتنا. والشيء الوحيد الباقي أمامنا هو أن نسألكم، أي جزء من العمل المقدس ترغبون العمل فيه؟

المقيم المؤقت الرئيسي: أي مركز يطيب لسموكم تعييننا فيه سيعتبر شرفاً تخلعونه علينا.

زيروبابل: إن التواضع ولين العريكة إشارات وعلامات الاستحقاق والكفاءة، ولكن لتأخركم في تقديم طلباتكم، فإن الوظائف الرئيسية قد تم إشغالها من السابق. ومع ذلك، فإننا سنشغلكم في إعداد الأرض لوضع أساسات الهيكل الثاني، في الموقع الذي أقيم فيه الهيكل الأول الذي أقيم سابقاً. ولهذا الغرض سنزودكم بوسائل العمل المناسبة ولكننا نوصيكم بصورة صارمة بأنه يجب عليكم أثناء سيركم في العمل لدى اكتشافكم أي شيء تعتقدون أنه هام أن لا تكشفوا عنه النقاب لأي شخص» إطلاقاً إلا للمجلس الأعلى المنعقد الآن.

المقيم المؤقت الرئيسي: بكل تواضع نشكر سموكم على الثقة الغالية التي أوليتموها لنا، ونتعهد بأداء واجباتنا بكل أمانة وإخلاص.

(يتناول عزرا ونيحيميا عدة العمل وحبال السلامة من أماكنها على الأرض ويوزعوها، العتلة والدرج وحبال السلامة للمقيم المؤقت الرئيس، والمعول لمعاود المقيم المؤقت، والمجرفة للمرشح).

زيروبابل: اذهب عسى رب آبائك وأجدادك أن يحفظك ويرعاك (ينسحب المقيمون المؤقتون والمرشح. ويربط في الغرفة المقابلة حبل السلامة حول خصر المقيم المؤقت الرئيسي، والحبال الصغيرة حول رسغيه، أما الأطراف الأخرى فيمسك بها عند عودتهما إلى قاعة المحفل، يمسك بها مساعد المقيم المؤقت والمرشح. كما يقوم الثلاثة بحمل عدد وأدوات عملهم التي كانت قد أعطيت لهم من قبل الكتبة. وعندما يصبح الجميع مستعدين، يطرق الحاجب أربع طرقات).

نيحيميا: صاحب المقام الأعلى. هناك بلاغ.

زيروبابل: أيها الرفيق نيحيميا الكاتب، انظر من يسعى للدخول.

نيحيميا: (يفتح الباب) من يوجد لديكم هناك؟

الحاجب: المقيمون المؤقتون الثلاثة الذين كانوا قد أرسلوا لإعداد الأرض لوضع أساسات الهيكل الثاني وقد عثروا اكتشاف يعتقدون أنه هام ويودون نقله إلى المجلس الملي الأعلى المنعقد الآن.

نيحيميا: انتظروا لبينما أبلغ صاحب المقام السامي (يغلق الباب ويؤدي إشارة الاحترام والتحية) صاحب المقام السامي، إن المقيمين المؤقتين الثلاثة الذين كانوا قد أرسلوا لإعداد الأرض لوضع أساسات الهيكل الثاني، وقد عثروا على اكتشاف يعتقدون أنه هام. يريدون نقله لمقامكم السامي.

زيروبابل: أدخلهم (يفتح الكاتب نيحيميا الباب ويدخلهم) أيها الإخوان لقد علمنا أنكم عثرتم على اكتشاف تعتقدون أنه هام. لذلك من الضروري أن

تنقلوا إلينا الاكتشاف الذي عثرتم عليه، والظروف التي أوصلت إليه.

المقيم المؤقت الرئيسي: لدى استئافنا عملنا في صباح هذا اليوم الباكر اكتشفنا عمودين بتصميم رائع ومصنعية تدل على حذق ومهارة، ولدى سيرنا قدماً في عملنا عثرنا على اثنين آخرين مساويين في التناسق والتماثل والجمال، واللذان يبدو من مكانهما، أنهما كانا يدعمان سقف ممر تحت أرضي أو رواق (بهو معمد) يوصل إلى المكان الذي كان المكان الأقدس قد أقيم فيه أصلاً. وهنا أعاق عملنا قطع وشظايا كانت قد سقطت أثناء شبوب الحريق الهائل في الهيكل السابق. فقمنا بإزالتها، إلى أن وصلنا إلى ما يبدو أنه صخر صلب، ولدى قيامنا، صدفة، بالضرب عليهم بعتلتي، لاحظت وجود صوت ينم عن فراغ. لذلك حييت رفاقي، وعندما قام صاحب المعول بتفكيك التراب بمعوله الذي قام فيما بعد بإزالته، وإذا بذلك الشيء الذي بدا لأول وهلة وكأنه صخر صلب، يثبت أنه قطعة من البناء عملت على شكل قبة. وبما أننا على علم بباني الهيكل السابق وأنه لم يتم بناء أي جزء فيه عبثاً، وعلى هذا فقد صممنا على القيام بمزيد من الفحص والتقصي. والذي من أجله قمنا بسحب حجرين من أحجار العقد الرئيسية إلى الأمام، وإذا بقبو بالغ الضخامة يبدو واضحاً للعيان. ولما كان كل واحد منا جميعاً يتوق للنزول فيه، فقد ألقينا القرعة، وكان الحظ، يا صاحب المقام الأسمى، من نصيبي.

عندها ربط زملائي هذا الحبل أو حبل السلامة حول جسمي من أجل أن يدلوني به إلى داخل القبو، ولكن لكوني كنت خائفاً من الموت بسبب الأبخرة الرطبة الضارة أو غيرها من أسباب الهلاك التي لا يمكن التنبؤ بها، فقد أمسكت بحبل أصغر في كل يد من أجل إعطاء إشارات متفق عليها مسبقاً فيما إذا طلبت المزيد من حرية التصرف، أو الرغبة في أن يسحبوني إلى الأعلى. عندها تم إنزالي إلى القبو. ولدى وصولي إلى القاع لمست شيئاً يشبه قاعدة أو أساس عمود مع بعض الحروف أو الرموز محفورة عليها. ولكن بسبب انعدام النور لم يكن باستطاعتي حل معانيها وفك رموزها. عندئذ أعطيت إشارة بيدي اليسرى

طلباً للمزيد من حرية الحركة، ولدى قيامي بارتياد القبو، عثرت على هذا الدرج أو الرق المكتوب، ولكن أيضاً لنفس السبب أي انعدام النور لم يكن باستطاعتي قراءة محتوياته. لذلك أعطيت إشارة بيدي اليمنى، وسحبني رفاقي إلى الأعلى، حاملاً معي الدرج أو الرق. ولدى الوصول إلى نور النهار وجدنا أنه القانون المقدس الطويل المفقود، الذي كان قد أصدره موسى الأستاذ العظيم على سطح جبل جوريب في صحراء سيناء. وقد دفعتنا حيازة هذا الكنز العظيم الثمين إلى القيام بالمزيد من بذل الجهود، لذلك قمنا بتوسيع الفتحة عن طريق إزالة الحجر الرئيسي، ثم عدت إلى النزول كالسابق. وكانت الشمس في هذا الوقت قد بلغت أوجها، وألقت بخيوط أشعتها المشرقة المدهشة إلى داخل القبو، الأمر الذي مكنني من تمييز تلك الأشياء، التي كنت قد اكتشفتها في السابق بصورة تامة، مكنني من تمييزها بكل وضوح وجلاء. ففي وسط القبو انتصبت كتلة من الرخام الأبيض عملت على شكل مذبح البخور، ومكعب مزدوج. وقد نقش على الوجه الأمامي أوائل أسماء الأساتذة الثلاثة العظام الذين ترأسوا بناء الهيكل السابق، أي: الملك سليمان ملك إسرائيل، وحيرام ملك صور وحيرام أبيف ـ مع بعض الرموز السرية الخفية وغطاء يحجب المذبح. ولدى تقدمي وأنا مملوء برهبة الاحترام والتوقير أزحت النقاب عن المذبح فرأيت هناك على لوحة من الذهب ما أدركت بكل خضوع وتواضع أنه الاسم الرمزي المقدس لله الحق العلي الأعلى الحي الذي لا يموت. بعد ذلك أعدت عليه نقابة، وانسحبت بكل إجلال واحترام، وأعطيت الإشارة المتفق عليها ورفعت مرة ثانية إلى الأعلى. بعد ذلك، وبمساعدة زملائي، أغلقت الفتحة وأسرعنا بالحضور إلى هنا لننقل لمقامكم السامي الاكتشاف الذي عثرنا عليه والظروف التي أوصلت إليه.

زيروبابل: إن قصتكم تحمل كل مظاهر الحقيقة، ولكن من أجل إقناعنا يجب عليك أن تذكر ماذا رأيت على تلك اللوحة الذهبية.

المقيم المؤقت الرئيسي: (منحنياً) يا صاحب المقام الأسمى. فيما يتعلق بذلك نرجو أن يسمح لنا برفض الإجابة على هذا السؤال، لأننا سمعنا بآذاننا،

كما أبلغنا آباؤنا، أنه في أيامهم وفي الأيام الغابرة قبلهم لم يكن يحل لأي شخص أن ينطق الاسم المقدس والرمزي لله الحق العلي القدير الحي الذي لا يموت، إلا للكاهن الأعلى، حتى ولا له إلا مرة واحدة في السنة، عندما يدخل قدس الأقداس ويقف أمام تابوت العهد للتكفير عن خطايا الناس.

زيروبابل: إننا معجبون بحذركم المفعم بالتقوى، كما أن سلوككم زاد تقديرنا واحترامنا لكم. ومع ذلك فإننا سنفوض اثنين من رفاقنا، عزرا ونيحيميا لمرافقتكم إلى الموقع وسيقر تقريرهم المكافأة التي تستحقونها.

(أعطى المقيم المؤقت الرئيسي عتلته والدرج للمقيم المؤقت المساعد وذهب إلى الناحية الشمالية الغربية من القاعة مع الكتبة عزرا ونيحيميا. وهناك نقل الكلمات جي ـ خو ـ وه وجاه ـ بول ـ أون، همساً وبرقة بالغة. بعد ذلك عاد المقيم المؤقت الرئيسي وأخذ العتلة والدرج من المقيم المؤقت المساعد، ومن ثم تقدم الكتبة عزرا ونيحيميا إلى الشرق، عزرا من الشمال ونيحيميا من الجنوب بسبع خطوات، متوقفين ومنحنين إجلالاً في الخطوة الثالثة والخامسة والسابعة. وقاما معاً برفع النقاب عن المذبح وفحصه وأبلغا بذلك مع أداء إشارة الاحترام والتحية لزيروبابل).

عزرا: صاحب المقام الأسمى، صحيح في كل تفاصيله وكل دقائقه.

نيحيميا: صاحب المقام الأسمى ـ صحيح في كل تفاصيله وكل دقائقه. (ينهون الإشارة ويعودوا إلى مقاعدهم).

زيروبابل: (بعد التشاور مع حاجاي وجوشوا).

إن زملائي في الوظيفة اشتركوا معي في الرأي، بأنه مكافأة كليم على غيرتكم وأمانتكم في اكتشاف أسرار القنطرة الملكية التي مضى على فقدها زمن طويل، يجب أن تدعوا فوراً لتسنم تلك المرتبة العالية والمركز الرفيع الذي كان يحتله أسلافكم الأماجد. يا أيها الرفاق عزرا ونيحيميا جردوا أولئك النبلاء الأشراف بجدارة واستحقاق جردوهم من أدوات العمل، وألبسوهم الأرواب

والأردية الخاصة بالبراءة واطلبوا منهم التقدم إلى مدى أقرب ليتم القيام بالمزيد من مكافأتهم.

(يجرد الكتبة عزرا ونيحيميا المقيمين المؤقتين والمرشح من أدوات عملهم ومآزر الأساتذة الماسونيين، ويساعدوا المقيمين المؤقتين على ارتداء شاراتهم وألبستهم الرسمية كما يلبسوا الثلاثة جميعاً المدارع الخاصة بها: بعد ذلك يرجع الكاتب عزرا إلى مكانه. ويرشد نيحيميا المرشح كيف يدنو من الشرق بالخطوات السبع، مع التوقف وأداء انحنائه الإجلال في الثالثة والخامسة والسابعة، ويوضح هذه الخطوات التي يتخذ مكانه بعد الفراغ منها. يتقدم المرشح يتبعه المقيم المؤقت الرئيسي، الذي، مع ذلك، لا يتخذ الخطوات بنفسه، ولكنه يرى أن المرشح يؤديها بصورة صحيحة. يقف الرؤساء الثلاثة، ويخلع زيروبابل على المرشح أثناء إلقائه الخطاب التالي، يخلع عليه الجوه، والوشاح والمئزر والصولجان.

زيروبابل: إن الأرواب التي خلعت عليكم هي شارات طهارة القلب واستقامة السلوك التي ستبث في نفوس أولئك الذين رفعوا إلى هذه الدرجة العليا القوة والنشاط. إننا نكافئكم بهذه الجوهرة كدليل على استحساننا الكامل، وموافقتنا المطلقة على قبولك عضواً معيناً، إننا نقلدك، هذا الوشاح وهذه الشارة، شارة منظمتنا، ونعهد إليك بصولجان هذا المنصب الذي سيكون لك دائماً حق حمله، إلا في حضرة اثنين وسبعين من الرؤساء الكبار، الذين يشكلون في تلك الحالة الأمراء والحكام في المنظمة. كما ينبغي عليك أن تستمر في أداء واجباتك بكل أمانة وإخلاص، كما أنك بصورة تدريجية سيكون لك الحق المطلق في المشاركة في أسرارنا والاطلاع عليها.

(وفي أثناء إلقاء هذا الخطاب يقوم زيروبابل بمنح الخلع والشارات. وأول هذه الشارات لهذه الوظيفة الموجودة في الجهة الشمالية، هي شارة جوده. يأتي بها المقيم المؤقت الرئيسي إلى زيروبابل ويعيدها إلى مكانها بعد أن كانت قد وضعت في اليد اليمنى للمرشح).

زيروبابل: في هذا الجزء من المراسم يتم إعطاء الكلمات سعادة الرفيق حاجي، هل تتكرم بالمساعدة. إنها تعطى في سلسلة من المثلثات التي تشكل أولاً بواسطة القدم اليمنى، وثانياً بالركبة اليمنى، وثالثاً باليد اليمنى على الكوع الأيمن ورابعاً باليد اليسرى تقبض على الرسغ الأيسر. أما الكلمات فهي يهوه (جهوه) جاهبولون. إنها تعطى في سلسلة من المقاطع. أنا سأبدأ وستتبعوني في ذلك.

(يساعد حاجاي في نقل الكلمات، يقوم زيروبابل والمرشح وحاجاي بتلاوة المقاطع بذلك الترتيب، مشكلين مثلثات. يقف المقيم المؤقت الرئيسي بجانب المرشح في المساعدة والإسراع في تلقين ما هو غامض لأول وهلة. وبعد الانتهاء من هذه المراسم، يقوم المقيم المؤقت الرئيسي بمرافقة المرشح إلى الغرب عن طريق الجنوب وكلاهما يواجهان الشرق).

المقيم المؤقت الرئيسي: (بإشارة الاحترام والتحية) وهكذا وقد تقلدنا مناصبنا وتمت مكافأتنا، ومنحنا أوسمة وعهد إلينا بما شئتم سعادتكم أن تحبونا به، فإن شغلنا الشاغل سيكون دائماً وأبداً السعي للحصول على رضاكم واستحسانكم المستمر عن طريق أداء واجبات منصباً بكل أمانة وثبات وإخلاص والذي دعوتمونا اليوم بكل سعادة لنستلم مقاليده. (ينهون الإشارة).

زيروبابل: إننا نهنئكم على ترفيعكم إلى ماسونية القنطرة الملكية، والتي هي في نفس الوقت الأساس والحجر الرئيسي للبنية الماسونية برمتها. لعلكم تعتقدون أن في هذا اليوم قد وصلتم إلى الدرجة الرابعة في الماسونية، إلا أن هذا ليس هو القضية، إنها درجة الأستاذ الماسوني وقد تم إنجازها، لأنكم عندما رفعتم إلى الدرجة الثالثة كنت قد أبلغتم أنه بالموت المفاجيء الذي حدث قبل أوانه لأستاذنا حيرام أبيف، فقدت أسرار الماسوني الأستاذ، وأنه تم تبني أسرار أخرى لتميز كافة الماسونيين الأساتذة إلى أن يستعيد الزمان والظروف الأسرار الأصلية. وقد تم فقد هذه الأسرار لمدة خمسمائة عام تقريباً، وتم استرجاعها بالصورة التي تم وصفها لكم، بصورة دراماتيكية نوعاً ما. وبقوة من أجل أن

نطبع في أذهانكم الوسائل التي وفرتها العناية الإلهية من أجل استرداد هذه الأسرار القديمة.

لقد وصلنا الآن إلى ذلك الجزء من المراسم التي سيقوم فيه سعادة الرفيق جوشوا بإلقاء المحاضرة التاريخية، وسعادة الرفيق حاجي بإلقاء المحاضرة الرمزية، والتي سأقوم بعدها بشرح الجزء السري للدرجة العليا. تفضلوا بالجلوس (يؤدي الرؤساء الطرقات) أيها الرفاق. إنني ألفت انتباهكم إلى سعادة الرفيق جوشوا للإصغاء إلى المحاضرة التاريخية.

خطاب الكرسي الثالث

المحاضرة التاريخية

ج جوشوا:

١ ـ أيها الرفاق: إن هناك ثلاثة عصور تاريخية للماسونية تستحق انتباهكم بصورة خاصة، وهذه العصور هي، تاريخ المحفل الأول أو المحفل الإلهي، الثاني أو المحفل المقدس، والثالث أو المحفل العظيم أو الملكي.

أما الأول: أو المحفل الإلهي، فقد افتتح في عام ٢٥١٥ حسب التقويم الأنولوسي، بعد عامين من خروج الإسرائيليين من العبودية المصرية بقيادة موسى وهو ذاهب وبيزاليل في الأرض المقدسة على سفح جبل حوريب في صحراء سيناء، حيث نصب بنو إسرائيل خيامهم، وجمعوا بعضهم لأداء صلوات الشكر والحمد لله الأعلى على منه بخلاصهم من أيدي المصريين. وهناك، ولكن قبل ذلك الوقت، فإن الله القوي العزيز كان قد تجلى مسروراً لعبده المخلص الأمين موسى، ليجعله رسوله الكريم، وليحل غضبه على فرعون وشعبه، ولكن ليمنح الحرية والخلاص لبني يعقوب. وهناك تم إبلاغ تلك الأشكال الخفية والنماذج الأولية، وخيمات الهيكل، وتابوت العهد، وألواح القانون المقدس التي تقشب بأصابع الله الأعلى بالوصايا السامية والشاملة للواجبات الدينية والأخلاقية. هناك أيضاً تم بحكمته التي لا تخطىء، تلك

الأشكال المتميزة للحضارة والدولة الدينية، التي بفضلها شعبه المختار عن كافة الشعوب الأخرى كان قد كرس إسرائيل على أنها الأداة المختارة لخدمته. ولهذه الأسباب تم ظهور وإعلان المحفل الأول أو الإلهي. أما سليمان ملك إسرائيل، وحيرام ملك صور وحيرام أبيف فقد ترأسوا المحفل المقدس الذي افتتح عام ٢٩٩٢ بحسب التقويم الأنولوسي. في قلب جبل موريا المقدس، في صميم وسط الأرض التي أقيم فيها حرم سانهيدريم الشريف فيما بعد. وفي تلك البقعة المقدسة أكد إبراهام إيمانه البديهي برفضه تقديم ابنه المحبوب إسحاق[١]، ضحية مقدرة على مذبح ربه، عندما طاب لله العلي القدير أن يقدم له صحبة أكثر قبولاً. وهناك على أعتاب أرونا الجيبوسي، قدم داود ضحية الوساخة التي بقيت بسببها اللعنة. وهناك في رؤية تجلت وأوحت له بمخططات الهيكل العظيم الذي قام ببنائه فيما بعد ابنه اللامع الشهير الذي قال الله عنه «إنه سيبني بيتاً باسمي وسأبني عرش مملكة إلى الأبد». ومن أجل هذه الأسباب تمت تسمية المحفل الثاني أو المحفل المقدس.

أما المحفل الثالث أو المحفل الأعظم والملكي، فقد أقيم في أورشليم وافتتح عام ٣٤٦٩ بحسب التقويم العبري أنولوسي. بعد وقت قصير من عودة بني إسرائيل من أسرهم البابلي، بقيادة زيروبابل. أمير الشعب، والنبي حاجاي، وجوشوا بن جوسيدق، الكاهن الأعلى. وعندما تمت استعادة السلطة الملوكية في شخص زيروبابل للسلالة الملكية لداود والعشيرة الأميرية لجودا، ولم يكن هناك أي أثر من ذلك قد تم محوه مرة ثانية إلا بعد تدمير أورشليم من الرومان في عهد الامبراطور تيطوس في السنة السابعة عشر من العصر الحاضر. ولذلك، ومن أجل تخليد ذكرى العودة، فقد دعي هذا باسم المحفل الثالث، أو المحفل الأعظم والملكي. ويوجد لدينا في هذا المحفل الخالي ما يشبه تلك المحافل العظمى الأصلية. وفي كل محفل ملكي رئيسي منتظم جيد التشكيل وصحيح

---

(١) لم يرفض إبراهام عليه السلام تقديم ابنه إسماعيل عليه السلام وإنما افتداه الله بذبح كبش فداء لولده بعد محاولات قام بها لذبح ولده ولم يفلح لأن السكين لم تذبح بمشيئة الله عز وجل.

التكوين فإننا نعترف بأن المحفل الإلهي الملكي الرئيسي في أورشليم هو ممثلنا، الله الرئيسيين الثلاثة يمثلون زيروبابل وحاجاي وجوشوا، ولذلك فهم يحملون أسماءهم. أما الكاتبان فيمثلان عزرا ونيحيميا المحاضرين والشراح للقانون المقدسي والعثمين على سانهيدريم العظيم. بينما أنتم أنفسكم فتمثلون النزلاء، الذين في مقابل غيرتهم وحماسهم وإخلاصهم في اكتشاف أسرار المحفل الملكي الأعظم. منحوا مقاعد بين أمراء وحكام الشعب، ممثلين في بقية الرفاق.

ز/ زيروبابل:

(يعطي للرئيسيين أربع نقرات) إنني الآن أسترعي انتباهكم إلى رفيقكم المحترم حاجاي يلقي محاضرته الرمزية.

خطاب الكرسي الثاني

المحاضرة الرمزية

هـ/ حاجاي:

أيها الرفاق إن أشكال ورموز وزخارف المحفل الماسوني الملكي الرئيسي، بما في ذلك الشعائر والطقوس المستخدمة لديكم في الوقت الحاضر كان قد تبناها أسلافنا لدى بنائهم الهيكل الثاني كما ينبغي أن يحتفظ في أذهاننا بالوسائل التي منحتنا إياها العناية الإلهية التي تمت بواسطتها استعادة هذه الأسرار القديمة، لنطبع في قلوبنا تلك الدروس المجيدة عن الأخلاق التي يتحتم علينا كأعضاء على هذا المستوى العالي من المراتب أن نطبقها ونمارسها في أفعالنا.

إن شكل المحفل الملكي الرئيسي، عندما تم ترتيبه بصورة صحيحة، تم ذلك بحسب ما سمحت به الظروف، ألا وهو شكل القنطرة الكاتينارية (السلسلية)، وعلى هذا فقد احتفظنا بتذكار للمشعر القنطري السلسلي الذي كانت قد أودعت فيه الكلمة المقدسة، بينما من الطبيعة التي لا يمكن اختراقها

لهذه الأشكال التي تعتبر (قوة كافة أشكال العمارة إطلاقاً تعلمنا ضرورة المحافظة على خفايانا من التدنيس أو التجديف بالإبقاء على أقصى غايات السرية التي لا يمكن إفشاؤها. كما أنهم تمثل بصورة قوية الالتزام الذي لا يتغير بالنظام الاجتماعي وروح الاتحاد الأخوي، الذي أعطى عزيمة وثباتاً للمؤسسة الماسونية بأكملها، وبذلك مكن الماسونية من البقاء وتجنب دمار الامبراطوريات القوية ومقاومة اليد المدمرة للزمان. كذلك بما أن الأجزاء الثانوية في القنطرة الكاتينارية تمثل بثقلها بصورة طبيعية إلى المركز أو حجر العقد، الذي يستقطبها والذي يرص ويربط البنية بكاملها إلى بعضها، فإننا تعلمنا أن ننظر بكل تجلة واحترام ونخضع بابتهاج لكل سلطة أقيمت بصورة مشروعة سواء كانت مدنية أو تنظيماً ماسونياً.

إن حجر عقد القنطرة متمثل في المبادىء الثلاثة للمحفل. لأنه لما كانت أسرار القنطرة الملكية تتم استعادتها فقط عن طريق سحب حجر العقد إلى الأعلى، لذلك، يمكن لمثل هذه المعرفة الصحيحة للدرجة العليا أن لا يتم الحصول عليها إلا عبر تلك الكراسي المتعددة.

ففي المحفل الماسوني القنطري الملكي نعترف بستة أنوار، ثلاثة صغرى وثلاثة كبرى، فالثلاثة الصغرى تمثل نور القانون والأنبياء، وبعددهم نلمح إلى شرائعهم الأبوية والمختلفة والنبوئية، بينما الأنوار الثلاثة الكبرى فتمثل «الكلمة المقدسة» نفسها كما أنها تجسيدية للقوى الخالقة الحافظة المهلكة التي تتمتع بها الآلهة. وقد تم تركيب هذه الأنوار على شكل مثلث متساوي الأضلاع، وكل واحد من الثلاثة الصغرى يقطع الخط الذي يشكله اثنان من الكبرى وبذلك فإنه يقسم هندسياً المثلث الأكبر إلى ثلاثة مثلثات صغرى في أطرافها ويشكل رابعاً في الوسط وكلها متساوية ومتساوية الأضلاع. ويتجاوب هذا الترتيب الرمزي مع حرف ال «تي» الثلاثي الملغز والذي فيه زاويتان قائمتان على كل من الخطين الخارجيين وزاويتان في الوسط، وهذه الزوايا الثمان تتطابق في عددها مع تلك الزوايا الثمان الموجودة في المثلثات لأن الزوايا الثلاثة الموجودة في كل مثلث

تساوي مجتمعة زاويتين قائمتين. كما تصلح أيضاً ـ عدداً محدداً من الزوايا ويمكن أن تؤخذ في مجموعات خمسة مختلفة، وعندما تتحول في حملتها إلى زوايا قائمة، ستوجد أنها مساوية للأجرام الأفلاطونية الخمسة المنتظمة، التي تمثل العناصر الأربعة والكرة السماوية الكونية.

أما الوشاح الذي يلبسه الرفاق فهو رمز مقدس، يعني النور، المؤلف من لونين من الألوان الرئيسية التي نسج منهما ستار الهيكل وخيمه العهد. كما أن قداسته أعطيت له أهمية أكبر عن طريق شكله المنير المشع، حتى أنه كان يعتبر رمزاً للجلال والشرف والقوة.

بينما الإشارات الموضوعة على العصي التي يحملها الرفاق فهي رموز مميزة للقبائل الإسرائيلية الاثنتي عشرة، كما أنها رمز لنعمة وبركة ورثتها كل منها من الأب (البطريق) يعقوب، الذي قام قبل وفاته بوقت قصير بتجميع أبنائه مع بعضهم لذلك الغرض، كما نجد ذلك مدوناً في الفصل التاسع والأربعين من سفر التكوين، كما تمت الإشارة إلى القبائل في الفصل الثاني من سفر العدد. كذلك فإن الأعلام الأربعة الرئيسية تمثل الرايات القيادية للفرق الأربعة لجيش إسرائيل، إنها تحمل شارات إنسان وأسد وثور ونسر. أما الإنسان فليمثل العقل والفهم، والأسد الشجاعة والقوة. والثور ليمثل الصبر والجلد وتحمل المشاق، والنسر ليشير إلى السرعة والوضوح التي تتسم بها الإرادة والابتهاج التي يتمتع بها دائماً «الأنا» العظيم. ولكن الرموز الموجودة على الصولجانات فتعني الوظائف الملكية والنبوئية والقدسية، والتي كانت كلها وينبغي أن تكون، قد منحت بصورة معينة مصحوبة بنقل أسرار معينة محددة خاصة.

أما الكتاب المقدس والمثلث والفرجار فهي الرموز الصحيحة المناسبة للأساتذة العظام الثلاثة الذين يترأسون مبنى الهيكل السابق. فالكتاب المقدس يعني حكمة الملك سليمان، والمثلث فيرمز إلى قوة الملك حيرام، والفرجار إلى المهارة الباهرة لحيرام أبيف. إلا أن الماسوني المتأمل فإنه يعتبرها مقاييس للحكمة والعدل الذي لا يخطىء التي يتمتع به «الأعلى» وقد مثل لحكمته بصورة

مفصلة وواضحة جلية، في كتاب القانون المقدس، الذي يحتوي على سجل لممارسات قوته العظمى، كما أنه سجل لإرادته الواضحة الجلية. وقد وصفت حقيقته، وحق لها ذلك، عن طريق المثلث، الذي كان معترفاً به على أنه رمز للقوة ومقياساً للإتقان، بينما عدالته غير المتحيزة والنزيهة والتي لا تخطىءد في تحديده من أجل إرشادنا حدود الخير والشر، وتخصيص لكل إنسان نصيبه من السرور والألم، فتظهر بصورة مشرقة واضحة في الفرجار، الذي يمكننا بواسطته تأكيد وتحديد وتقرير الحدود والأجزاء والنسب لكل شكل هندسي وتحويل أفكارنا وآرائنا عن نسبها وتناسقها وتساويها إلى مقاييس معيارية محددة.

كما تبنى ماسونيو القنطرة الملكية السيف والمالج لتخليد ذكرى شجاعة أولئك الرجال الذين ساعدوا على بناء الهيكل الثاني، والذين كانوا والمالج في يدهم والسيف على جنبهم كانوا دائماً مستعدين للدفاع عن «المدينة» والحرم المقدسي ضد الهجمات التي لم يثيرها والتي كان يقوم بها أعداؤهم. وبذلك فإنهم أعطوا درساً مؤثراً وفعالاً لا ينسى للأجيال القادمة، والذي يعني ضمناً الطاعة والولاء لكل سلطة تمت إقامتها بصورة مشروعة، كما أن المقاومة الرجولية والعنيدة للعنف غير المشروع هو أول الواجبات الاجتماعية. وكان المخل والمعول والمجرفة والأدوات التي استخدمها السكان الذين أرسلوا لإعداد الأرض وتمهيدها لوضع أساسات وبناء الهيكل الثاني. فالمخل لتفكيك الأرض وجعلها رخوة، والمعول لرفع ما فككه المخل والمجرفة لإزالة الركام والتراب الرخو. وقد رمزنا لهذه الأدوات: بأن ضربة المخل تذكرنا بالنفخة الثانية في الصور أو البوق الأخير، عندها ستكون الأرض قد اهتزت، وطويت الأرض والجبال والموتى من الأجداث ينسلون حيث أخرجت الأرض أثقالها. أما المعول فقد كان رمزاً للاستقامة حيث يشير إلى الطريقة المنتصبة التي ستنهض فيها الجثة في ذلك اليوم المشهود لتلقي الحكيم العظيم الرحيم الذي إليه مآلها، بينما الطريقة التي سجيت بها الجثة في القبر فقد تم وصفها بصورة كاملة بعمل المجرفة، وعلى هذا فإننا بكل خضوع وخشوع وثقة نأمل بأنه عندما

تخرج الأرض أثقالها من هذه الرمم الدنيوية وتصبح عارية مكشوفة أن تصعد الروح إلى حياة الخلود والنعيم المقيم.

(أعطى المسؤولون النقرات الأربع) ولذلك فإنني سأتقدم بإعطائكم المحاضرة الرمزية (ذات المعنى الروحي أو الباطني).

خطاب الكرسي الأول

المحاضرة الرمزية

أيها الرفاق: إن المعرفة الرمزية الروحية لهذه الدرجة العليا تشتمل على أشكال وشروح وتأويلات الإشارات المقدسة، وطبيعة وأهمية الكلمات الإلهية المقدسة، والمراسم التقليدية التي يجب مراعاتها لدى المشاركة في نقل أسرارنا. ففي المحفل الماسوني القنطري الملكي، نعترف بخمس إشارات تتقابل في عددها مع النقاط الخمس للزمالة، التي سبق للماسوني الأستاذ أن بلغ بها وتعلمها. وبما أن هذه النقاط خارجة عن الواجبات النسبية التي يدين فيها الواحد منا للآخر، كذلك فإن إشارات القنطرة الملكية تشير بطريقة خاصة معينة إلى العلاقة التي نحملها أو نكنها «للأعلى» كمخلوقات مذنبون وآثمون إزاء إرادة وقوة عزته ومشيئته، ومع ذلك ما زلنا الأطفال الذي يلتمسون رحمته ويرجون عفوه وغفرانه.

إنني الآن سآتي على ذكر الإشارات، وأنت يا رفيقي الجديد العزيز، ستسمو وتقوم بنسخها. فهذه هي الإشارة «الجزائية» المتعلقة بالعقوبات، الإشارة الصحيحة الوحيدة في الماسونية التي تؤدى باليد اليسرى. إنها الإشارة التوقيرية لأداء التحية، والتي تستخدم في كافة المناسبات عند الدخول أو الخروج من المحفل أو عند مخاطبة الأعضاء الرئيسيين. إنها الإشارة الجزائية أو التضرعية التوسلية، التي تؤدى على ركب راكعة وأيد مرتفعة بالضراعة. وهذه هي الإرشادات. فالأيدي تحيط بالخاصرتين، والإبهام إلى الأمام. وهذه هي

الإشارة «الإيمانية» المبنية على التقوى. والآن يمكنكم أن تتخذوا مقاعدكم، وسأقوم بشرحها بصورة أكثر تفصيلاً.

إن الإشارة الجزائية تشير إلى عقوبة واجباتنا (ما أقسمنا عليه) كما تلمح إلى زلة آدم، ولذلك فإن العقوبة الهائلة التي اقتضتها تلك الزلة لتفرض على ذريته (ذرية آدم) الآثمة ليست أقل من الموت. إنها قد تم الإعلان عنها في صميم الإجراء القائل بأن العنيد المتكبر والعاصي سيفصل عن أرض الحياة بحكم من الله، حتى ولو أن الرأس فصل عن الجسد بفعل سيف يمثل العدالة البشرية.

لتجنب ذلك فقد علمتنا إشارة التحية والاحترام أن ننحني بخضوع وذلة واستسلام تحت يد الله شديد العقاب وفي نفس الوقت نطعم قلوبنا قوانينه. بهذا الشكل الواضح المعبر مثل أبو الجنس البشري أمام الله الأعلى، ليستمع إلى حكمه العادل بالرغم من أنه مخيف، كما أن هذه الإشارة تبناها فيما بعد أستاذنا العظيم موسى، الذي، عندما تجلى له الله في الشجرة المشتعلة، على سفح جبل حوريب في صحراء سيناء، قام بتظليل عينيه من النور الساطع للتجلي الإلهي، ووضع يديه على قلبه، إشارة إلى الطاعة والخضوع، وهذه الإشارة فرضت عليه فيما بعد لتكون إشارة الصلاح والاستقامة.

قد تعتبر إشارة الاحترام والتحية بحق الإشارة التكفيرية الابتهالية التضرعية الأم وذلك لأنها تعني بصدق أن قلبنا وعقلنا عندما يكون خالياً منها فإن صلاتنا ونسكنا وقرابيننا التي نقدمها حمداً له وتسبيحاً لا يمكن أن تجد قبولاً لدى عرش الجلال والرفعة، الذي أمامه كيف يجب على كل مخلوق هش ضعيف خاطىء، مخلوق من التراب، أن يمثل أمامه إلا راكعاً على ركبتيه ويداه ضارعتان إلى الأعلى، مشيراً بذلك إلى الخضوع والاستسلام والندم؟ هكذا ركع آدم لله وطلب البركة والنعمة من لدن مؤلف وجوده ومبدعه. هكذا أيضاً انحنى نادماً متذللاً تغشاه الرهبة أمام زوجه قاضيه الذي أسيء إليه، لينجو من غضبه وسخطه

ويلتمس رحمته وعفوه، وحول هذا الشكل الخارجي للخضوع والذلة والندم إلى ذريته إلى الأبد.

أما الإشارة التحذيرية فتذكرنا بضعف طبيعتنا البشرية، وعجزها عن أن تقوم وحدها بمقاومة قوى الظلام ما لم يعنها على ذلك النور من الأعالي. حيث إننا بهذا الموقف العاجز الضعيف الذي لا حول له ولا قوة والذي لا يوجد ما يحميه نعترف بضعفنا الشامل كما نقر أيضاً بأنه ليس بمقدورنا القيام بأي عمل صالح أو صلاة أو خدمة مقبولة إلا بهداه الذي منه كافة الأعمال الصالحة والعادلة تنبثق، والذي بدون رحمته الإلهية وهدايته الخاصة كان علينا أن نبقى عباداً غير صالحين في نظره.

لذلك اقتداء بطريقة أسلافنا المقدسين، الكهان الأوابين التوابين بهذا الشكل الخارجي من إيمان والتوكل، الإشارة الإيمانية، نقوم بإظهار ذلك بسجودنا مكبين على وجوهنا على الأرض. إننا يجب أن نضع أنفسنا تحت رحمة خالقنا وحكمنا جل جلاله، متطلعين بخضوع ورجاء مقدس في الحصول على وعوده المباركة. والتي هي الطريق الوحيدة التي نأمل من خلالها أن يختار قنطرة الخلاص إلى رحاب صروح البركة والمجد، في حضرته الذي هو أنا ربكم الأعلى، الأول والآخر، الظاهر والباطن، المبدىء والمعيد وهو على كل شيء قدير.

ولدى بناء هيكل الملك سليمان، تم تعيين عدد كبير من البنائين، وقد وجدت أسماؤهم أو علاماتهم منقوشة على معظم أجزاء المبنى، إلا أن أسماء الأساتذة الثلاثة العظام الذين ترأسوا الأعمال، فلم يعثر عليها في أي مكان إلى أن تم اكتشافها في القنطرة الملكية، عن طريق المقيمين هناك الذين كانوا قد أرسلوا إلى هناك لإعداد الأرض وتمهيدها لوضع أساسات الهيكل الثاني. ويقوم في وسط القبو كتلة من الرخام الأبيض، مصنوع على شكل مذبح البخور، مكعب مزدوج على سطحه لوجه من الذهب، كشعار للبراءة والطهر الخالص ونقاء الذهب.

وقد نقش على الواجهة الأمامية الحروف الأولى، للأساتذة الثلاثة العظام الذين ترأسوا الأعمال في الهيكل السابق، أي الملك سليمان ملك إسرائيل، وحيرام ملك صور، وحيرام أبيف، ويعني ذلك تخليد أسمائهم بالإضافة إلى تخليد ذكرى الظروف والإجراءات التي اتخذت وتمت ممارستها في إقامة ذلك البناء، كذلك كان هناك حرف أل تي الثلاثي الأضلاع القائم الزوايا الرمزي، كعلامة أو رمز ملحق بكنيات (أسماء أسر) بنائي القنطرة الملكية، وأحياناً للدلالة على شيء أكثر من الأهمية العادية التي يتمتعون بها. وقد أخذ حرف الـ «تي» بالإنجليزية من العبرانية، وهي علامة أو إشارة تكلم بها الملاك الذي رآه أبزيقيال (أو حيزيفيال) بروحه، عندما قيل للرجل الذي معه محبره الكاتب: «اذهب عبر وسط المدينة، أنحاء مدينة أورشليم، وضع علامة على جباه أولئك الأشخاص الذين يشيرون أو يصحون بسبب كافة الأعمال السيئة البغيضة التي يتم القيام بها في المدينة». وهي العلامة التي تم بواسطتها تمت نجاتهم وإنقاذهم من بين أولئك الذين حل بهم مقت الله وغضبهم بسبب وثيقتهم فكانوا من الهالكين. وقد كانت هذه الإشارة، في العصور الغابرة توضع على أولئك الذين يبرىء القضاة ساحتهم لدليل على براءتهم، وقد جعلها القادة العسكريون توضع على جباه الأشخاص الذين يعودون سالمين من ميدان المعركة، إشارة إلى أنهم يتمتعون بحياة كاملة سليمة. فلهذه الأسباب اعتبر هذه الإشارة دائماً على أنها علامة أو إشارة إلى الحياة. ورموز هذه ال «تيئات» (حروف ال T) التي وصفت هنا تشير إلى الآلهة الذين قاموا بتغيير تلك الفوضى الشاملة الكئيبة المرعبة إلى شكل منتظم للوجود السلمي.

ويوجد على هذه اللوحة الذهبية دائرة ومثلث، وهذه الأشكال الرياضية كان يتم اختيارها دائماً على أنها تشير إلى الآلهة أو إلى بعض الصفات أو المميزات الإلهية. فالدائرة شعار الأبدية، لأنه لما كانت لا بداية لها ولا نهاية فقد يعتقد ويحق أنها نموذج لله، بدون بداية بأيام أو سنوات، كما أنها تذكرنا

باستمرار بالحياة الأخرى العظيمة حيث نأمل في أن نستمتع فيها بحياة الخلود وأن ننعم فيها بجنة الخلود ونعمها التي لا تزول.

والكلمة على الدائرة هي «يهوه» ذلك الاسم العظيم الهائل الذي لا تدركه العقول اسم الله العلي الأعلى. إنها تشير بجلال وإكبار إلى أنني أنا الله، الأول والآخر، والظاهر والباطن، والمبدىء والمعيد، الذي كان، ولا يزال وسيبقى القوي ذو الجلال والإكرام. إنه اسم الله الحق الأزلي الأبدي المغير الذي لا يتغير وهو على كل شي قدير، الواجب الوجود لذاته والذي خلق كل شيء، والذي كان ولا يزال وسيبقى على ما كان ويكون من الأزل إلى الأزلية، وهو الحي القيوم والذي يقوم الكون على مشيئته وإرادته وقوته.

وفي العصور الغابرة كانت أسماء الله ورموز الألوهية بصورة دائمة توضع ضمن أشكال على شكل مثلثات. ففي أيام فيثاغوروس، كان المثلث يعتبر أكثر الشعارات قداسة وعندما يراد أداء أي قسم ذي أهمية غير عادية، كان يتم أداؤه بصورة لا لبس فيها ولا خلاف على المثلث، وعندما يتم أداء القسم على هذه الصورة فلم يعرف عن أي إنسان قط أنه حنث بذلك القسم. كذلك فإن المصريين القدماء أطلقوا عليه العدد المقدس، أو رقم الكمال، وهكذا فقد مجده الأقدمون بحيث أصبح بينهم شيئاً يعبد وتقدم له الصلوات. لقد أعطوه اسم الله المقدس، مؤكدين على أنه يمثل الممالك الحيوانية والمعدنية والنباتية، كما أطلقوا عليه اسم «أبرويث» الذي يعني روح الطبيعة. وغالباً ما كانت هذه «الدلتا» المقدسة توضع عادة ضمن مثلث ودائرة، وبذلك تعبر عن تأثيرها المحيي، مادة فروعها في كافة أنحاء الطبيعة التي أحسن خلقها وإبداعها، ولذلك كان ينظر إليها دائماً على أنها القوة العظمى و«الخير الأسمى».

لذلك فإن الكلمة الموجودة على المثلث معناها أن ذلك «الاسم» المقدسي والرمزي ألزمت نفسك به بصورة مقدسة يجب عليك أن لا تنطقه، إلا بحضور ومعاونة اثنين أو أكثر من رفاق القنطرة الملكية أو في حضرة هيئة مشروعة من أعضاء القنطرة الملكية أثناء علمها لمسؤول أول رئيسي. إنها كلمة

مركبة ومجموع مفرداتها تشكل الكلمة «ياه ـ بول ـ اون» إنها بأربع لغات الكلدانية، والعبرية، والسريانية، والمصرية. فياه هي الاسم الكلداني لله، يعني «جوهره الذي لا تحيط به العقول». كذلك إنها كلمة عبرية تعني «أنا الكائن وسأكون» وبهذا فإنها تعبر عن الوجود الحقيقي والمستقبلي والأزلي الأبدي لله العلي القدير. وكلمة «بول» فهي سريانية تعني الله أو القوي، إنها بحد ذاتها كلمة مركبة كانت تكونت من إعادة وضع «بيث» بمعنى في أو على، أمام «أول» بمعنى السماء أو الأعلى، لذلك فإن معنى الكلمة إله السماء أو سيد الأعالي أما «أون» فهي كلمة مصرية قديمة، تعني أب الجميع، وبذلك فإنها تعبر عن القوة الكلية لأب الجميع، والتي تعني ما يقال في تلك الصلاة المشهورة المعروفة لدى الجميع، التي تقول «أبانا» الذي في السماء. وعلى هذه فقد يمكن جمع مختلف هذه الكلمات على النحو التالي: أنا الكائن الباقي، رب السماء في الأعالي».

يا أب الجميع، في كافة العصور
المعبود في كافة الأقاليم والمناخات
من قبل القديس، والمتوحش والحكيم
يهوه، جوف، أو الله

كذلك فإن الرموز الموجودة على زوايا المثلث بالغة الأهمية، بالرغم من أنه ليس مهماً من أين تبدأ المجموعة، وذلك لأن كل واحد منها له مرجع ومستند في الآلهة أو بعض الصفات المميزة للآلهة، إنها الألف والباء والحرف الثاني عشر في العبرية، التي تقابل حرف الـ «إيه» والـ «بي» والـ «إل» في اللغة الإنجليزية. فلو أخذنا الألف والبيت فإنها تشغل إيه بي والتي هي «أب». وإذا أخذنا بيت وألف والحرف الثاني عشر من الحروف العبرية، فإنها تشكل «بعل» التي معناها إله أو سيد. وإذا أخذنا الألف والحرف الثاني عشر، إل. فإنها تشكل إيه إلى والتي تعني كلمة. وإذا ما أخذنا ال إل والألف والبيت فإنها تشكل ال إيه بي، التي تعني القلب أو الروح، وإذا أخذنا كل مجموعة ككل، فإنها ستقرأ أب بعل أي أب، إله. الـ بعل كلمة، إله، لاب ـ بعل، روح، إله.

وعلى هذا، فإن مجموعتي المقدمة حديثاً، هي أفضل شرح أو تأويل يمكنني إعطاؤه لهذه الكلمات والرموز، كما أنها تثبت أن القنطرة الملكية هي ذروة الماسونية وقمتها، وأنها في جوهرها وصميمها ممزوجة بكل ما هو أقرب إلينا وأعز لدينا في حالة مستقبلية لوجودنا، فقد تداخلت المسائل الإلهية بالبشرية بصورة متبادلة ومحكمة الأسر في كافة خطبها وأبحاثها، فيوجد لديها فضيلة تهدف إليها، وتمجيد لله لموضوع لها، كما أن رفاهية الإنسان وسعادته ينظر إليها بعين الاعتبار في كل جزء ونقطة وحرف من رموزها المعصومة وخفاياها التي لا يأتيها الباطل من أمامها ولا خلفها، ويكفي القول بأنها تقوم على الاسم المقدسي «يهوه» الذي كان مثل كل شيء، وما زال، وسيبقى واحداً نفسه إلى الأبد، كما أن الوجود بالضرورة في ذاته أو منبثق منه في منتهى الإتقان والكمال المتأصل في جوهره.

أيها الرفاق، إنني أعهد إليكم، بأنه فيما إذا كنتم على وشك أن تذكروا ذلك الاسم المقدس الرمزي باستخفاف أو عدم تقدير وإجلال، أن تتوقفوا وتضعوا أصبعكم على شفاهكم وأن تتذكروا العقوبة التي ستحل بكم لحنثكم بقسمكم. فهذه الدرجة العليا تلهم أعضاءها أعلى وأسمى المفاهيم الخاصة بالله، كما تقوده إلى ممارسة أسمى درجات الورع والتقوى وأنقاها. وتقديم آيات الإكبار والإجلال «ليهوه» الحاكم الأزلي الأبدي للكون، عنصر الحياة ومنشئها والمصدر الرئيسي لكافة قواعدها، ورأس النبع الذي تتدفق منه كافة الفضائل.

تفسير مسألة الجوهرة:

(لا تعطى هذه كمحاضرة، بل غالباً ما ترد ضمن الطقوس المطبوعة. وقد ذكر هنا فقط الفقرات الافتتاحية والختامية، أما البقية فهي عبارة عن بحث محل عن الهندسة الرمزية في مصطلحات مستعصية على الفهم إلا بالنسبة للدارس لفلسفة أفلاطون كما شرحها الأحبار الصوفيون اليهود).

إن جوهرة الرفيق في القنطرة الملكية عبارة عن مثلث مزدوج، يدعى أحياناً خاتم سليمان، داخل حلقة ذهبية مستديرة وفي الأسفل يوجد لفة (درج) لتثبت عليه الكلمات «نيل نيس كلافيس ديست» (لسنا بحاجة إلا إلى المفتاح) كما نقش على الدائرة الشعار «سي تاليا جونجير يوسيس سيت ساير ساتيس (إذا لم تستطع فهم هذه الأشياء فأنت تعرفها) أما على المثلث فقد نقش» إيفكامين (يوريكامين» يا مواطني العالم، لقد عثرنا على عبادة الله). أما على وجه الآخر من الحلقة الذهبية فقد نقشت الكلمات (ديو ريجي إيت فراتر يباس، هنر، فيديتيتاس بني فولتسيا) «الشرف والإخلاص والإحسان لله وللملك وللإخوان» أما على الوجه الآخر للمثلثات فقد نقشت الكلمات «الحكمة» القوة، الجمال، السلام، الوئام، الحقيقة» يوجد داخلها مثلث آخر، وقد بدت الشمس في الوسط مشعة بنورها مع فرجار قد برز من الشمس علق فيه كرة تمثل الكرة الأرضية، وتحتها جميعاً مسطرة على شكل حرف تي، تعني بين أشياء خفية أخرى، المعبد في أورشليم. إنها تعني أيضاً «مفتاح الكنز، والمكان الذي أخفي فيه شيء ثمين، أو الشيء الثمين نفسه». كما أن من المعتاد أن يضاف على الدرج (اللفيفة) تاريخ ترفيع حامل تلك الشعارات.

وهذه الجوهرة، بتقاطعاتها، تشكل عدداً مفروضاً من الزوايا، تؤخذ في مجموعات خمسة متعددة، والتي يعد أن تكون قد تحولت كمياتها إلى زوايا قائمة، ستكون مساوية لخمسة أجرام أفلاطونية (مثالية) منتظمة، تمثل العناصر الأربعة، والحرم الكوني. وسيتم اكتشاف أن هذه المجموعات تقابل كل واحدة منها ما يقابلها في القيم الهندسية مع الأشياء الخمسة المادية المنتظمة، التي تدخل تحت المثلثات المتساوية والمتساوية الأضلاع، والمربعات المتساوية، والخماسيات المتساوية والمتساوية الأضلاع أي الرباعي السطوح، والمجسم الثماني السطوح، والمكعب، والعشروني السطوح، والاثني عشري التي كان يستعملها الأفلاطونيون للتعبير عن العناصر الأربعة لجرم الكون.

وفي الختام. لندع انتباهنا يتجه نحو الحقيقة القائلة بأن جوهرة القنطرة

الملكية على هذا الأساس، تزودنا بشعار لتلك الصفات العظيمة التي تعزى إلى الله. أبديته وثالوثيته. فالصفة الأولى تمثلها الحلقة التي تحيط بالجوهرة، والثانية تمثلها العلاقة التي تحمل الأجزاء المكونة لها المسطرة على شكل حرف تي، أو حرف ال «تي» الثلاثي الأضلاع. بينما نجد عن طريق المساوي في تلك الأجزاء من المجسمات الخمسة التي تعبر عن العناصر الأربعة والجرم الكوني، ما يذكرنا بالمزيد من قوته المبدعة الخلاقة، الذي كون أولاً العناصر من العدم وكون منها ذلك الإطار القوي الذي يدخل ضمن محيطه الشامل، ما لا يحصى من العوالم، وكل منها يحتوي على ملايين الكائنات الحية التي تعتمد على مشيئته ورحمته. إن الجوهرة التي يتقلدها كل رفيق على صدره يجب أن تبث فيه ما لا حد له من الاحترام والإجلال لذلك الكون الذي لا تبلغ مداه العقول والذي بأمره انبثق العالم من الفوضى الشاملة إلى النور. وتمت ولادة كافة المخلوقات، التي تهديها حكمته التي لا تحد والذي إنجازه العميم الذي لا يحصى يحفظ ويبارك كل عمل صنعته يده وأبدعته قدرته

تنصيب الرؤساء المسؤولين:

إن الأنظمة التي يتم بها تنصيب الرؤساء مختلفة، فبعضها يعطي الأسبقية «الزيروبابل» ثم حاجاي وأخيراً جوشوا، بينما تقوم أنظمة أخرى بتنصيبهم على العكس. وهناك حجج تساق لتبرير كل من الإجراءين، إلا أن معظم الطقوس المطبوعة (مهما كان نوع التنظيم العامل) تبدأ بجوشوا وتنتهي بزيروبابل وربما كانت هذه هي الممارسة الأسبق في الوجود.

إن كل كرسي (أو رئيس) هو من ناحية مساوية لدرجة منفصلة مستقلة، أي أن لها أسرارها الخاصة التي تحتفظ بها لنفسها والتي هي مجهولة من المسؤولين الأقل مرتبة ولا يعرفون عنها شيئاً. فجوشوا، على سبيل المثال لا يعرف كلمة إشارة حاجاي أو زيروبابل، ولكن حاجاي يعرف كلمة وإشارة جوشوا (الكرسي الذي من المفروض أنه كان يحتله السنة السابقة) ولكنه لا يعرف كلمة وإشارة

زيروبابل. وفقط في هذه السنة الثالثة من تسلمه منصبه، لدى تنصيبه ليحتل الكرسي الأول لزيروبابل، يتعلم الرئيس أسرار كافة الكراسي الثلاثة. إذن يوجد هناك اجتماع سري منفصل لكل واحد من المناصب الثلاثة الرئيسية، ينبغي أن لا يحضره كافة من هم تحت تلك المرتبة من الاجتماع السري الخاص.

فإذا كان الذي سيتم تنصيبه أولاً هو جوشوا (والمراسم هي نفسها إلى حد كبير في أي نظام أو ترتيب يتخذ) فإن الاجتماع السري لتنصيب الموظفين الرئيسيين يعلنه زيروبابل، والذين موجودين. يوضع منتخب جوشوا في الغرب ويمثله زيروبابل سابق في تنصيب الرئيس. والذي يكون في بعض المراسم (يشمل المطران) هو زيروبابل. بينما في أنظمة أخرى فإن كل مسؤول رئيسي يقوم بتنصيب خلفه قبل أن يتم تنصيبه هو نفسه في الكرسي الذي فوقه.

وبما أنه لا يمكن لأحد أن يصبح مسؤولاً رئيسياً أو بمرتبة رئيس ما لم يكن قد مر بكرسي الأخوية الماسونية، لذلك فإن إشارة وكلمة الأستاذ الذي تم تنصيبه (جيبلوم) مطلوبة من جوشوا المنتخب. وبعد ذلك قد يأتي دور مراسم الوضوء أو غسل الأرجل (غالباً ما يلغى هذا الإجراء) الذي يقصد به أن يذكرنا بأن «على كافة من هم على وشك الدخول في جماعة الكهنة أن يقوم بأداء سلسلة من التطهيرات والمسح بالزيت بحيث يؤدي الصلوات لله طاهر الجسم والعقل».

وبعد توجيه سلسلة من الأسئلة للبحث في مدى لياقته لمنصبه ورغبته الصادقة الإيمان للقيام بتلك المهام، يؤدي قسم الولاء والإخلاص والمحافظة على الأسرار، تحت العقوبات الواردة في قسمه السابق.

ثم يركع أمام كرسي منصبه بينما تقرأ له بعض فقرات من الكتاب المقدس، وهذه الفقرات هي آيات من سفر اللاويين، وسفر الأعداء، وسفر التكوين. وفي أثناء قراءة آية سفر اللاويين («بعد أن صب من زيت التكريس على رأس هارون وجسمه لتعديه») فإن جاشوا المنتخب كان يمس بالزيت أحياناً

بالرغم من أن هذا غالباً ما كان يسقط من بعض المراسم.

إن الأهمية الكهنوتية لهذه الآيات المقتبسة من الكتاب المقدس يتم عندئذ شرحها ويتم أداء صلاة مقدسة له. بعد ذلك ينهض من ركوعه ويعهد إليه بالأسرار. وهذه الإشارة هي العمل الذي قيل إن هارون قام به عندما «وقف بين الأموات والأحياء (سفر الأعداد) ووضع يده اليسرى على أنفه وأخذ يؤرجح منخره بيده اليمنى. أو الكلمة فهي إيل ـ إيلوه (إسرائيل) والموجودة في آيته الختامية رقم ٢٠ في سفر التكوين. ثم يخلع عليه باقته ورداءه وصولجانه (الذي يطلب منه أن يؤدي فيه التحية مع التكرير المستمر لكلمته في ذهنه دون الجهر)، كما يشرح له أهميتها ورمزيتها، وبعد ذلك يجلس في كرسيه ويحييه المسؤولون الرئيسيون.

كذلك فإن تنصيب حاجاي مماثل في معظم دقائقه وخواصه، حيث يعلن عقد الاجتماع السري لرؤساء الدرجة الثانية، وينسحب كافة أعضاء الدرجة الأدنى مرتبة. أما كلمة السر فهي «بيريث» التي تعني اجتماعاً سرياً. وآياته التي تقرأ من الكتاب المقدس هي ١ ـ ٢١ من سفر سومويل والآية ٦ من سفر الخروج ومن الآية ٢١ ـ ٢٧، بالإضافة إلى الآية ١ و٢ من سفر التكوين. وكما كانت آيات جوشوا من الكتاب المقدس تؤكد على مركزه الكهنوني، كذلك كان التأكيد على ناحية حاجاي النبوئية. أما إشارته فهي صليب تأتي مقلوب، قد جعل ضلعه الأيمن إلى الأسفل، والأيسر أيمن ـ رمزاً إلى شق البحر الأحمر، بينما كلماته فهي إيل ـ شاداي، الواردة بالعبرية في آيته الختامية. رقم ٢ في سفر التكوين.

أما تنصيب زيروبابل، الذي يتم في الاجتماع السري للرؤساء الأول، فيتم على نفس الطريقة. وكلمة السر هي «يندير» التي تعني يمين أو قسم. أما الآيات التي تقرأ له فهي ١ ـ ١٣ من سفر سومويل، و ٦، ١٤، ٣ من سفر الخروج و ٤ من سفر المزامير. وقد يتم مسحه بالزيت أثناء قراءة الآية ١٣ من سفر سومويل. كذلك يشرح له معنى المنصب الملكي. أما إشارته فهو عمل مثلث

مقابل لوجهه، يشكل فيه الإبهام القاعدة والسبابات الأضلاع، والذي ينظر من خلاله نحو المذبح. بينما كلمته تكون كلمة «جاه» من الآية ٤ من سفر المزامير. ويعبر النصح والحث الأخير عن الأمل في أنه سيستلهم سلوكه من «أسلافه الميامين في الأخوية العظيمة في أورشليم» في أدائه الآمين لواجباته.

ولا يستخدم النحر بصورة غالبة في هذه المراسم.

ولدى انتهاء مراسم التنصيب، يسمح للرفاق بالدخول، كما يقوم زيروبابل بتقليد الرتب للمسؤولين الآخرين، كتبه عزرا ونيحيميا، والمقيمين، والخازن ومدير المراسم والمشرفين والفراش.

الملحق (أ)

الأنواع المختلفة للطقوس في أسكوتلندا وإيرلندا وأمريكا

من المستحيل بحث كافة الاختلافات الطفيفة (والتي هي غير هامة بحال من الأحوال) في الأعمال التي تتم في المحافل العظيمة الشقيقة في الدول الناطقة بالإنجليزية. حيث لم يعد، ضمن نطاق هذه السلطات القضائية، يوجد تماثل مطلق أكثر مما هو موجود في إنجلترا، بالرغم من أن الكلمات. والمصافحات، ومعظم الإشارات بقيت ثابتة لم يطرأ عليها أي تغيير.

ومع هذا فإن أحد الملامح الفريدة في الماسونية الإنجليزية، هو المركز الذي تحتله القنطرة الملكية باعتبارها نهاية وقمة إنجاز الدرجة الثالثة. بينما هي في أسكوتلندا وإيرلندا وأمريكا عبارة عن عدة درجات عليا تحت سلطة قضائية مختلفة ومنفصلة عن الدرجة الثالثة بدرجات متوسطة. وهذا الأمر مشروح في الملحق ب، حيث تم وصف هذه الدرجات الأخرى.

أسكوتلندا:

لقد رأيت طقوساً تم نشرها (ومن الواضح أنها استخدمت) في أسكوتلندا والتي ما زالت تحتفظ ببعض الأساليب الغريبة البالية المهجورة غير الموجودة جنوب الحدود منذ البيان والكشف الذي نشر في القرن الثامن عشر ما عدا في المؤلفات الإقليمية الشمالية المطبوعة محلياً والتي ربما لم يتح لي الاطلاع

عليها. بينما من الناحية الثانية، فقد سبق لي أن طقوساً من التي نشرها ناشرون ماسونيون معترف بهم والتي فهم منها أنها تعطي معاني المؤلفات والأعمال السكوتلندية التي تختلف اختلافاً طفيفاً عن الطقوس الإنجليزية لذلك فإن النتيجة المؤقتة التي يمكن استخلاصها هي أنه يوجد هناك كمية لا يستهان بها من الاختلافات والتنوعات في الأشياء غير الجوهرية، كما أنه كان هناك كمية معينة من النزعة الإنجليزية التي عدلت في بعض الأماكن الاستخدامات السابقة.

فالمحافل الاسكتلندية كقاعدة من الناحية العددية أكبر من المحافل الإنجليزية، كما أنه من المسموح به الآن القيام بمراسم الانتساب والاجتياز والترفيع في خمسة محافل في وقت واحد، من أجل مجاراة الأعداد المتزايدة. بينما في إنجلترا فهو اثنان على الأكثر في وقت واحد.

وقد احتوى طقس ظهر تحت عنوان «أستاذ كبير إقليمي سابق» في فورفاشاير، وهو الطبعة الثانية عشر التي نشرت عام ١٩٥٠م، احتوى على العديد من الملامح التي لا شك فيها أنها قديمة غابرة لم تظهر في الطقوس الاسكتلندية التي سبق لي الاطلاع عليها.

فلو تناولنا، على سبيل المثال، قسم الدرجة الأولى، نجد أن المرشح يخلع نعله الأيسر ويناوله للأستاذ إشارة إلى العادة التوراتية لدى أداء القسم. ويبدو هذا نسخة طبق الأصل عن الرمزية الخاصة بانتعال الخف الذي ألحق به معنى مماثلاً. كذلك هناك سؤال قديم ملفت للنظر ظهر القرن الثامن عشر كان قد دخل في الطقوس «ماذا تدفع للماسونية؟» «حذاء قديماً، حذاء قديمة من أحذية أمي».

أما الحارس المقرر وجوده فقد احتفظ به (بالرغم من أنه لا يحمل ذلك الاسم) على أنه الجزء الأول من إشارة العضو المبتدىء الحديث الانتساب، والتي تكون فيها الأيدي مرفوعة أفقياً أمام الجسم، والكفان موضوعتان جانباً ويواجد الواحد منهما الآخر، اليد اليمنى فوق واليسرى تحت، تمثلان وضع الأيدي فوق وتحت الكتاب المقدس لدى أداء القسم.

كذلك فإن القسم نفسه يحتوي على بعض الملامح القديمة الغابرة. فالتكريس الشامل للمحفل الذي دفعه واحدة تقريباً (أي الذي يتم تجميع أعضائه بصورة منتظمة، وتشكيله حسب الأصول ويكرس لتخليد ذكرى القديس يوحنا المقدسة، قد تم الاحتفاظ به، الأمر الذي يبدو أنه كان قد تلاشى تقريباً في إنجلترا عندما أعلنت الأخوية الماسونية منا فيه للمسيحية. كذلك يوجد هناك أحد الملامح الأخرى القديمة وهو الفقرة التي تقول «إنني سوف لا أسمح بأن يصبح الأشخاص التالين ماسونيين، القاصر، والخرف والمجنون والأحمق والملحد، والشخص الواقع تحت تأثير الكحول، والمرأة تحت أي مظهر من المظاهر أو بحال من الأحوال».

أما في التحضير والإعداد للدرجة الثانية فإن المرشح يتم «وضع الغماء على عينيه، ويعرى صدره الأيمن ـ وليس صدره الأيسر كما هي الحال في معظم الأعمال الإنجليزية».

وبدلاً من «الخطوات الصحيحة» نحو الشرق في الوصول إلى القاعدة، يتم اتخاذ خطوة، خطوتين، وثلاث خطوات مفردة، جامعين الكعبين على شكل مثلث في الدرجات الثلاثة على التوالي. ومع ذلك، فإن الخطوات في الدرجة الثانية تتخذ «وكأننا نصعد درجاً ملتفاً» مكون من ثلاث وخمس وسبع درجات، ولكن ذلك يأتي بعد إعطاء الأسرار، لإحضار المرشح إلى الزاوية الجنوبية الشرقية، حيث يعطى له التكليف ويعهد إليه بالأسرار.

وهناك بعض الاختلاف في إشارة زمالة الأخوية. ففي إشارة التحية، على سبيل المثال، قد تدعم القبضة اليمنى الكوع الأيسر، وفي الإشارة الجزائية بدلاً من سحب اليد اليمنى على محاذاة الصدر وإنزالها إلى الجنب، فإن إيماءة تتم أحياناً وكأنها تعبر عن انتزاع القلب والتطويح به فوق الكتف.

ومع ذلك، فإن الصفة المميزة الرئيسية في إشارات زمالة الأخوية، هي المراسم الأكثر دراماتيكية ألا وهي الترفيع إلى الدرجة الثالثة. فبالرغم من أن هذا الإجراء المطول قد يختصر أو يلغى، فيبدو أنه من بعض المخلفات القديمة

الأثرية، وأنه لا بد أن يكون له بكل تأكيد تأثير أكثر حيوية على ذهن المرشح وتفكيره. ومع هذا فإن المراسم تسير كما هي الحال في المراسم الأخرى إلى الحد الذي تصل فيه إلى الذبح الرمزي الذي يقوم به الأستاذ الموقر الشرعي، ولكن فقط لا يتم إخفات الأنوار ولا يتم «الذبح» الرمزي للمرشح في هذه النقطة. وعلى هذا فإن المراسم على هذه الصورة ما هي إلا مقدمة تفسيرية، وقد يتبعها دراما على النحو التالي:

الأستاذ الموقر الشرعي: سينسحب المرشح الآن من أجل الإعداد لمزيد من المراسم.

(في أثناء وجود المرشح خارج المحفل تفرد أغطية القبر وتطفأ الأنوار. ربما يوضع الغماء على عينيه. ولدى عودته للدخول يقوده الشماسون إلى القيم الصغير).

القيم الصغير: (بصوت عال) من هو الذاهب إلى هناك؟

الشماس الكبير: حيرام أبيف.

القيم الصغير: إنه الرجل الحقيقي ذاته. أعطني أسرار الماسوني الأستاذ أو..

الشماس الكبير: (يقاطعه مسرعاً) أفضل أن أموت على أن أكشف النقاب عن الأسرار التي استودعتها.

القيم الصغير: إذن (يطرق عالياً بمطرقته).

(يسرع الشماسان بالمرشح إلى القيم الكبير، الذي تتكرر معه هذه المراسم. ثم إلى الأستاذ الموقر الشرعي، حيث يتم تكرارها ثانية، وفي هذه المرة فقط يتم «ذبح» المرشح بالأسلوب المعتاد، ويسجى جثمانه بالغطاء).

الأستاذ الموقر الشرعي: سيقوم الأخوان بملاحظة أنه في المراسم السابقة كما هي الحال في وضعه الراهن، فإن أخانا كان قد أعد ليتمثل أحد ألمع الشخوص الواردة في السجلات التاريخية للماسونية، ألا وهو حيرام أبيف.

الذي فقد حياته بسبب إيمانه الذي لا يتزعزع بالأمانة المقدسة التي عهد بها إليه. ولذلك فإنني على تمام الثقة واليقين، بأن هذا سيجعل مثل هذا! الانطباع في ذهنه وأذهانكم قويًا راسخاً بحيث يجعلكم تعملون بثبات وجلد مماثل. فيما إذا وضعتم في محنة مماثلة. (يتم القيام بمسيرة جنائزية أو عزف نوع آخر من الموسيقى المقدسة مع جرس يدق اثنتي عشر دقة).

الأستاذ الموقر الشرعي: أيها الأخ القيم الصغير، لقد حان الوقت ولم يستأنف الإخوان أعمالهم! فلماذا هذا؟

القيم الصغير: بسبب الاختفاء الرمزي لأستاذنا فإنه لا يوجد هناك مخططات عمل على لوحة الحامل، والعمل متوقف.

الأستاذ الموقر الشرعي: هل تم القيام بالتحريات الصحيحة المناسبة، أيها الأخ القيم الصغير؟

القيم الكبير: لقد تم القيام بها، إلا أنه بسبب الإشاعات الدارجة، وخاصة غياب العدد ثلاثة من عددنا، فإننا نخشى أن يكون ألم به مكروه.

الأستاذ الموقر الشرعي: ما هي هذه الإشاعات، أيها الأخ القيم الصغير؟ لتلك الطبقة العليا من العمال الذين كانوا قد عينوا للإشراف على العمال الآخرين الباقين. وقد رأوا بأن الهيكل على وشك الانتهاء، وأنهم لم يحصلوا بعد على أسرار الدرجة الثالثة، قد تآمروا مع بعضهم للحصول على تلك الأسرار بأية طريقة. بل حتى إذا لزم باللجوء إلى العنف. إلا أنه عشية التخطيط لوضع مؤامراتهم موضع التنفيذ، تراجع اثنا عشر واحداً منهم مستنكرين وشاجبين، لكن ثلاثة من الذين هم أكثر تصميماً ووحشية وميلاً لسفك الدماء من الباقين، ما زالوا مصرين على تنفيذ مؤامراتهم الأثيمة.

الأستاذ الموقر الشرعي: ليتم القيام بالبحث والتفتيش الصارم.

(عندها مشوا مصحوبين ببعض الإخوان ببطء مرة واحدة حول القبر، مع إشارة الإخلاص والإيمان والموسيقى المهيبة المقدسة. وعندما انتهى الطواف،

طرق الأستاذ الموقر الشرعي بمطرقته، وتوقفت الموسيقى).

الأستاذ الموقر الشرعي: هل هناك أية أخبار أيها الأخ القيم الصغير؟

القيم الصغير: لا أخبار من أي نوع.

الأستاذ الموقر الشرعي: إذن ليتم القيام بالمزيد من أعمال البحث والتقصي.

(داروا مرة ثانية كالسابق حول القبر، ولكن هذه المرة بإشارة التعاطف).

القيم الكبير: بعد القيام بأبحاث كثيرة عقيمة وغير مثمرة، رجع فريق دون أن يكتشف شيئاً، ولكن فريقاً آخر كان أوفر حظاً، حيث إنه في مساء أحد الأيام، بعد معاناة الكثير من أنواع الحرمان والمزيد من الاجتهاد والعناء والتعب، أمسك أحد الإخوان الذي كان قد مال ليساعد نفسه على النهوض، أمسك بشجيرة نامية بقربه، حيث، ويا لدهشته بالشجرة تخرج في يده من الأرض بكل يسر وسهولة ودون قصد. ولدى قيامه بالفحص الدقيق وجد أن الأرض قد أثيرت في الآونة الأخيرة، لذلك فقد قام بتحية إخوانه وبمساعدتهم نجح في إعادة كشف التربة، حيث وجدوا هناك جثة أستاذنا قد تم دفنها بصورة غير لائقة ولا محتشمة إطلاقاً. عندها أعادوا تغطيتها بكل تقدير وإجلال واحترام ووضعوا غصناً من الأكاسيا (شجر السنط) على رأس القبر لوضع علامة على الموقع. وأسرعوا بالحضور إلى هنا لنقل النبأ المحزن الشديد الوطأة.

الأستاذ الموقر الشرعي: هل لديك أية أنباء عن الزملاء الثلاثة المفقودين أيها الأخ القيم الكبير؟

القيم الكبير: إن المجموعة الثالثة ما زالوا يواصلون بحثهم في ناحية جوبا؛ ونحن نترقب عودتهم بفارغ الصبر إلى أورشليم. ولدى مرورهم أمام فوهة مغارة سمعوا من داخلها أصوات نحيب وعويل شديد منبعث عن حزن وأسى، وكان أحد الأصوات يصرخ قائلاً «أوه ليت حنجرتي قطعت عرضاً بدلاً من أن كوني سبباً أدى إلى موت أستاذنا الصالح الخير». بعد ذلك صرخ آخر

بحزن وأسى قائلاً «ليت صدري شق ومزق كل ممزق بدلاً مساعدتي على قتل أستاذنا البريء. ومن ثم إذا بصوب أكثر أساً وانتحاباً يصرخ قائلاً «ليت جسدي قطع شطرين بدلاً من قيامي بضرب وقتل أستاذنا العظيم». وعلى أثر ذلك دخلت مجموعة البحث تفتيش المغارة، وألقت القبض على الزملاء الثلاثة المفقودين، وقيدتهم وأحضرتهم إلى أورشليم.

الأستاذ الموقر الشرعي: ليتلقوا العقاب اللازم لقاء جريمتهم النكراء!

(توقف مهيب رهيب).

الأستاذ الموقر الشرعي: دعونا نسير إلى قبر أستاذنا.

القيم الكبير: رأى غصن الأكاسيا!

الأستاذ الموقر الشرعي: وهل هذه إشارة مناسبة لرجل في براءة رجلنا! أيها الإخوان الشماسون أزيلوا الأوساخ.

(يكشف عن جثة المرشح).

الأستاذ الموقر الشرعي: (بحزن وأسى) وحاسرتاه! إنه هو!

(الكل يؤدي إشارة تحية المحفل السكوتلندي العظيم الخاصة بالحزن ويرددون في تناغم مع الأستاذ الموقر الشرعي الكلمات المواكبة «يا الله يا إلهي، يا الله يا إلهي، يا الله يا إلهي ألا يوجد معين لابن الأرملة؟» وبعد أن أصبح لا حاجة إلى مساعدة الإخوان عادوا إلى مقاعدهم).

الأستاذ الموقر الشرعي: أيها الأخ القيم الكبير، ستحاول رفع ممثل أستاذنا بمصافحة العضو المبتدىء.

يستمر أداء الطقوس كما ذكر في السابق، بالرغم من أن صلاة جنائزية مطولة ومقدسة تقام أحياناً على القبر بعد المحاولتين الفاشلتين لرفع الجثة.

وكانت بعض المحافل السكوتلندية تقوم بإجراءات أطول وأكثر تمثيلاً لهذه المراسم.

إيرلندا:

إن محفل إيرلندا العظيم غير عادي في هذه الناحية، إذ أنه بخلاف المحفل الإنجليزي والسكوتلندي، يوجد لديه طقوس مقررة كما يوجد لديه هيئة تحسين تابعة لهيئة المحفل الأعظم لنشر وإعلان هذه الطقوس. كما أنها تتسم بكمية أكبر من التناسق والتماثل، بالرغم من أنها بعيدة عن الكمال. إن هناك اختلافات بين محافل دبلن وبين محافل كورك على سبيل المثال. وبالرغم من الادعاء بأن «مُؤَلفاً إيرلندياً» قد تمت طباعته من قبل ناشر ماسوني في لندن، إلا أنه ليس دقيقاً بمعنى الكلمة، ولكن معظم أجزاء إيرلندا تواصل تحاشي استخدام طقوس مطبوعة كلية.

كذلك لا يوجد هناك لوحات متابعة في المحافل الإيرلندية، ولا (على الأقل في هياكل قاعة الماسونية في دبلن) تبرز كذلك شارة حرف ال جي».

أما الاختلافات الأكثر أهمية بين الأعمال الإيرلندية والإنجليزية فيمكن إجمالها على النحو التالي:

١ ـ أساليب الإعداد:

بالنسبة للدرجة الأولى فإنها هي نفسها كما في إنجلترا، ما عدا أن حبل السحب يلف ثلاث مرات حول العنق بينما في الدرجة الثانية، فإن المرشح مرة ثانية يجرد نقوده وأمواله لأنه في هذه الدرجة، وليس في الدرجة الأولى، يتم القيام «باختبار البر والإحسان». ويلف حبل السحب أو الجر حول عنقه مرتين، وتتوفر هناك محاضرة عن الأسباب الرمزية للإعداد إلا أنها لا تعطى دائماً.

٢ ـ كلمات السر أو الاجتياز:

لا يوجد لدى إيرلندا كلمات الاجتياز بين الدرجات فقط، بل يوجد لديها كلمات الاجتياز إلى الدرجة الأولى كذلك، والتي قد يطلب من كافة الإخوان إعطائها لإثبات أنفسهم. إنها تعطى نيابة عن المنتسب من قبل مرشده (أحد الإخوان الذي يرافق المرشح في المحافل الإيرلندية ويقوم بالدور الذي يقوم به الشماسون في إنجلترا). وكلمات الاجتياز هذه هي «بعون الله وبلسان الخير

أبلغ». وهنا أسباب تدعو إلى افتراض أن هذا استخدام قديم كان سائداً في السابق ولكنه أصبح الآن بائداً في إنجلترا. وربما لاتزال تستعمل في قليل من المحافل في اسكوتلندا.

٣ ـ القسم المقدس:

في كافة الدرجات الثلاث يلزم المرشح نفسه «جاملاً في ذهني العقوبة القديمة الخ الخ الخ. وملزماً نفسي تحت عقوبة لا تقل عن أن أوصم جزاءً وفاقاً بأنني حقير دنيء تافه كافر خائن..». والتي هي أكثر بعداً من أن يعترض عليها.

٤ ـ مراسم رفع الجثة:

إن هناك اختلافات هامة في قصة حيرام. ففي الأسلوب المعتاد، يكون الأساتذة العظام الثلاثة فقط الذين لديهم الأسرار الحقيقة للماسوني الأستاذ، إلا أنه، في الأعمال الإيرلندية، كان هناك من السابق، قبل إتمام الهيكل، فئة من الماسونيين الأساتذة، لديهم هذه الأسرار بالرغم من أنه لا يقوم بمنحها إلا الأساتذة العظام، وهذا شيء يضعف الدراما. إنه يجعل القتل أقل معقولية وقبولاً حيث يكون باستطاعة المغتالين الثلاثة القيام بمهاجمة أي ماسوني أستاذ من أجل إفشاء الأسرار بخطر أقل يعرضون أنفسهم إليه كما أنه يجعل فقد تلك الأسرار مصيبة أقل دراماتيكية وأهمية. حيث إن الآلاف ما زالوا يعرفونها، وفقدها بسبب موت واحد من ثلاثة مسؤولين ضروريين للقيام بمنحها للآخرين، تبدو من الناحية الفنية أقل من مأساة. ومع ذلك، فإن هذا الذي كان من قصص «الأقدمين» غالباً ما هو مماثل للأعمال الإيرلندية. فالكلمات وبهذه الطريقة تم رفع كافة الماسونيين الأساتذة من مستوى الأموات إلى مستوى الأحياء». (الأمر الذي يبدو أنه أعطى للطقوس صفة شبه مقدسة) تظهر فعلاً في الطقوس، وليس في المحاضرات.

هناك أيضاً بعض الاختلافات التافهة، فالنص المشكوك في صحته «بقوة سأقيم بيتي، ليبقى قائماً إلى الأبد» قد أسقطه كلية، وقد أقحم سؤال وجواب إضافي عندما يتم اختبار المرشح من قبل مسؤولين يرجعون إلى القادة الإيرلندية

في وضع اليد اليسرى على «المصافحة لإخفاء طبيعتها: «ما هي فائدة اليد اليسرى للماسوني؟» «لإخفاء المصافحة» أو «لتغطية العمل».

ولكن أعمال القنطرة الملكية في إيرلندا فهي مختلفة تماماً عن الأخوية، كما أنها تختلف اختلافاً كلياً عن أعمال المحفل الإنجليزي في القصص والأساطير، مع أنها متماثلة ومتشابهة في المعاني والرموز. إنها ليست مبنية على إعادة بناء الهيكل من قبل زيروبابل بعد صدور مرسوم سيروس، بل إنها مبينة على إصلاح الهيكل بموجب أوامر الملك جوسيا واكتشاف كتاب القانون (سفر الملوك ١٢، ٣ ـ ١٣، وسفر التواريخ الرابع عشر الآيات ٨ ـ ١٢)، لذلك فإن الرؤساء في هذه الدرجة في إيرلندا ليسوا زيروبابل، وحاجاي وجوشوا، بل جوسيا وشافان وحيلقيا. وبالرغم من حقيقة أن الكتاب المقدس يخبرنا بكل صراحة ووضوح بأن جوسيا التاريخي لم يقض وقتاً قصيراً ولم يدخر وسعاً في تحطيم مذابح بعليم وحرق عظاماً لكهنة الكافرين، فإن كلمة هذه الدرجة مع كل توابعها الخاصة ببعل قد استبقيت ولا تزال موجودة.

الولايات المتحدة الأمريكية:

بالرغم من أن البنية العامة وقصص وأساطير درجات الأخوية الثلاث لا تزال باقية، فإن الكلمات والصيغ في أمريكا مختلفة جداً وعلى العموم أكثر ثرثرة وذات لهجة نابية. والانطباع الذي تركته يجعل الأعمال الأمريكية عموماً أقل مكانة واحتراماً من مثيلاتها البريطانية. فهي في كثير من النواحي تبدو وكأنها اسكوتلندية أو إيرلندية بدلاً من أن تتبع التقاليد الإنجليزية والأساليب البريطانية، وربما كان السبب لأن هذه الأعمال قد أبقت على بعض الملامح التي كانت أيضاً في الأعمال الإنجليزية عندما تم تأسيس الماسونية لأول مرة في العالم الجديد، والتي تم تعديلها في إنجلترا بعد الاتحاد فمثلاً: كلمة الاجتياز تكون أحياناً مطلوبة للدرجة الأولى، كما أن الأستاذ يرتدي قبعة في المحفل عندما يكون مفتوحاً، ويرفعها لدى أداء الصلوات، ومما لا شك فيه أن هذا لو ما كان يمارس في بريطانيا العظمى.

ومع ذلك، فإن الطقوس الأمريكية الكاملة، وخاصة في الدرجة الثالثة، يبدو أنها كانت طويلة جداً، بحيث من الصعب التصديق بأنها لدى الممارسة لم تكن مختصرة. كما أنه لا يوجد هناك انسجام أو تشابه أو مماثلة بين ولاية وولاية وفي هذه الظروف فإن الاختلافات الأكثر أهمية يمكن أن نوردها فيما يلي:

١ **الإعداد**: يبدو أن أساليب الإعداد المعتادة تبدو على النحو التالي: يجرد المرشح في الدرجة الأولى من نقوده وأمواله ويغمى، ويوضع حبل جر ملفوف مرة واحدة حول عنقه. الذراع الأيسر والصدر الأيسر، والركبة اليسرى والقدم اليسرى كلها عارية ومكشوفة، بينما القدم اليمنى فمنتعلة خف. كما تتم تسميته أيضاً في الدرجة الثانية. وحبل الجر يبدو أنه (بالرغم من أنه دائماً قد لف مرتين حول ذراعه الأيمن فوق الكوع، والذي يكون عارياً. كذلك فإن الركبة اليمنى والقدم اليمنى والصدر الأيمن كلها تكون عارية، والقدم اليسرى منتعلة خفاً. بينما في الدرجة الثالثة يوضع غماء على عينيه مرة ثانية ويلف حبل الجر ثلاث مرات حول جسمه. كلا الصدرين وكلا الذراعين وكلا الركبتين والقدمين عارية ولذلك لا يوجد انتعال أو خف.

٢ ـ **الإشارات**: هناك نظام مختلف نوعاً ما سائد في أمريكا، حيث إن لكل درجة حراستها وإشارتها المقررة. فالحراسة المقررة هي إشارة أولية احتياطية تعطى قبل أداء الإشارة، ولها علاقة بوضع الأيدي لدى أداء القسم. ففي الدرجة الأولى يتم أداء هذه الإشارة واليد اليمنى فوق الكتاب المقدس واليد اليسرى، تحته وتعطى إشارة الحراسة لذلك عن طريق رفع الأيدي بصورة أفقية أمام الجسم على مساواة البطن تقريباً والكفان بجوار الواحد منهما الآخر، على مسافة ثلاثة إنشات تقريباً، اليسرى إلى الأسفل واليمنى فوق. وهذه الإشارة هي الإشارة الجزائية المعتادة في انتساب العضو المبتدىء.

أما في قسم الدرجة الثانية فإن اليد اليمنى توضع على الكتاب المقدس واليسرى (كما هي الحال في إنجلترا) مرتكزة في زاوية المثلث. ولذلك فإن إشارة الحراسة اللازمة تعطى باليد اليسرى بصورة مماثلة لإشارة التحية الخاصة

بالزمالة، مع رفع اليد اليمنى أفقياً أما الجسم والكفان متجهان إلى الأسفل، على مساواة زر الصدرية. والإشارة هنا مشابهة ومماثلة للإشارة الجزائية الخاصة بزمالة الأخوية.

بينما قسم الدرجة الثالثة فيتم أداؤه وكلا اليدين على الكتاب المقدس، وإشارة الحراسة المقررة تمثل هذا الوضع، وترفع كلا اليدين أفقياً على مستوى الخصر الكفان إلى أسفل. ولكن بعض الأعمال توحي بأن اليد اليمنى ينبغي أن تكون على موازاة الجسم واليد اليسرى تشكل زاوية معها. ثم تنزل اليد اليسرى وتعطى إشارة الجزاء بنفس الطريقة التي تتم بها في بريطانيا العظمى. ويبدو أن الإشارتين العرضيتين الخاصتين بالرعب والتعاطف مجهولتان في أمريكا، والإشارة الوحيدة الأخرى التي يتم أداؤها هي إشارة التحية الكبرى الخاصة بالنكبة والحزن. مع الهتافات التي تواكبها.

أما في المصافحات ومصافات الاجتياز أو التعارف فتنطبق كل الانطباق على مصافحاتنا.

٣ ـ **الكلمات**؛ الكلمات هي نفسها، ما عدا أن هناك كلمة واحدة (ماهابون التي تختلف في النطق) فقد أعطيت في الدرجة الثالثة في النقاط الخمس للزمالة، إلا أن القرنين ومعنى الكلمة فيبدو أنه لم يشرح بصورة واضحة وجلية.

٤ ـ **الخطوات الصحيحة**: الخطوات الصحيحة الذي تتخذ نحو الشرق أبسط مما هي في إنجلترا. فلا يوجد هنا درج ملتف ليصعد عليه ولا قبر ليخطي فوقه. وفي الدرجة الأولى تتخذ خطوة واحدة فقط بالقدم اليسرى مع وضع الكعب الأيمن في تجويفها، مشعكين مسطرة تائية. أما في الدرجة الثانية فقد أضيف خطوة ثانية إلى هذه الخطوة، مبتدئة بالقدم اليمنى جاعلين الكعب الأيسر في تجويفها. بينما في الدرجة الثالثة تضاف خطوة ثالثة إلى هاتين الخطوتين، بادئين القدم اليسرى جاعلين الكعب الأيمن مع الكعب الآخر على شكل مثلث.

٥ ـ **مراسم الرفع من القبر**: إن هذه المراسم، إذا تم القيام بها بصورة

كاملة، في غاية الطول ومنتهى الدراماتيكية، فيبدو أنها على الأعمال السكوتلندية الطويلة أصلاً، ولكن مع إضافات أخرى.

ومع هذا فإن بنية هذه المراسم أوالطقوس مختلفة قليلاً في أن المرشح يعهد إليه أولاً بالحراسة الواجبة والإشارة كما يخلع عليه المئزر، ويعود لارتداء ملابسه العادية، وعند ذلك فقط (عندما يكون على تمام القناعة بأن المراسم قد انتهت) يوجد هناك تلميح إلى طقوس الموت والرفع من القبر.

حيث يغمى المرشح مرة ثانية (الأمر الذي يجعل عملية «الذبح» أكثر رعباً) ويقوده أثناء قيامه بدوره في الدراما الشماس الكبير الذي يجعله يتجاوب معه. ويقوم ثلاثة من الإخوان بتمثيل القتلة الأنذال الأشرار (جوبيلا، وجوبيلو، وجوبيلوم) الذين يبادرون المرشح بحوار كله ثرثرة كل بدوره محاولين انتزاع الأسرار منه. وفي النهاية يقومون بذبحه عن طريق طرحه أرضاً على ظهره بضربه بمطرقة مطاطية وقد قام بعض الإخوان الآخرين بإمساك قطعة من قماش القنت (الشادر). عندئذ يلقى على الأرض ويغطى بقطعة الشادر ثم يقوم الأشرار الثلاثة «بدفنه عن طريق تكويم قليل من الكراسي وما شابه ذلك فوق الجثة. وفي هذه اللحظة يعم المحفل الظلام ويقرع جرس صغير اثني عشر دقة. أما في حالة إجراء هذه الأعمال بكاملها، فإن الأوغاد يحاولون الهرب عن طريق البحر من جوبا، ولكن يكروا راجعين لعدم وجود طريق، ثم يفرون ملتجئين إلى بعض الزوايا (أو إلى الغرفة المقابلة) للاختباء بها. في نفس الوقت يلاحظ غياب حيرام أبيف، ويأمر الأستاذ الموقر (كما فعل الملك سليمان) بأن تقرأ قائمة الحضور من درج مكتوب، حيث لم يسمع رد جوبيلا وجوبيلو وجوبيلوم لدى قراءة أسمائهم. عندئذ يقوم الزملاء الاثني عشر الذين انسحبوا من المؤامرة، بالاعتراف بما لديهم من معلومات، ويتم القيام بالبحث والتفتيش عن الجثة والأنذال. وبسبب (كما ورد في الأعمال السكوتلندية المطولة) صراخ وعويل الأنذال القتلة الذي كان قد سمع من داخل المغارة، ثم العودة بهم إلى الملك سليمان وتم إعدامهم بموجب العقوبات الماسونية الذي تشير أصوات عويلهم وبكائهم إلى أصل هذه الأعمال.

بعد ذلك يتقدم المسؤولون وبعض الإخوان نحو القبر ويسيرون ثلاث مرات حوله، مرتين ترتنيم جنائزية. ثم يكشف عن الجثة، وبعد المحاولات التقليدية. بمصافحات الدرجة الأولى والثانية الفاشلة، يتم رفع المرشح بالنقاط الخمس للزمالة. يتبع ذلك صدور أمر أو إلقاء محاضرة.

ويتم القيام بالمراسم جميعها بأسلوب حواري.

وكما هو الحال في اسكوتلندا وإيرلندا، فإن القنطرة الملكية المقدسة مجرد واحدة من الدرجات العليا العديدة ولا تعتبر نهاية أو تمام الأخوية. ولذلك فإن هناك تأكيداً أقل على أسرار القنطرة الملكية بأن تكون «الأسرار الأصلية الحقيقية للماسوني الأستاذ» التي غدت لدى الأخوية عند حدوث الموت المفاجىء الذي جاء في غير أوانه. ومع هذا فإن هناك عدة اختلافات هامة بين أعمال المحافل البريطانية والأمريكية، ففي الأخيرة لا يكون المسؤول الرئيسي الأول هو زيروبابل الملك بل صاحب المعالي الكاهن الأعلى الذي يمثل جوشوا. فحراسهم المرور بالأغطية، التي بلا شك في إنجلترا لا تزال موجودة في أمريكا. كما أن رموز وكلمات الدرجة منقوشة على تابوت العهد الذي يكتسبه المرشح في القبو. ويوجد على جوانبه الثلاثة أوائل أسماء الأساتذة الثلاثة العظام، الملك سليمان ملك إسرائيل، وحيرام ملك صور، وحيرام أبيف، وعلى السطح العلوي التابوت المثلث المتساوي الأضلاع (ليس داخل دائرة) وعلى أضلاعه الثلاثة المقاطع والكلمات الخاصة ب «جاه ـ بيل ـ اون، أو جاه ـ بوه ـ لون» وأوائل هذه الكلمات والرموز مكتوبة عادة ليس باللغة الإنجليزية أو العبرية، بل الرموز الماسونية (في منتهى البساطة) المكونة على شكل نقاط وخطوط متقاطعة يكملها صليب القديس أندرو. يوجد داخل المثلث الحروف العبرية التي تمثل يهوه. لا يوجد هناك حروف ألف وبيت وحرف الآي على أطراف المثلث.

الملحق (ب)

«درجات ماسونية أخرى»

إنجلترا:

إن الدرجات الماسونية الثلاث تشكل قاعدة كافة الأنظمة الماسونية التي تمارس في الأقطار الناطقة بالإنجليزية. فهي مع القنطرة الملكية تشكل مجموع الماسونية المعترف بها «رسمياً» من قبل المحفل البريطاني العظيم، وأكثرية الماسونيين الآخذين في التزايد. ومما لا شك فيه أن هناك ميلاً قوياً بين البعض للنظر بعين الازدراء أو عدم المبالاة إلى ما يدعى «الدرجات العليا» على أنها بدع خيالية حديثة ليست جزءاً من الماسونية القديمة النقية. وأن معظم هذه الدرجات الأخرى من المحتمل أن تكون أكثر حداثة في منشئها وأنها تعود إلى الآونة الأخيرة.

ماسونية العلامة:

إن قصة درجة الأستاذ ذي العلامة التي يتم تمثيلها لدى تقدم أي مرشح، تسير على النحو التالي.

يقابل الماسونيون أصحاب العلامة المراقبين أو المشرفين، الذين يشرفون ويضعون علامات موافقتهم على الحجارة التي يأتيهم بها الماسونيون الزملاء في الأخوية أثناء بناء الهيكل. وكان على هؤلاء المشرفين كل أسبوع أن ينتظروا

حيرام أبيف لاستلام مخططاتهم وتلقي التعليمات الصادرة إليهم للقيام بأعمالهم. إلا أنه في إحدى المناسبات، فقد جزء من المخططات، ولكن رساماً زميلاً بارعاً حاذقاً ذكياً إما أنه كان قد رأى المخطط التام أو أنه كون فكرة جيدة عنه من طبيعة العمل، أدرك أن حجراً في شغل خاص معين كان مطلوباً لإتمام التصميم. وبعد أن قضى وقتاً طويلاً وبذلك مجهوداً كبيراً استطاع إنجاز مثل ذلك الحجر، ووضع علامته عليه، وجاء به إلى المشرفين. وبما أن هذا الحجر لم يكن مستطيلاً ولا مربعاً، وأنه لا يوجد له مكان في مخططات العمل غير الصحيحة، فقد أمر بإلقائه بعيداً بين النفايات. إلا أن العمل في وقت لاحق توقف بسبب عدم وجود الحجر الرئيسي للقنطرة. وكان حيرام أبيف قد تذكر بأنه سبق له وأن رسم تصميماً لمثل ذلك الحجر، ولكن المشرفين لم يتذكروا أنه سبق لهم مشاهدة مثل تلك المخططات. وأخيراً تذكر المشرف على المحاجر أن مثل ذلك الحجر قد سبق وأن أحضر إليه، وأنه سبق له وأن أمر بإلقائه بعيداً. لذلك فقد أمر بإجراء بحث دقيق عنه وفي النهاية تم اكتشافه وهو في حالة جيدة. وعلى هذا فقد منح الرسام المعماري الزميل الذي كان قد شكل ذلك الحجر منح ترقية إلى درجة أستاذ علامة.

لذلك فإن المرشح للتقدم، من الطبيعي أن يلعب دور الرسام الزميل في إعادة التمثيل الدرامي لهذه القصة. وكلمة السر لهذه الدرجة هي «جوبا». والكلمات هي «علامة جيدة» (حيزيقيات الآية ٥) ولكن «الكلمة القديمة» ـ كيب رايوث ـ أو نادراً ـ كبروك ـ (بمعنى رفاق العلامة) يتم إعطاؤها أيضاً إما مصافحة الاجتياز أو التعرف فتتم عن طريق إطباق الأصابع (كما يفعل المرء بصورة طبيعية لدى سحبه شخصاً آخر من منحدر) وجمعها مع الإبهام «بحيث تشكل كلاباً أو ملزمة» وتتم المصافحة عن طريق شد الأصابع الصغيرة معاً وإغلاق الأصابع الأخرى ظهراً لظهر مع الأخرى، مع الإبقاء على الإبهامات مطبقة كالسابق. أما الشعار شبه السري الذي يبدو على جوهره الحجر الرئيس للدرجة، فقد تم تمثيله بالأحرف (إتش، تي دبليو، اس، اس، تي كي، اس)

(حيرام صور، ابن الأرملة، أرسل إلى الملك سليمان). أما الله فقد أطلق عليه في هذه الدرجة اسم «المشرف العظيم على الكون». ويختار كل أستاذ علامة، وعلامته التي تسجل باسمه حسب الأصول.

ويرتبط بماسونية أستاذ العلامة بنفس الطريقة تقريباً التي ترتبط فيها القنطرة الملكية بالزمالة في الأخوية (بالرغم من أن التشابه ليس دقيقاً) درجة ملاح القنطرة الملكية، التي تخلد ذكرى خلاص الجنس البشري بواسطة سفينة نوح. وتتميز هذه الطقوس فقط بسخفها وسذاجتها وتفاهتها.

فرسان الهيكل وفرسان مالطا:

إن منظمات فرسان الهيكل، والقديس يوحنا في أورشليم، وفلسطين، ورودس، ومالطا (وهذه المنظمة الثانية كانت تعرف عادة بأنها فرسان مالطا فقط) كان يحكمها الدير العظيم الذي كان يعمل من قاعة ماسوني العلامة. فالشخص الذي يريد أن ينصب كفارس من فرسان الهيكل ينبغي أن يكون ماسونياً أستاذاً، لمدة لا تقل عن سنة، وأن يكون عضواً في القنطرة الملكية، بالإضافة إلى أن عليه أن يعترف بأنه يؤمن بالثالوث المقدس الذي لا انفصام له. ومنظمة فرسان مالطا مفتوحة فقط لفرسان الهيكل.

أما نظرية «تحول فرسان الهيكل» فهي موضوع آخر في غاية الجاذبية والذي لا يزال يوجد فيها مجال واسع للبحث والتقصي. فهل أصبحت النزعة الفرسانية الهيكلية بائدة بعد كبت المنظمة وموت دي مولاي؟، أم أنها استمرت في حالة من السرية، بقيت على قيد الحياة وعادت إلى الظهور في الماسونية؟ ليس هذا هو مكان مناقشة وتقييم البينات والدلائل، ويكفي القول بأنه ليس في هذه المنظمات الفروسية ولا في الدرجات الأعلى في الطقوس والشعائر القديمة المقبولة ينبغي البحث عن هذه الاستمرارية، بالرغم من مماثلتها الظاهرية للنزعة الفرسانية الهيكلية واستخداماتها للقصص والتعابير والصيغ الخاصة بفرسان الهيكل. فلأن هذه المنظمات والدرجات أكثر حداثة في نشوئها، فإن القليل،

فيما إذا وجد، يمكن تتبعه للعثور على أسلاف في وقت أبكر من القرن الثامن عشر. وأن ما ينبغي دراسته هو درجات الأخوية الماسونية إلى الحد الذي كانت قد تطورت فيه من النقابات المهنية في العصور الوسطى لبنائي الحجارة، فلربما كانت هذه النقابات بدورها قد أصبحت بصورة متزايدة «تأملية» جزئياً كنتيجة لتسرب نزعة فرسان الهيكل إليها. إلا أن الموضوع يطغى عليه الغموض والأسرار، كما أن النظرية عموماً غير محتملة.

وقد تم تعديل وتنقيح طقوس فرسان الهيكل الماسونيون في عام ١٩٧٣، كما أن مما لا شك فيه أنه في هذه البلاد على أي مستوى كانت المراسم الأكثر رعباً ورهبة مرتبطة بالجمجمة واللعنات الأكثر رهبة الموجودة في الأعمال الأجنبية، قد تم تخفيف حدتها أو ألغيت كلية. وما بقي منها فهو أقل إثارة وحيوية، وحميد وغير ضار نسبياً وأقرب الحركة الكشفية لمنظمة الكشافة. فالمرشح يلبس أولاً زي حاج، وبعد قيامه بمختلف أنواع التجوال والطواف التي ترمز إلى القادة الروحية وتكفير الذنوب، ينصب فارساً، أما كلمة السر الكبرى فهي المحرف الكلم عن مواضيعه «ماهر ـ شالال ـ هاس ـ باز (سفر سايا، ٨، ١) والكلمة العظيمة يسوع إيمانويل، والإشارة إلى صلب سيدنا يسوع على الصليب، والأذرع ممدودة، والأقدم متقاطعة، والرأس مائل إلى الجنب. أما إراقة الخمر على الضحية فهي الأنخاب، كما ليست شبه تقديسية بحال من الأحوال.

الدرجات المتحالفة:

هناك خمس درجات خاضعة للسلطة القضائية للمجلس العظيم للدرجات الماسونية المتحالفة والتي تشغل أيضاً من قاعة ماسونيي العلامة. إنها مفتوحة فقط لأولئك الذين حصلوا على درجة أستاذ علامة، وهي كما يلي:

القديس لورنس الشهيد.

فرسان القسطنطينية.

الحارس الخارجي للملك سليمان.

الصليب الأحمر لبابل.

الكاهن العظيم الأعلى.

وهناك منظمات فروسية أخرى هي:

الصليب الأحمر للقسطنطينية.

كنيسة القيامة ويوحنا المعمدان.

الدرجات السردابية:

كذلك تدار من قاعة ماسونيي العلامة سلسلة الدرجات الأربع السردابية. وللوصول إلى هذه الدرجات يجب أن يكون المرء ماسوني علامة وماسوني قنطرة ملكية وهذه الدرجات الأربع تصاعدية ويتم منحها على النحو التسلسلي التالي:

الأستاذ ذو المقام الأعلى.

أستاذ ملكي.

أستاذ منتخب.

الأستاذ ذو المقام السامي.

وسميت هذه الدرجات «سردابية» لأن أساطيرها تتناول بصورة أوسع السرداب أو القبو الواقع تحت هيكل الملك سليمان الذي أخفيت فيه الأسرار الماسونية. لذلك، فإن من المفروض فيها أن تلقي المزيد من الضوء على درجة القنطرة الملكية.

مراقب السر:

لقد كانت درجة مراقب السر قد أدرجت على أنها الرابعة في سلسلة الدرجات المتحالفة. والآن يوجد أيضاً منظمة منفصلة ومستقلة أو مجمع سري الذي يؤدي دوراً مطابقاً لهذه الدرجة على أنه الأول في سلسلتها المكونة من ثلاث درجات، وكانت الدرجة الثالثة هي درجة الكرسي، إنها معروفة بصورة مختلفة كأخوية داود وجوناثان (التي تركز عليها قصة الطقوس) ولدرجة تجارة،

وهي موجودة للوقاية والحماية المشتركة والزمالة. وهناك الكثير من أعمل التسلية والمتعة تتم عن طريق إطلاق الأسهم في المحفل. وأصلها أمريكي، حيث من المحتمل أن يرجع تاريخها إلى ما قبل الأيام الأولى للحرب المدنية.

الطقوس القديمة والمقبولة:

إن الطقس القديم والمقبول (ما زال يعرف باسم السكوتلندي) والذي يتألف من ثلاث وثلاثين درجة يتحكم به المجلس الأعلى (١٠ شارع ديوك، القديس جميس، لندن، اس دبليو ـ ١) ومع هذا فإن قليلاً من هذه الدرجات تعمل بصورة تامة وكاملة في هذه البلاد، بالرغم من أن ما يقابلها في أمريكا أكثر كمالاً وانتظاماً.

أما الدرجات فهي:

(١) المنتسب المبتدىء.

(٢) محفل الزمالة.

(٣) ماسوني أستاذ.

(٤) أستاذ سر.

(٥) أستاذ كامل.

(٦) سكرتير أساسي أو جوهري.

(٧) عميد أو قاضي.

(٨) المشرف على المباني.

(٩) منتخب التسعة.

(١٠) منتخب الخمسة عشر.

(١١) المنتخب السامي.

(١٢) الباني الأستاذ العظيم.

(١٣) القنطرة الملكية (في أينوال).

(١٤) الفارس الاسكتلندي للكمال.

(١٥) فارس أسيف أو الشرق.

(١٦) أمير أورشليم.

(١٧) فارس الشرق والغرب.

(١٨) فارس البجع والنسر، الأمير، المهيمن، روز كرويكس أمير هيريدوم.

(١٩) الحبر الأعظم.

(٢٠) الأستاذ العظيم المبجل.

(٢١) البطريرك النوحي.

(٢٢) أمير ليبانوس.

(٢٣) أمير ليبانوس.

(٢٤) رئيس الخيمة (التي اتخذها اليهود هيكلاً متنقلاً).

(٢٥) فارس الأفعى النحاسية.

(٢٦) أمير الرحمة.

(٢٧) آمر الهيكل.

(٢٨) فارس الشمس.

(٢٩) فارس القديس أندو.

(٣٠) فارس كادوس المنتخب العظيم، فارس النسر الأبيض والأسود.

(٣١) الآمر المحقق للسر الملكي.

(٣٢) الأمير السامي للسر الملكي.

(٣٣) المفتش العام العظيم.

لا يعمل بالدرجات الثلاث الأولى في المجلس الأعلى، حيث ينبغي أن يأخذها المرشح في محفل الزمالة في أية سلطة شرعية معترف بها من قبل المحفل العظيم في إنجلترا. كما أن القنطرة الملكية غير مطلوبة مسبقاً للدخول في الطقوس والمشاعر القديمة المقبولة.

أما الدرجات ٤ ـ ١٤ فمنها مقصور بصورة على المجلس الأعلى في محفل الكمال. أي أنها تمنح للواحد بعد الآخر بالاسم فقط، بدون إشارات أو كلمات. كما يطلب أداء قسم بالمحافظة على السرية يعطى بصورة محدد الدرجات ٤ ـ ١٧. وبعد ذلك يختتم محفل الكمال ويفتتح مجلس لأمراء أورشليم الذي يمنح الدرجات ١٥ و١٦ الشرفية، ويختتم. ثم يفتتح محفل منفصل لفرسان الشرق والغرب، لمنح الدرجة السابعة عشرة بصورة أكمل وأتم. تعطى الإشارات بالإضافة إلى الكلمتين «أبادون» وجاجابولون». وتحدد الكلمة الأولى بالكلمات «الشخص الشرير» والتي يبدو أنها مفعمة بعبق الكبريت والنزعة الشيطانية ولكن القرينة (حيث تتم كافة إجراءات الدرجة) فهو جو سفر الرؤيا للقديس يوحنا. بينما الكلمة الثانية فهي نوع أو كلمة مرادفة للقنطرة الملكية، ويتم تغييرها بصورة واضحة، بطريقة قد يلفظ ماسوني القنطرة الملكية الكلمة بأكملها دون أن يحنث بقسمه بمجرد أن يلفظها بصورة معينة.

أما الدرجة ١٨، روزكروبكس، أمير هيريدوم، فيتم القيام بها بصورة تامة، ومما لا شك فيه أنها أكثر شعبية وانتشاراً من «الدرجات الأخرى». ويوجد بين الستة عشر ألف أمير من أمرائها البالغي الكمال والرفعة المذكورين في جداول الكتيب الذي صدر في عام ١٩٥٠ حوالي أربعمائة وخمسة وسبعين من رجال الدين من بينهم سبعة عشر أسقفاً واحد آباء كيلهام الذي كان يؤيد ويقر مزيجها المغني من النزعة العاطفية والهرطقة الرهبية عن طريق تخدير الضمير أو عمى الإدراك اللاهوتي المستغلق على الأفهام. إلا أن درجات الأخوية الماسونية المثيرة للاعتراض والبغيضة المقيتة، مبنية على قصص غير ضارة نسبياً موجودة نص العهد القديم، فروز كرويكس تقوم مراسمها وطقوسها على جلب سيدنا المسيح نفسه. ولما كانت هذه الدرجة بصورة خاصة بغيضة كريهة وحرية بالإدانة الكنيسية ومن رجال الإكليروس، لذلك فسيتمْ إعطاء رواية تامة كاملة لها.

ثلاث غرف مطلوبة لهذه الدرجة (بالإضافة إلى غرفة تحضير وإعداد) فأولاً يوجد الغرفة السوداء التي يوجد فيها مذبح مجلل بالسواد الذي يمثله ثلاثة

صلبان، الأوسط بالوردة الرمزية (باللون الأسود) على أطرافه، محاطة بتاج الأشواك، بينما الآخران فقد رسمت الجمجمة والعظام المتصالبة في أسفلهما. ويوجد على المذبح الكتب المقدسة، وسيف مسلول وفرجات، أما على أرض الغرفة فقد رسم سبع دوائر بيضاء متحدة المركز على أرضية سوداء، مع شارة البجع في الوسط. ويوجد في الشمال والغرب والجنوب ثلاثة أعمدة تحيط بها الأنوار، ويتدلى من هذه الأعمدة بطاقات أو علب رسم عليها على التوالي الأحرف أف، وأتش، وسي، التي تقابل إيمامان وأمل، وبر.

وينبغي أن تنفتح هذه الغرفة السوداء على غرفة الموت، التي تحتوي على جمجمة وعظام متصالبة بل وحتى على شكل ملفوف بطعة قماش ومسجى لجثة هامدة، وقد وضع وراء هذه الشارات مصباح يضاء بكحول الخمر والملح، وربما يضاف المزيد من الأنوار إلى هذه الغرفة عن طريق أشكال شفافة تمثل جماجم وعظام الخ. . أو بواسطة مشاعل مثبتة داخل الجماجم.

أما الغرفة الثالثة، أو الغرفة الحمراء فشديدة الإنارة ومجللة بستائر حمراء. والمذبح في هذه الغرفة له مذبح أعلى من ثمان درجات بثلاثة وثلاثين مصباحاً ويوجد على الدرجة الرابعة الحجر المكعب يعرض للأنظار وردة حمراء في الوسط. وقد زين المذبح بفيض الورود. وفي وسط الغرفة ما يمثل السلم الرمزي ذا الدرجات السبع مع الحروف المتحركة أف وإتش وسي و«آي، أن، آر، آي» (أحرف هذه الدرجة، حرف على كل درجة، مع وردة على كل واحدة منها).

وتحتوي مراسم الافتتاح على المقطوعات التالية:

العاهل البالغ الحكمة: يا سعادة الجنرال الأول الكامل، كم الساعة؟

الجنرال الأول: الساعة التاسعة نهاراً.

العاهل البالغ الحكمة: إذن هي الساعة التي تم فيها تمزيق نقاب الهيكل إلى شقين وعم الظلام الأرض، عندما تلاشى النور الصحيح من نفوسنا وأطيح بالمذبح، وكسفت النجمة المتلألئة، وسكب الحجر المكعب دماً وماء،

وضاعت الكلمة وطغى علينا اليأس وابتلينا بالمحن، (توقف مهيب).

بما أن الماسونية قد عانت من مثل هذه المصائب والنكبات، لذلك فإن واجبنا، أيها الأمراء، هو أن نحاول عن طريق الجهد المتحد للتعويض عن خسارتنا، لعل التأثير اللطيف الكريم للإيمان والأمر والبر والإحسان يتوج محاولتنا ويوفق جهودنا لاسترجاع الكلمة المفقودة، الأمر الذي دعوت من أجله إلى عقد هذا المحفل، محفل أمراء روز كرويكس، ملك هيريدم الذي تم افتتاحه حسب الأصول، باسم عمنويل العظيم.

إن الإعلان والقول بأن الماسونية «فجعت» بالصلب وعانت بسببه الكوارث والأحزان أو أن الماسونيين قد عانوا مرارة «الفقد» بسبب الموت الافتدائي المنتصر لمنقذنا المسيح على الصليب والذي يمكن لأصحاب السمو الأمراء الكاملون في روز كرويكس في هيريدوم بواسطة جهودهم الخاصة «استرداد» ذلك الفقد، إن هذا القول، بالنسبة لأي مسيحي لا يبدو أنه هرطقة فقط بل إنه تجديف فعلي حقيقي وانتهاك للمقدسات والتأويل والتفسير الصحيح الوحيد الذي يجعل لهذه المقطوعة معنى يبدو أنه ليس موت سيدنا وإلهنا يسوع هو الذي يتم نعيه والحزن عليه، «بل إن ما يتم نعيه والحزن عليه هو هزيمة الشيطان».

ومن أجل أن يصل المرشح إلى درجة الكمال فإنه يدخل إلى المحفل في الغرفة السوداء وقد عمها الظلام الدامس الكئيب. وبعد إعطاء الكلمة الخاصة بالدرجة السابقة (أبادون) ويذكر سنه (مهما كان سنه) على أنه ثلاثة وثلاثون عاماً، يتم إبلاغه أن «الرعب قد انتشر وعم الفزع والهلع وزلزلت الأرض زلزالها، وتفتتت الصخور ومزق نقاب الهيكل كل ممزق» الخ.. ومع هذا فإنه يقابل بالترحاب على أمل أن تساعدهم شجاعته على استعادة الكلمة المفقودة. تقدم إليه الصلوات والأدعية ويرافقه المارشال الكامل السامي، في رحلة رمزية تدوم ثلاثة وثلاثين يوماً على التوالي (مصحوباً بموسيقى مقدسة مهيبة) إلى الأعمدة الثلاثة حيث يرسل الأحرف الثلاثة أف ـ إتش ـ وسي، التي يتم تقديمها إلى العاهل البالغ الحكمة. بعد ذلك يهنأ المرشح على نجاحه إلى هذا

الحد في اكتشاف الحروف الأولى لهذه الفضائل (الأمانة والأمل والبر) والتي بمساعدتها قد يستطيع اكتشاف الكلمة المفقودة، وبعد ذلك تزاح الستائر المسدلة على المذبح. ومن ثم يؤدي قسمه على العهد الجديد (الإنجيل) مقسماً على السرية والولاء للمحفل الأعلى.

وهنا ينسحب المرشح لفترة قصيرة للتأمل وأعمال الفكر. ولدى إعادة إدخالها تشكل مسيرة تمر حول الغرفة السوداء (الكل ينحنون أثناء مرورهم إجلالاً للصليب) والكل ما عدا المارشال والمرشح يمرون إلى داخل الغرفة الحمراء. وهناك يجد المرشح أن طريقة قد اعترض لعجزه عن إعطاء الكلمة. حيث أبلغ بأن ألبسته الفاخرة المزينة لا تتلاءم مع التواضع الضروري لأولئك الذين يرغبون في استعادة الكلمة، وعلى هذا فقد وضع على وجهه نقاب من قماش الكريب الأسود. وبعد ذلك أدخل غرفة الموتى الخافتة الإنارة وفي أثناء تعثراته بالجماجم والأشياء المضحكة لغرابتها وبشاعتها كان يساعده رفائيل، الذي يقوده إلى أداء مسيرة جنائزية عبر الغرفة المظلمة إلى الغرفة الحمراء التي تشع نوراً وهاجاً.

وهنا يصعد سلماً سرياً بصورة رمزية «يقود من الظلام إلى المجد والكمال» ملتقطاً الأحرف من كل درجة. وبعد إزالة الإيمان والأمل والبر، عثر على الكلمة بصورة توحي بنشوة الانتصار، على النحو التالي:

العاهل البالغ الحكمة: من أين أتيت؟

رفائيل (مخاطباً المرشح): من اليهودية.

العاهل البالغ الحكمة: بأي قرية مررت؟

رفائيل: الناصرة.

العاهل البالغ الحكمة: من قادك؟

رفائيل: رفائيل.

العاهل البالغ الحكمة: من أي العشائر أنت؟

رفائيل: يهوذا.

العاهل البالغ الحكمة: أعطني أوائل كلمات الدرجات الأربع الأخيرة (يناولها رفائيل له) لقد أصبحت أهلاً لأن تكون فارساً، حيث إنك بمساعدة الإيمان والأمل والبر كنت حقيقة قد نجحت في العثور على الكلمة المفقودة.. وبأخذك أوائل كلمات الدرجات الأربع الأخيرة في رحلتك وبوضعها معاً تكون قد عثرت على اسمه والذي هو «الكلمة».

حيث إن هذه الأحرف الأربعة «آي، إن، آر، آي» التي تشكل الكلمة هي موضوعة على النحو المكعب على المذبح، وعندها يقدم للمرشح وردة، وتخلع عليه الياقة وجوهرة المنظمة، مختومة «بختم الكمال» رموز «الحقائق الخفية المعرفة فقط من قبل الماسوني الكامل». كذلك تعطى الإشارات، ويعلن الناطق باسم الجماعة المرشح ملك البجع والنسر وأميراً قوياً كاملاً لروز كرويكس في هيريدوم.

أما المراسم الختامية فهي النقطة الثالثة أو «احتفال الحب الأخوي»، والذي بالرغم من الاعتراف به ظاهرياً على أنه مجرد «حب أخوي» أو «احتفال بالحب الأخوي»، فإن في صلته الوثيقة بالفروسية تفسير قد يكون أكثر شراً وفساداً. وأول ما يتم عمله هو تناول رقاقة من الخبز الفطير. حيث يقدم العاهل البالغ الحكمة قطعة من الرقاق إلى الأسقف ويقومان معاً بغمس فتات خبزهم في الملح ويأكلونها. وبعد ذلك يقوم بتناول العشاء الرباني مع جاره الذي يتلوه بنفس الطريقة وهكذا الخ.. ثم يقوم العاهل البالغ الحكمة بمشاركة الأسقف في احتساء خمرة القربان، الذي يجيب على ذلك بإعطاء إشارة «الراعي الصالح» وتبادل الكلمات. ويرافق هذه الإشارة الثانية الكلمات «قبلة السلام» (تقبيل أيقونة رمز السلام). كما ينبغي ملاحظة أن هذه المراسم لا تختلف عن القداس اللاتيني إلا أنه يتم والذراعان متقاطعان. ومن ثم يشرب الأسقف مع جاره على يساره، وهكذا إلى أن يتبادل الجميع نفس الإشارات والكلمات ويستمروا كذلك إلى أن يتناول الجميع العشاء الرباني، عندئذ يقول العاهل البالغ الحكمة «لقد

تناول الجميع العشاء الرباني وخبز القربان» الأمر الذي يردون عليه بقولهم «المجد لله الأعالي وفي الناس المحبة وعلى الأرض السلام».

بعد ذلك تزال البطاقات الأربع التي كتبت عليها أحرف الكلمة عن المذبح، «بحيث لا تراها أعين الذين يتحكمون بالمقدسات وأولئك المجدفين بل يتم إتلافها بموجب العادة القديمة، حيث يقوم الأسقف بحرقها في قدح آخر لخمر القربان التي تنص عليها طبعة الطقوس والشعائر التي صدرت عام ١٨٩١. والتي تقول بمزج الكحول بكلوريدا الأسترونتين، وهو يقول الكلمات «مؤسسة الكمال». وتستخدم مركبات الأسترونتين، كما هو معروف لدى كل الفنيين المتخصصين بالألعاب النارية، في الصواريخ وغيرها من الألعاب النارية، حيث يكون المطلوب هو الحصول على لهيب أحمر وردي متفجر. لذلك فإن استخدامها في هذه النقطة البالغة الذروة من المراسم الدينية المقدسة المهيبة، هو بلا شك دراماتيكي ومؤثر عاطفياً (لنموذج معين من الطقوس) ومما لا شك فيه فإن أكثر النقاد تعنتاً فقط هم الذين يستطيعون الإيحاء بأن ألسنة اللهب الحمراء هذه قد تكون في حد ذاتها رمزاً ماسونياً لأصول هذه المحاكاة الساخرة للديانة المسيحية وطقوسها.

إن أخطر أنواع الهرطقة والتجديف في هذه الدرجة كامنة في الحقيقة بأن المرشح نفسه هو الذي يقوم بصورة رمزية بالوصول إلى النوع وتحقيق الكمال بجهوده الخاصة وبعمله وليس عن طريق المسيح أو أن المسيح هو الذي يحقق له ذلك. إن المرشح هو الذي يعطي سنه على أن عمره ثلاثة وثلاثون عاماً، والذي يقوم برحلة على ثلاثة وثلاثين يوماً ماراً بالغرفة السوداء وغرفة الموتى إلى بعثه ونشوره في الغرفة الحمراء. وكانت الصلوات في الغرفة السوداء، حتى الآونة الأخيرة تحتوي على العبارة «امتحنا يا الله أن يكون شغلنا الشاغل الوحيد هو خلاصنا من الخطيئة..» كذلك فإن «البعث» في المراسم الختامية قد حدد بصورة رئيسية على أنه «ساعة الماسوني الكامل». أما موت مخلصنا يسوع فيمكن تناوله كنموذج ورمز لتجارب وممارسات يجب أن يقوم بها الماسوني في

سعيه وراء الحصول على النور، وليس كعمل فريد وهادف إلى الوصول إلى الخلاص الذي يقيضه الله له. ومما لا شك أن هذا ما هو إلا مفهوم غنوصي محض يؤمن بأن الخلاص يأتي عن طريق المعرفة الروحية وأن المادة شر.

إن نظرة عميقة إلى هذه الدرجة توضح أن «الوردة هي شارة السرية والصمت، كما أنه في مزمور سليمان وجدنا إشارة إلى منقذنا ومخلصنا تحت العنوان الرمزي «وردة شارون». ومما لا شك فيه هنا، في هذه الصلة المباشرة بيسوع وبرمز يظهر أهمية السرية (تبعاً لما تقوله الماسونية، وليس الكتاب المقدس) إن هذا ما هو إلا اعتراف آخر بأن هذه الدرجة تؤول المسيحية وتفسرها على ضوء الديانة الرمزية الغامضة من ذلك النوع الذي شجبته ولعنته الكنيسة في مراحل مبكرة.

وقد أعلن العاهل البالغ الحكمة بعد احتفال المحبة الأخوية قائلاً «فهل لنا من الآن فصاعداً أن نودع التعاليم والمبادىء المقدسة للمنظمة في المستودعات السرية لقلوبنا». فإذا كانت «التعاليم المقدسة» لهذه المنظمة مسيحية وصحيحة كما يقال في أغلب الأحيان فإن من الزيف وعدم الأخلاق والسخف أن نبقى عليها مختزنة في مستودعات سرية. وإذا كانت شيئاً آخر غير تعاليم الكنيسة، وتبعاً لذلك غير مستقيمة وليست أصيلة، فإن للكنيسة كل الحق فيها كما أن من واجبها دون أدنى ريب أن تمزق ذلك الخمار المبهرج المزين بالأسرار الجوفاء الزائفة، وتمحيص هذه «التعاليم المقدسة» التي قامت جماعات من أساقفتها، ومئات من رجال الدين فيها وآلاف من غير رجال الدين التابعين لها، قاموا بأداء قسم الولاء والإخلاص لسريتها.

إن درجات الطقوس والشعائر القديمة والمقبولة والتي هي أعلى من الدرجة الثامنة عشرة هي بصورة رئيسية تشريفية وإدارية إلا أنه يوجد هناك فجوة أخرى: فالدرجات من الدرجة التاسعة إلى الدرجة التاسعة والعشرين لا تعمل بصورة مطلقة في إنجلترا، بل إنها تمنح بصورة شرفية. أما الدرجة الثلاثون (فرسان كوداش) فتفتح فقط للملوك بالغي الحكمة السابقين الذين كانوا أعضاء

في الدرجة الثامنة عشرة لما لا يقل ثلاثة أعوام، والذين أوصت بهم محافلهم المحلية للحصول على هذا الشرف. وكانت هذه الدرجة أصلاً مبنية على الانتقام لموت جاكو كاس بورجو ندوس مولاي، آخر قائد لفرسان الهيكل الذي تم إعدامه عام ١٣١٢ في عهد الباب كليمينت الخامس وفليب بيل ملك فرنسا، وهذان الاثنان كانا يعتبران أن رمزين على الوالي للاستبداد الإكليري، والسياسي. إلا أنه، في السنوات الأخيرة، تقلص ظل مولاي، والدرجة كما كانت قد عملت في إنجلترا أصبحت أكثر نزوعاً إلى الفلسفة الصرفة.

ولكن الدرجتين الحادية والثلاثين والثانية والثلاثين كانت تمنح لمكانتها من قبل المجلس الأعلى. فالدرجة الأولى كانت مقصورة فقط على أربعمائة عضو. والثانية على مائة وثمانين عضواً (ما عدا الترقيات في الممتلكات والمستعمرات). أما الدرجة الثالثة والثلاثون، والأخيرة (والتي يستخلص منها بالطبع المجلس الأعلى) فقد كانت محصورة بصورة تقليدية في نطاق ثلاثة وثلاثين عضواً. ويبدو أن الكتاب السنوي الصادر في عام (١٩٥٠) يحتوي على عدد أكبر، ولكن ليس من الواضح كم هم الأعضاء من وراء البحار.

الجمعيات الروزيكر وشينية في أنجليا:

بالرغم من أنها مفتوحة فقط للماسونيين الأساتذة فإن هذه الدرجات شبه ماسونية، كما أنها تختلف اختلافاً كلياً في أسلوبها عن الأنظمة الماسونية النظامية المنتظمة. فطقوس مختلف الدرجات هي بكل جلاء ووضوح ثيوصوفية (روحية تأملية) وشبه روزيكروشية، كما أنها بصورة شاذة وغير عادية عبارة عن خليط غير متجانس من الرمزية أو الصوفية الشرقية الرنانة الطنانة والإيمان بالقوى الغيبية الزائفة، ومن المدهش أن هذه الدرجات يدعى بأنها خاصة بالمسيحيين.

أما الدرجات التسع فمرتبة في ثلاث منظمات على النحو التالي:

المنظمة الأولى: ١) الغيورة.

٢) النظرية

٣) العملية

٤) الفلسفية

المنظمة الثانية: ٥) الخبراء الصغار

٦) الخبراء الكبار

٧) الخبراء ذوي الحصانة

المنظمة الثالثة: ٨) الأساتذة

٩) المجوسية

(أو حكماء الشرق الثلاثة الذين يجلسون يسوع الطفل).

ومن المنظمات الوثيقة الصلة بالجميعات الروز كروشيانية في أنجليا، منظمة إيري، والتي تمنح عادة لأولئك الذين سبق لهم وأن حصلوا على الدرجة الخامسة. ولرموزها نكهة إيرلندية قوية.

الماسونية العاملة:

ما زال هناك قليل من المحافل الماسونية العاملة المنتحلة أو المزيفة لا يعترف بها المحفل العظيم. وتعرف على أنها الجمعية الموقرة للماسونيين العاملين، ويبدو أن لهم محفلٍ أعلى في لندن يمارس بعض السلطات القضائية، بالرغم من أنه يتحكم بهم بصورة رئيسية التقاليد السائدة في أي محفل مستقل منفصل. ويبدو أن عدد أعضاء هذه المحافل قليل وآخذ في التقلص. ولما كانت مطالبهم تمثل تقليداً من تقاليد العصور الوسطى ولديهم طقوس وشعائر مشتقة من طقوس وشعائر يورك القديمة، والتي هي أقدم من تلك التي يمكن للمحفل الماسوني العظيم أن يثبتها ويعطيها وجوداً مادياً ملموساً، فإن من الطبيعي أن تجذب إليها اهتماماً أكثر من قبل العلماء الماسونيين والذين يقومون بدراستها، إلا أنه لا يوجد هناك بنية قاطعة أو دليل حاسم يمكن أن يردها إلى ما قبل القرن التاسع عشر، أو أن طقوسهم عبارة عن مجموعة مزيفة منتحلة مأخوذة من مصادر أخرى بما في ذلك الاكتشافات المحضورة والتي هي في معظمها من

وضع كليمنت أ ي ستيرويتون. كذلك فإن إشارتهم تختلف عن إشارات الماسونيين النظاميين ومع ذلك فإن ماسونيين منتظمين، يطمحون في صفوفهم، مسؤولين في الدرجة العليا، كانوا قد وجدوا محافلهم وجعلوها مفتوحة لكل من حصل على درجة العلامة.

وعلى هذا فإن هناك سبع درجات، على النحو التالي:

١ ـ المبتدىء.

٢ ـ الزميل.

٣ ـ الزميل المشرف، المعد، واضع العلامة.

٤ ـ الزميل المشرف، معد المسرح، الباني أو المنشىء.

٥ ـ المشرف، المدير.

٦ ـ الأساتذة المجازون أو «الحاروديم».

٧ ـ الأستاذ العظيم أو الأساتذة الثلاثة الحاكمين.

إن كل درجة كانت قد أدرجت في هذه الصفحات، بالرغم من أنها غير معترف بها رسمياً من قبل المحفل العظيم، مفتوحة للماسونيين المنتظمين كما تتطلب وجود مؤهلات ماسونية.

بينما في المقولات والمصنفات الأخرى (والتي هي خارج نطاق هذا الكتاب) يوجد الهيئات الماسونية المختلطة التي تضم الرجال والنساء، أو للنساء فقط، حيث إن محافلهم تحمل في طياتها، بالنسبة للماسوني النظامي التهديد بالتأديب بل وحتى الطرد من المحفل. وعلى هذا فإن هناك أربع من مثل هذه المنظمات تعمل في بريطانيا العظمى.

١ ـ المنظمة الماسونية المختلطة العامة.

٢ ـ الأخوية الموقرة للماسونية القديمة.

٣ ـ الأخوية الموقرة للماسونيين القدماء.

٤ ـ المنظمة الماسونية القديمة، الحرة، المقبولة.

بالإضافة إلى ذلك هناك منظمة النجمة الشرقية، والتي تختلف طقوسها وأسرارها اختلافاً كلياً عن التقاليد الماسونية العادية.

أما الجمعيات السرية الخاصة بالطبقة العاملة الطاغية والمعروفة في الأوساط الشعبية باسم «ماسونية الرجل الفقير» (الأعضاء غير النظاميين، والجواسيس، ومراقبي الإخراج وما شابهها). فإن المحفل العظيم يتجاهلها تجاهلاً تاماً، وفي الحقيقة فإن هناك قليلاً من التداخل. وربما يقال بصورة عابرة بأن هذه المنظمات تكاد تكون منظمات قصف ومرح تقريباً، متمسكة بالأخلاق بصورة جزئية ولكنها، بحسب معرفتي خالية من أي محتوى تأملي أو فلسفي أو توراتي أو ديني. ومع هذا فإن بعض هذه المنظمات تدعى أنها عريقة إلى حد كبير.

اسكوتلندا:

إن المجموعات والسلطات القضائية الخاصة بمختلف الدرجات الماسونية مختلفة جداً في اسكوتلندا. ومعظم خطوط الانحراف تقع في مركز القنطرة الملكية والتي هي مستقلة كل الاستقلال ومنفصلة كلية عن درجات الأخوية الماسونية التي يتحكم بها المحفل السكوتلندي العظيم. فمن أجل الحصول على عضويتها، ينبغي على المرء أولاً أن يتقدم كأستاذ علامة (الأمر الذي يمكن القيام به إما في محفل الأخوية أو في محفل القنطرة الملكية) وأن يأخذ أيضاً درجة الأستاذ الممتاز (وهذه الدرجة غير معروفة في إنجلترا).

إذن، فالمحفل العظيم لماسونيي القنطرة الملكية في اسكوتلندا، يتحكم ويشرف على الدرجات التالية.

أستاذ العلامة.

الأستاذ الممتاز.

القنطرة الملكية.

المسؤول الرئيسي الثالث.

المسؤول الرئيسي الثاني درجات الكرسي في القنطرة الملكية.

المسؤول الرئيسي الأول.

وهذه الدرجات تصاعدية وينبغي أخذها بهذا الترتيب. وإحدى النتائج العملية لهذا الاختلاف في هذه المجموعات هي أن رفيقاً في القنطرة الملكية الإنجليزية (حتى لو وجدت أن لديه درجة العلامة) لا يمكنه أن يقوم بزيارة لمحفل القنطرة الملكية السكوتلندي لأنه لم يحصل على درجة الأستاذ الممتاز.

كذلك تحت إشراف وتحكم السلطة القضائية للمحفل العظيم الأعلى في اسكوتلندا يوجد الدرجة التالية، التي تعرف بسلسلة المحفل والمجلس:

ملامح القنطرة الملكية.

قائد نوح (درجة كرسيها).

كلمة النسر البابلية أو الصليب الأحمر.

فرسان السيف.

فرسان الشرق.

فرسان الشرق والغرب.

المقدم والرئيس (درجة كرسي).

ومرة ثانية يوجد تحت نفس السلطة القضائية، سلسلة الطقوس السرية مع الدرجات الملكية والانتخابية التالية:

الأستاذ الملكي.

الأستاذ المنتخب.

الأستاذ الممتاز الأعلى.

الأستاذ البالغ الشهرة.

وهكذا سيكون من الواضح الجلي أن المحفل العظيم السكوتلندي يتحكم في ما مجموعه ثمان عشرة درجة.

ويوجد هناك مجلس أعلى اسكوتلندي للطقوس القديمة والمقبولة، والتي درجاتها الثلاث والثلاثون (مع اختلافات طفيفة في ألفاظ العناوين والأسماء)

مماثلة للسلسلة الإنجليزية، ورتبت في مجموعات مماثلة.

كذلك يوجد لسكوتلندا ديرها العظيم المستقل الخاص بالمنظمات الدينية والعسكرية لفرسان الهيكل وفرسان مالطا.

ومع هذا، فإن الشيء الغريب والخاص بهذه البلاد هو المنظمة الملكية في اسكوتلندا. وربما تكون هذه المنظمة قديمة نوعاً ما. فطقوسها فريدة في نوعها بين الأعمال الماسونية، في أنها مكتوبة بأسلوب شعري هزلي قد يخرج عن قواعد القافية الأمر الذي يوحي بأن منشأها كان في القرن الثامن عشر، كما أن قصصها وأساطيرها تحتوي على كثير من الملامح الموجودة في درجات أخرى مثل القنطرة الملكية، وروز كرويكس ذي هيريدوم، وفرسان كادوس، والدرجات المتحالفة التابعة للصليب الأحمر لبابل. ويوجد في هذه المنظمة درجتان، حاروديم، والصليب الأحمر. وهما مفتوحتان فقط للمسيحيين.

وعلى العموم، فإن الماسونية في اسكوتلندا أكبر شعبية وأكثر عدداً بصورة نسبية مما هي في إنجلترا، لأنها تميل من ناحية إلى أن تكون أرخص ومن ناحية أخرى لأن النزعة البريبيتيرية المتقشعة ألفت معظم الألوان البراقة والبهرج والأشكال المراسمية من الديانة المسيحية. وعندما تكون الروح تعاني من نقص هذه العناصر في الدين، فإنها ستميل بصورة طبيعية إلى تعويض نفسها عن ذلك بأساليب أخرى. وليست العداوة لروما هي الوحيدة التي جعلت الماسونية ضعيفة في الأقطار الكاثوليكية.

«إيرلندا:

من وجهة النظر الماسونية فإن إيرلندا تظل سلطة قضائية منفردة. وبالرغم من أن قوتها مستمدة بصورة رئيسية من ألستر، فإن المركز الرئيسي في دبلن. وكما هو متوقع، فإن العضوية أكثر بصورة ثابتة من العناصر البروتستنتية مما هي في إنجلترا، كما أنها تتمتع بدعم وتأييد أكبر من جانب الكنائس غير الكاثوليكية.

ويمكن وضع الماسونية في إيرلندا في ست درجات على النحو التالي:

١ ـ درجات الأخوية، التي يتحكم بها ويراقبها المحفل العظيم للماسونيين الأحرار والمقبولين في إيرلندا:

المبتدىء الداخل في العضوية.

زميل في الأخوية.

الماسوني الأستاذ.

الأستاذ المنصب (درجة الكرسي).

٢ ـ محفل القنطرة الملكية العظيم الأعلى في إيرلندا، والذي هو، كما هي الحال في اسكوتلندا، متميز ومستقل عن الأخوية، والذي يتحكم أيضاً بدرجة العلامة ومقدمة جوهرية وأساسية للقنطرة الملكية. أما درجات المحفل فهي:

أستاذ العلامة.

القنطرة الملكية.

كبير الكتبة.

الكاهن الأعلى.

أستاذ العلامة البالغ التوقير والإجلال.

الملك السامي.

أما رئيس الكتبة، والكاهن الأعلى، والملك السامي، فهي درجات كرسي في القنطرة الملكية (والتي كما لوحظ في الملحق أ، فيها قصص مختلفة نوعاً عن تلك الموجودة في القنطرة الملكية الإنجليزية). وتمنح درجة أستاذ العلامة البالغ التوقير فقط قبل التنصيل كملك سام.

٣ ـ ويقوم المجلس العظيم لدرجات فرسان السيف، وفرسان الشرق، وفرسان الشرق والغرب، يقوم بالإشراف على درجات الفروسية الخاصة بـ:

فرسان السيف.

فرسان الشرق.

فرسان الشرق والغرب.

المقدم الممتاز (درجة الكرسي).

٤ ـ وتتحكم منظمة الهيكل والدير العظيم في إيرلندا، بالدرجات الفروسية التالية:

فرسان الهيكل.

كلمة السر للبحر الأبيض المتوسط.

فرسان مالطا.

المعلم البارز.

٥ ـ المحفل العظيم للماسونيين الأمراء في إيرلندا، الذي يتحكم بـ:

- فرسان النسر والبجع وأمير روز كرويكس العظيم.
- العاهل البالغ الحكمة (درجة كرسيه).

وهذا نفس الشيء الموجود في الدرجة الثامنة عشرة في الطقوس القديمة المقبولة. كما أنه معترف به وبصورة لا ريب فيها بأنه كذلك، إلا أنه في إيرلندا يتم عمله لدرجة منفصلة تحت سلطة قضائية منفصلة. وأنه من الأهمية بمكان كما أن من المحير حقيقة أن البروتسطنطي الصالح الإيرلندي غير كاره إطلاقاً للقيام بطقوس «مسيحية» مفصلة بكمية هائلة من الشموع على المذبح طالما مثل هذه الأشياء أبقيت خارج الكنيسة. فإنه سيقدم الإجلال والاحترام لصليب المذبح بشرط أن يكون مزيناً بالزهور والورود وليس بشكل يسوع على الصليب.

٦ ـ المجلس الأعلى للدرجة الثالثة والثلاثين، والطقوس الإيرلندية القديمة والمقبولة، فإنها تتحكم فقط بالدرجات التالية من أصل الدرجات الثلاثة والثلاثين:

٢٨ ـ فرسان سوليل أو فرسان الشمس.

٣٠ ـ الماسوني الفلسفي لفرسان كادوس.

٣١ ـ القائد المحقق المشرف العظيم.

٣٢ ـ أمير السر الملكي.

٣٣ ـ المفتش العام العظيم صاحب السيادة.

أما المحفل وسلسلة المجالس في اسكوتلندا، والدرجات السرية، ومراقب الأسرار فمن الظاهر أنها غير معروفة في إيرلندا.

وما يدعي المحافل البرتغالية فهي شبه ماسونية فقط، وبالرغم من وجود كمية لا تستهان بها من التداخل فإنه لا يوجد لديها أية علاقة رسمية بالماسونية الإيرلندية النظامية.

الولايات المتحدة الأمريكية:

لا يوجد في الولايات المتحدة الأميريكية المحفل العظيم الأعلى، أو سلطة ماسونية مركزية. وكل ولاية مستقلة وذات سيادة. كما أن لكل ولاية محفلها العظيم، ومجلسها العظيم، ومخيمها العظيم. يوجد هناك محفل عظيم عام، ومخيم عظيم يدعى ولاء معظم (ولكن ليس كل) الهيئات المحلية التابعة للولاية، ولكنها تشكل اتحاداً بدلاً من سلطات مركزية.

ويمكن ترتيب النظام الماسوني الأمريكي في المجموعات التالية:

١ ـ الدرجات الرمزية الثلاثة:

المبتدىء في العضوية.

الزميل في الأخوية.

الماسوني الأستاذ.

ويقوم بمنح هذه الدرجات المحافل تحت إشراف ومراقبة المحافل العظمى كل في ولاية، والتي كما هي الحال في بريطانيا العظمى تشكل القاعدة للنظام الماسوني برمته.

٢ ـ ماسونية المحفل، وتقابل في درجتها تقريباً نظام القنطرة الملكية في اسكوتلندا:

أستاذ العلامة.

أستاذ سابق.

الأستاذ الأعلى.

القنطرة الملكية.

ليس الأستاذ السابق مجرد درجة كرسي، بل يتم منحه بصورة مستقلة في محفل حاكم بصلاحيات خاصة وذلك لأنه شرط مطلوب مسبقاً من أجل الترفيع إلى القنطرة الملكية. ويمثل المحافل الأمريكية إلى أن تكون بالغة الكبر (أحياناً تضم عدة مئات من الأعضاء) بحيث إن الماسوني العادي له فرص أقل بقليل للوصول إلى الحكم من فرص المواطن العادي ليصبح رئيساً لبلدية مدينته، ومن هنا جاءت الحاجة أو وجود درجة مستقلة.

٣ ـ ماسونية المجلس، ويقابل الدرجات السرية.

الأستاذ الملكي.

الأستاذ المنتخب.

الأستاذ الأعلى.

وهذه الدرجات تصاعدية ويتم منحها في مجالس محلية تحت إشراف ومراقبة مجالس الولاية العليا.

٤ ـ القيادية:

فرسان الصليب الأحمر.

فرسان الهيكل.

فرسان مالطا.

وتمنح هذه الدرجات أو المنظمات من قبل قيادات تحت إشراف ومراقبة القيادات العظمى في مختلف الولايات، وهي نظرياً مفتوحة فقط للمسيحيّين المعترفين.

٥ ـ الطقوس القديمة المقبولة:

وتشمل هذه الثلاثة والثلاثين درجة كما هي الحال في إنجلترا واسكوتلندا، إلا أن (بالإضافة إلى أن الدرجات الثلاث الأولى والتي تمنح أيضاً في محافل الزمالة أو المحافل الزرقاء) كل درجة يتم عملها بصورة تصاعدية وكاملة. وبالنسبة لهذه الطقوس أو الشعائر فإن أمريكا مقسمة إلى سلطتين قضائيتين، الشمالية ومركزها في بوستون، والجنوبية ويديرها محفل المقاطعة الموقر، وليس هذه الطقوس مقصورة، كما هي الحال في إنجلترا، على المسيحيين المعترفين. فطقوس ورموز درجة وردة كرويكس، على سبيل المثال، بالرغم من أنها لا تختلف عن الطقوس الإنجليزية، فإنها تتم في أضواء أكثر عمومية وأكثر نزعاً للناحية «الفلسفية» مع إشارات محددة إلى إلهنا بالاسم، ما عدا في الكلمات عمانويل والأحرف ي أن ر آي فإنها محذوفة، (وربما يكون من المقبول بصورة أفضل القول بأن العنصر المسيحي كان قد أدخل في إنجلترا) لذلك فإنه بالرغم من أنها مبنية على الصلب فإن هذه الدرجة في أمريكا عامة ومباحة للجميع بحيث يمكن لغير المسيحي الدخول فيها بنفس الروح، التي يمكن بها لغير المسيحي وغير اليهودي أن يدخل درجات الأخوية المبنية على العهد القديم.

٦ ـ بعض المحافل التي عملت بصورة مستقلة مثل رقيب الأسرار.

وبالإضافة إلى ذلك فإنه يوجد هناك أنظمة شبه ماسونية أخرى مستقلة مثل «بيناي بريث» المقصورة على اليهود والتي من المحتمل أن تكون مشربة بالآثار الطفيفة الآيلة إلى الزوال الموجودة في طقوس وشعائر ميزريم ومنفيس، بالإضافة إلى درجاتها المتعددة المبنية على الصوفية الشرقية والميثولوجيا المصرية.

وتزدهر الماسونية المختلطة في أمريكا أكثر من أي بلد آخر، فالجميعات

السرية شبه الماسونية المختلفة (الأيائل، والجواميس، وفرسان بيثياس، وجماعة الروب الأحمر، وكلاكلاكس كلان، والمشعر السري، والعالم المسحور. . الخ) عديدة مثل رمال البحر لا تحصى ولا تعد. فالشعبية غير العادية للماسونية ومقلديها في أمريكا (والتي فاق حبها للجمعيات السرية ما هو موجود في أي قطر آخر ما عدا الصين) قد تعزى من ناحية إلى حقيقة أن الأمريكيين هم بطبيعتهم في غاية الود واجتماعيون وميالون إلى المعاشرة، ومن ناحية ثانية إلى الرغبة غير الواعية للفرار من التأثير الأمومي الأنثوي، والذي هو أقوى بكثير مما هو في بريطانيا العظمى كما أنه من ناحية أخرى ربما يكون راجعاً إلى عدم وجود بريق وبهرجة الألقاب الملكية والوراثية، ولقلة ما لديهم من المراسم البراقة التاريخية التي يقام في المناسبات الحكومية والقومية والبلدية.

الملحق (ج)

الصلوات الماسونية في الكنائس

مما هو معروف على نطاق واسع أن محفلاً، أو مجموعة من المحافل، بل في الحقيقة الإقليم بأكمله، قد يرتب لإقامة صلوات ماسونية خاصة في بعض الكنائس أو المصليات أو الكاتدرائيات ويشير المسيحيون إلى هذه الصلوات على أنها دليل إيجابي وبنية حاسمة على أن الماسونية والمسيحية لا يمكن أن تكونا غير متلائمتين أو على طرفي نقيض.

ومع هذا فلا ينبغي أن تؤخذ هذه الحجة على المعنى الطارىء لها. فهيئة المقاصد العامة، في جوابها على التساؤلات المتعلقة بالموضوع، كانت قد طرحت نقطتين في هذا الإجراء على النحو التالي:

أ) هل يمكن لشكل الصلاة الماسونية المستخدم في قاعة ألبرت الملكية احتفالاً بالذكرى المئوية الثانية في ١٩١٧/٦/٢٤ أن تهجر وتعتبر في ذمة الماضي؟

إذا كان لهذا الشكل من الصلاة الماسونية التي تقام في قاعة ألبرت أن يتم تركها فإن شكل مثل هذه الصلوات ينبغي أن يقدم إلى السكرتير العام. وقبل أن يصدر السكرتير العظيم حكمه فإنه سيقوم بإقناع نفسه بأن المناسبة مرغوب فيها، وأن تخليد هذه الذكرى مناسب، وأن الواعظ ماسوني.

أما في الأقاليم أو المقاطعات فإن طلب الترخيص ينبغي أن يقدم السكرتير العام في الإقليم أو المقاطعة.

ب) هل يمكن الإعلان عن الصلاة الماسونية؟

يجب أن لا يعلن عن الصلاة الماسونية بحال من الأحوال.

إن شكل الصلاة الماسونية في قاعة ألبرت ليس مسيحياً، كما أنه لا يوجد فيه أية إشارة مجددة مهما كان نوعها بصيغة المخاطب للثالوث الإلهي. فمن أجل أن تكون صلاة ماسونية في كنيسة مسيحية صلاة مسيحية، نطلب الحصول على أمر من السكرتير العام الأعلى أو من السكرتير العام الإقليمي، والذي هو بطبيعة الحال من الأشخاص الخارجيين ولا حاجة أن يكون هم أنفسهم مسيحيين. كذلك فإن أسقف الأبرشيه أو المسؤول رسمياً عن الكنيسة التي يراد إقامة الصلاة فيها لا يتمتع بصلاحية البت في هذه المسألة إلا بأن يصر على القول بأنه ما لم يتم منح بذلك، فإن إقامة مثل هذه الصلاة لا يمكن أن تتم إطلاقاً. ولا يوجد هناك أي ضمان بأن هذا الترخيص سيمنح، وقد ظهرت في الآونة الأخيرة قضية كان قد طلب فيها من وكيل كنيسة غير ماسوني أن يعبر كنيسة لأداء مثل هذه الصلاة فيها، وعلى اطلاعه على شكل ونموذج الصلاة رفض منح الإذن ما لم تكن الصلاة مسيحية قلباً وقالباً. وقد رفض منح الإذن على أساس أن بعض اليهود والماسونيين غير المسيحيين الراغبين في الحضور قد يساء إليهم. وبالطبع كان اللوم قد وجه إلى وكيل الكنيسة ووبخ لكونه متعصباً ضيق التفكير.

بالإضافة إلى ذلك فإن مراسلاً لصحيفة «تشارتس تايمز» في عام ١٩٢٩، ومرة ثانية في عام ١٩٥١، كشف النقاب عن حقيقة أن تخفيف الصيغة لا يكون تاماً بصورة دائمة وأن الصلوات الماسونية تحتوي أحياناً على اسم المسيح. وفي هذه الحالة إما أن يتم إعطاء الإذن من قبل السلطات الماسونية (ربما بموافقة وإذعان الواعظ الأسقفي) أو أن الأنظمة التي يتطلبها كانت موضعاً للهزء

والسخرية. ومع ذلك فقد كنت قد جمعت مجموعة كبيرة من أوراق الصلوات الماسونية المطبوعة (بما في ذلك التراتيل والتسابيح) وكانت جميعها قد أرسلت إلي بطريقة أو بأخرى من قبل خصوم الماسونية. ولم يكن بينها جميعاً إلا نسخة واحدة مسيحية فقط، كما أنني تلقيت رسائل، ليس فقط من إنجلترا، بل من الهند وإفريقيا وأستراليا، من رجال الدين حرموا، بصورة ساخطة تلك الصلوات التي لا تمت إلى المسيحية بصلة، إقامة تلك الصلوات في كنائسهم المسيحية في حالات كان قد حظر فيها إعطاء مثل تلك التراخيص.

مما لا شك فيه أن من المحير فهم موقف أسقفياتنا وأساقفتنا في إصدار رسائل رعوية والاحتجاجات شديدة وبكميات كبيرة ضد رجال الدين من أولئك الذين صواباً أو خطأً كانوا يحاولون تقريب صلواتهم بطريقة أو بأخرى إلى تلك الصلوات التي تؤدى في الكنيسة الكاثوليكية في روما، أو ضد الموقف الذي يتخذه أولئك الذين يعارضون بشدة كافة أنواع الصلوات المشتركة مع غير المنتمين للكنيسة الإنجليزية، بينما يطبقون أفواههم ولا ينطقون ببنت شفة إزاء الصلوات غير المسيحية والتي لا تمت إليها بصلة، التي هي غير مسيحية بصورة متعمدة ومقصودة من أجل عدم الإساءة إلى مشاعر اليهود غيرهم مما ينكرون إلهنا وسيدنا المسيح.

إن تحريم نشر كافة الإعلانات عن الصلوات الماسونية، في هذه الظروف، لشيء مقلق، إلا أنه ليس بتلك الأهمية: حيث إن صميم وجودها، وبكل تأكيد لطبيعتها، أشياء مجهولة لدى الأكثرية الساحقة من أتباع الكنيسة والمنتمين إليها.

والصيغة التالية لهذه الصلاة، هي التي كانت تقام في كاتدرائية كانتربري، كما أنها نموذجية. فهي ليست مسيحية فحسب، بل إن اسم المسيح يسوع قد حذف، عن سابق قصد وإصرار من خاتمة الصلاتين المسيحيتين الأوليتين المعروفتين والمألوفتين.

صيغة الصلاة ونظامها:

الترنيمة الماسونية.

(لحن «الكلية الجامعية» ايه وام. ٢٩١).

نحمدك أيها الأزلي الأبدي.

الذي خلق كل شيء صنعاً.

والسماوات والأرض من بديع صنعك.

استمع لدعائنا أيها الباني الإلهي.

لعل أعمالنا التي بدأت بإرادتك.

تباركها إلى الأبد مشيئتك.

ولعلنا عندما تنقضي أعمالنا.

نغادر الدنيا بأمن وسلام.

بسناء جلالك ومجدك.

وبرجائنا الذي أنطناه بك.

وبالإشارة السرية والرمزية.

استمع دعاءنا أيها الباني الإلهي.

استجب يا الله.

لنصلي

يا الله القوي العزيز، الذي تتطلع إليه الأفئدة والقلوب، والذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والتي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء. طهر ما تكنه قلوبنا بإلهام روحك المقدسة، لنحبك حق محبتك، وبمجد اسمك المقدس بما هو أهل له.

استجب يا الله.

صلاة الإله:

ـ الترنيمة ١٥ ـ

(الفصل القديس حيمس الأول ـ ٤ ـ ٢٧).

النشيد: نعم، بالرغم من أنني أمشي في وادي ظلال الموت، فإنني سوف لا أخاف أن يمسني شر، لأنك، معي، وقوتك وصولجانك تريحني وترسل الطمأنينة في نفسي.

لنصلي ليعم السلام العالم:

يا الله القوي العزيز، الذي تنبثق منه كافة أفكار الحقيقة والسلام، نتوسل إليك أن تنير كافة قلوب الناس بالمحبة الحقيقية للسلام، واهد بمحبتك النقية الطاهرة السلمية أولئك الذين يضعون قواعد السلوك للشعوب في الأرض: «بحيث تمضي مملكتك قدماً بأمن وسلام، وقد ملئت الأرض، بمعرفة محبتك، نحو شرف ومجد اسمك الأقدس.

استجب يا الله.

لنصلي للأخوية الماسونية.

يا الله القوي الأزلي الأبدي، الذي خضع لمشيئته كل شيء في السماوات والأرض، نتوسل إليك ضارعين أن تسبغ على إخوتنا أيدي نعمك وبركاتك التي لا تنقطع. نتوسل إليك أن تهدي وتؤيد وتقوي كل الحكام في الأخوية وأن تمنحهم القسط الأوفى من حكمتك الإلهية. لعل المحبة الأخوية، وحب المساعدة والإحسان والحقيقة تحتل مكان الرفعة والإجلال وتعم كافة أرجاء محافلنا. لتهدينا الحكمة سواء السبيل وتقود خطانا والاعتذار يطهر نفوسنا. والثبات والجلد يقوينا ويشد عزائمنا، والعدل يقود كافة أفعالنا، بحيث إننا بقلب واحد وفكر واحد نسعى جاهدين مناضلين من أجل خير كافة بني البشر، وشرف ومجد اسمك الأقدس.

استجب يا الله.

لنصلي لمؤسساتنا الماسونية.

يا الله، أبانا الذي في السماء، الذي منحت كل الأشياء الطيبة والخيرة والذي كنت منذ القدم تهدي وتحمي وترعى بعنايتك أبناءك، بني إسرائيل: نتوسل إليك ضارعين أن تبارك كل جهودنا التي نقوم بها لتفريج كربة المصابين، والعناية باليتامى والمساكين والمرضى والمسنين. امنح كلاً منا قسطاً من محبتك الواسعة التي تدعم وتقوي بابتهاج وعزيمة صادقة مؤسساتنا الماسونية، لعلنا نأخذ حظنا بصورة فعالة وبالتقدير والامتنان من نعمك التي لا تحصى والتي تتلطف بالتكرم بها علينا، وتقوم بواجب تمجيد اسمك الأقدس.

استجب يا الله.

لنتذكر بين يدي الباني العظيم إخواننا الذين ترفعوا إلى المحفل العظيم الأعلى. يا إله السماء والأرض الذي جعلت هيكلك في السماوات العلى وجعلت الأرض مسنداً لقدمك، إننا نتذكر بين يديك أولئك الأشخاص من إخواننا الذي عملوا بجد وإخلاص في هذه الحياة الدنيا وكانوا استدعوا إلى صروحك الخالدة وجنات الخلد التي في السماوات العلى. إننا نتوسل ببركات اسمك المقدس لعبادك هؤلاء، طالبين منك أن تكلأهم برحمتك وعنايتك للاستمرار في نمو درجتهم وسراطهم المستقيم الباني الذي نسير نحن وإياهم على هديه لنكون أهلاً للوصول إلى محفلك العظيم في الأعالي، حيث أنت، أيها الباني العظيم تقيم عرشك وتبسط سلطانك إلى الأبد.

استجب يا الله.

لننسب للعلي الأعلى الشرف والمجد ولنقم له صلوات الشكر.

يا الله، إن العظمة والقوة والمجد والنصر، والجلال هو لك: لأن كل من في السماوات والأرض هو لك ويسبح بحمدك. يا الله إن الحمد لك والملك، وأنت رب الأرباب وملك الملوك وفوق كل شيء، وأنت الحاكم فوق كافة عبادك، بيدك القوة والعزة ويدك هي التي تمنح القوة والعظمة للجميع والآن إننا

يا الله نشكرك ونسبح باسمك العظيم إلى أبد الآبدين.

الترنيمة:

(لحن «القوة والثبات» ايه وأم رقم ١٢٠)

أخي أيها الإنسان ضم أخاك في قلبك.

حيث الشفقة والرحمة وسلام الله أمنه.

إن العبادة الصحيحة هي أن نحب بعضنا بعضاً.

إن كل ابتسامة نشيد وكل عمل صالح صلاح.

اقتفي بخطوات الإكبار القدوة الحسنة.

والمثل الذي وضعه بعمله المقدس.

بحيث الأرض الرحبة هيكلاً لأبينا.

فكل حياة بمحبة هي أنشودة امتنان.

عندها ستسقط القيود والأغلال، وتتوقف.

القعقعة المدوية لموسيقى الحرب عن وجه الأرض.

وسيطفىء الحب بقدميه نيران الغضب المهلكة.

ويزرع في رمادها شجرة الأمن والسلام.

المراسم:

الترنيمة

(أيها الملك العظيم، الذي يشرق مجده في الأعالي)

ـ النشيد الوطني ـ

لنصلي.

يا الله، إننا نكل إلى عناية محبتك، كافة أولئك الغائبين عنا وكل الذين

تركونا، لترعاهم يدك الأبوية الحانية، واحفظهم بأمان في حمى رحمتك، سواء في هذه الحياة الدنيا أو في الآخرة. واجعلنا نحن وإياهم أن نحظى بمحبتك الأبدية

التمجيد للنعمة الإلهية:

(الترنيمة الختامية)

ـ اللحن ايه وأم رقم ٢٧٤ ـ

الآن إن الليل قد عسعس.

ليكون لباساً وراحة من عناء الكدح.

والرموز السرية والطقوس تستكن.

بقدسيتها في قلب كل مؤمن.

يا إله الضياء، الذي محبته غير ممنونة.

والذي إليه تتجه كافة الأعمال.

توج منظمتنا ببركاتك ونعمك.

احفظنا وأقم ودنا إلى النهاية.

إننا ننحني بين يديك بخشوع.

شاكرين عونك الإلهي.

يا من له القوة الباقية والمجد.

أيها الباني العزيز القوي.

استجب يا الله.

ملحظوة: (هذه هي المقطوعة الغنائية التي تغنى في اختتام المحفل).

الملحق (د)

النور غير المرئي

في أكتوبر ١٩٥٢ ظهر رد على هذا الكتاب يدعى «النور المحجوب» فضل مؤلفه (فندكس) الذي يدعي أنه ماسوني وأحد رجال الدين في كنيسة إنجلترا، فضل أن لا نكشف النقاب عن اسمه. إلا أنه وبصورة عرضية، كشف تحليل لعمود الرسائل المخصص للماسونية في عامي ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ في ثلاث من صحف الكنيسة، «تشارتس تايمز» و«تشارتس أف إنجلترا نيوزبيبر» و«انجلس تشارتشمان» كشف النقاب عن أن الرسائل التي كانت قد كتبت للدفاع عن الماسونية كان حولي ٧٠ منها كانت بأسماء رمزية بينماَ كان من بين الرسائل التي كتبت في نقدها ١٢ فقط فشلوا في توقيع أسمائهم الحقيقية.

وبالرغم من أن كتاب «النور المحجوب» الذي كان قد كتب على عجل وبمزاج رديء، إلا أنه هنا وهناك وبصدق وإخلاص وموضوعية مدمرة، فيما إذا كان خالياً من الرياء والنفاق، فإنه كان كتاباً مقلقاً ومزعجاً جداً. فهو يعرض الماسونية في ضوء أسوأ بكثير من وجهة نظر المسيحية المتشددة من تلك الصورة التي عرضها «السر المكشوف». ففي الفواصل الواضحة النادرة الموجودة بين القطع المملوءة بالشتائم القذرة والمسيئة والتوبيخ السيىء الذي يرثى له، فإن «فيندكس» عندما قام ببعض المحاولات لامتلاك الحجج والمجادلات اللاهوتية، لم يوافق فقط بل أكد على النقاط الرئيسية التي أوردها

والآراء التي كنت أناقشها وأحاجج فيها. فقد اتهمني بإساءة عرض وتقديم بدلاً من الماسونية. حيث قال المؤلف (ص٥٩) «إذا التقى مسيحي وهندوسي في محفل واجتمعا معاً وصليا لله معاً، فإن من البديهي بلا شك.. أن المسيحي سيعترف بأن إله الهندوسي هو في النهاية نفس «إلهه» فإذا كانت المسيحية ديانة مقصورة على المسيحيين أنفسهم وأنها عقيدة قائمة بذاتها، وإذا كان «التجسد» ـ الألوهية والناسوتية هو يسوع ـ هو الوحي النهائي لله والذي تجلى فيه هو نفسه، فقد اعترف مراراً وتكراراً أن الماسونية لا تتلاءم ولا تنسجم مع المسيحية ولكن عدة اقتباسات أوردها بعض متطرفي وممثلي الكنيسة الإنجليكانية، لإثبات بأن ذلك لم يكن موقف كنيسة إنجلترا، إن أولئك الذين يعتقدون ذلك ما هم إلا متعصبين غير متسامحين ضيقي الأفق. كذلك إن القطعة الواردة في (ص٥٦) من الكتاب، حيث إن «الديانة الطبيعية متناقضة، ليس مع الديانة الفوطبيعية بل مع الديانة غير الطبيعية، ما هي، مع ذلك إلا إشارة دليل على أن المؤلف كان أمياً من الناحية اللاهوتية ولا يدري من أمرها شيئاً.

إن كتاب «النور المحجوب» يتناول كثيراً من انتقادات للماسونية التي لم أقم إطلاقاً بتوجيهها. إنها تشكل اعترافاً صريحاً بأنه بالرغم من أن الماسونيين لا يدخلون الأخوية الماسونية طمعاً في منافع ومزايا مادية، وأنهم حقيقة يؤدون تعهداً مقدساً قبل الدخول في العضوية بأنهم «غير متأثرين بأية دوافع ارتزاقية أو أية دوافع أخرى تافهة» إلا أنهم في بعض الظروف ملزمون بموجب القسم الذي أدوه ملزمون بأن يحابي الواحد منهم الآخر ويفضله على غيره. ومن المعتاد أن ينكر هذا الأمر بكل قوة وحماس. إلا أن «فيندكس» من الناحية الفنية على صواب. فقسم الدرجة الثالثة يلزم الماسوني بأن يعلي من شأن النقاط الخمس للزمالة الماسونية، وعندما تم شرح هذه النقاط بصورة تامة وافية فيما بعد لدى تناول المراسم، فإن النقطة الثانية كانت تحتوي على تعهد بدعم وتأييد الأخ الماسوني في كافة تعهداته وأعماله الجديرة بالثناء. على افتراض أن النجاح أكثر في الشركات والأعمال المهنية وغيرها هي بلا شك أعمال جديرة بالثناء، ويبدو

أن الماسوني ملتزم بمحاباة زميله الماسوني، بالرغم من أن كافة المؤهلات متساوية، أي أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً.

أما الإيحاء بأن كتاب «السر المكشوف» كان المقصود منه أن يحدث تأثيراً على العلاقات البينة في داخل الكنيسة، سواء بين الكاثوليك والبروتستانت، أو تلك العلاقات التي تلهمها وتثيرها العداوات الشخصية المريرة، إن هذا الإيحاء، وأقول ذلك جازماً، ما هو إلا محض هراء وسخف ويدعو إلى السخرية والاحتقار. إنه «فيندكس» ولست أنا هو المنغمس في العلاقات الشخصية المزعجة. إنني لست معنياً بالأفراد ـ بل بالمبادىء المتعلقة بكافة المسيحيين ـ إثبات والدفاع عن تجسد إلهنا ومخلصنا في وجه البدائل الدينية وشبه الدينية التي حسب اعتقادي تزودنا بها بكل تأكيد الماسونية وتبثها بيننا.

من الإنصاف فقط أن نضيف، مع ذلك، أن الماسوني العادي سينظر إلى كتاب «السر المحجوب» على أنه تخبط وحماقة كبرى، لأنه في فظاظته وصراحته على حد سواء بعيد كل البعد عن الموقف النموذجي لأكثرية الإخوان كما أعرف عن الأخوية والإخوان. إلا أن من المزعج أن نجد مراجعة بقلم المحرر لهذا الكتاب المدمر في صحيفة «فري ميسونز ماجازين، العدد ٦٧٧» (الذي نشر من قبل «جريت كوين ستريت، والتي تطلق على نفسها أنها «الصحيفة الناطقة باسم الأخوية») حيث تشير هذه المراجعة إلى هذا الكتاب أي «النور المحجوب» على أنه بيان «رسمي» ومعتمد للمبادىء الماسونية.